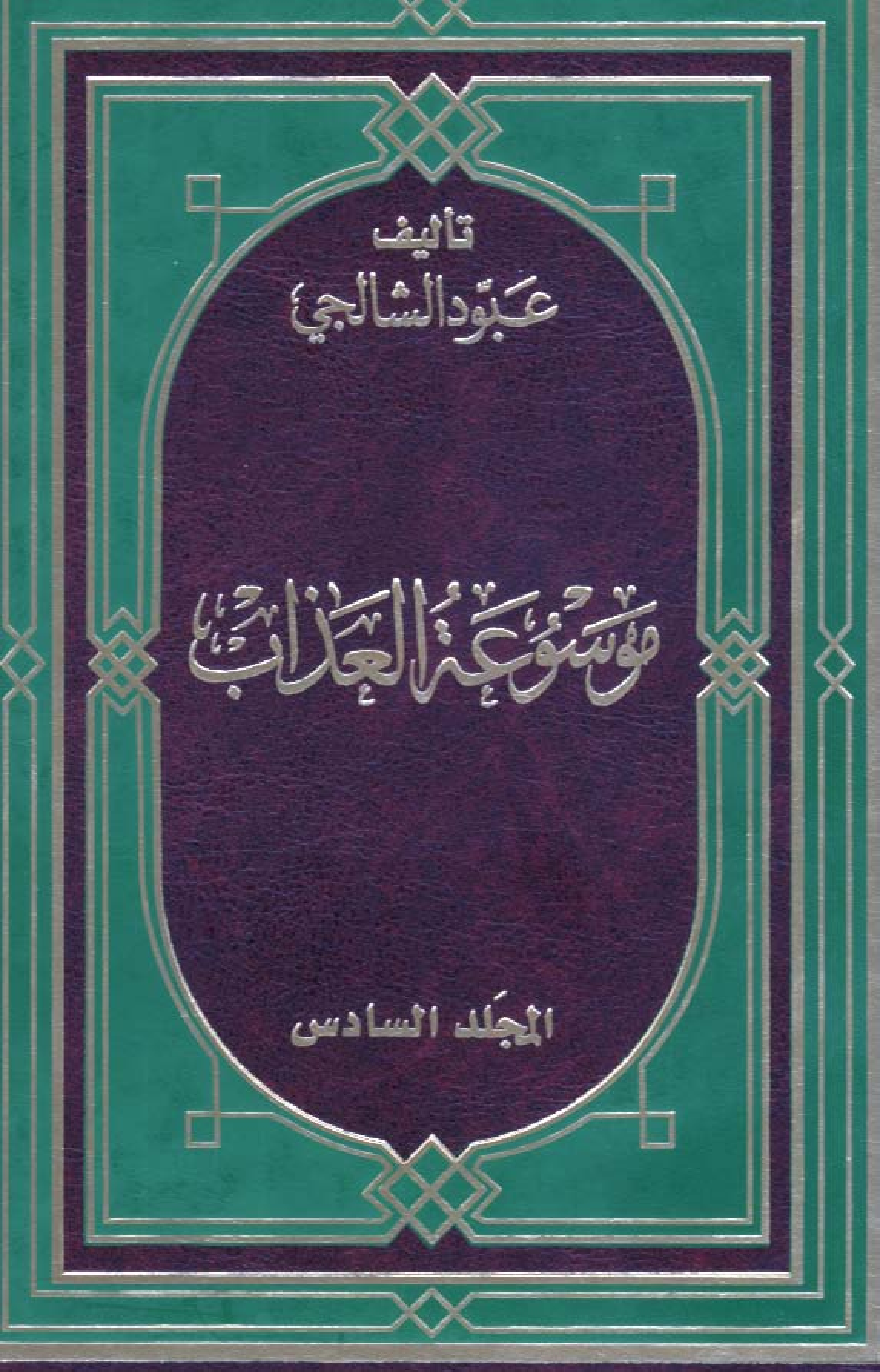

تأليف
عبود الشالجي
موسوعة العذاب
المجلد السادس

مَوْسُوعَةُ العَذَاب





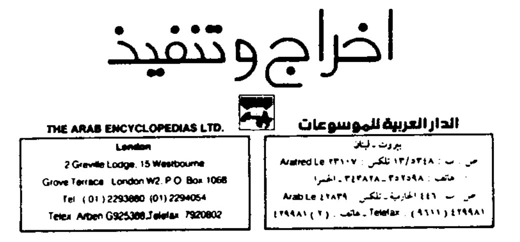
تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد السادس

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.



الباب الثاني عشر

القتل بكتم النَفَس

ويشتمل هذا الباب ، على ثمانية فصول :

الفصل الأول : القتل خنقاً .

الفصل الثاني : القتل شنقاً .

الفصل الثالث : القتل غمّاً .

الفصل الرابع : القتل بالتغريق .

الفصل الخامس : القتل بالتدخين .

الفصل السادس : الدفن حيّاً .

الفصل السابع : البناء على المعذّب .

الفصل الثامن : هدم البناء على المعذّب .

الفصل الأول

الخنق

الخنق : الشدّ على الحلق ، بقصد قطع النَفَس .
وقد جرت ممارسة هذا اللون من العذاب منذ القديم .

وكان في ماضي الأيّام ، قوم اتّخذوا من الخنق صناعة ، فإذا أحسّوا بأنَّ أحداً يحمل في ثيابه مالاً ، خنقوه وأخذوا ما معه ، وبحث الجاحظ في كتاب الحيوان عن الخنّاقين وأصنافهم ، ومظاهرة بعضهم لبعض ، وسكناهم متجاورين ، وأنّهم افتضحوا مرّة ، بأن طمع أحدهم في ثويب على حمّال ، ودريهمات معه ، فألقى الوهق في عنقه ، ثم تحركت عليه بطنه ، فترك الحمّال ، بعد أن حسبه ميتاً ، وكانت فيه روح ، ففرّ منه ، ودلّ عليهم ، فأخذوا ، ومن الخنّاقين من يجمع بني الخنق والتشميم ، أي التخدير بما يشمّ ، ومن يحمل في سفره حجرين مستديرين مدملكين ، وململمين ، فإذا خلا برجل من أهل الرفقة ، استدبره ، ورمى بأحدهما قمحدوته (أعلى القذال) ، وكذلك إن كان ساجداً ، فأن دمغه الحجر الأوّل ، سلبه ، وإن رفع رأسه ، طبّق بالآخر وجهه ، وحدثنا الجاحظ عن خنّاقين ، راقبوا رجلاً خرج من الريّ وفي حقوه هميان ، فكان لا يفارق معظم الناس ، فلما رأوا احتراسه ، لم يشعر صاحب الهميان ، والناس حوله ، إلّا والوهق في عنقه ، ووثب الآخر إليه ، وجلس على صدره ، ومدّ الثالث رجليه ، وألقى عليه ثوباً ، وأخذ يؤذّن في أذنه ، يوهم الناس أنّه مصروع ، ولما قام عليهم بعض الرفقة في القافلة ، ردّوهم ، وقالوا لهم : إنّه إذا رآك خجل واستحيا ،

فأمسكوا عنهم ، ونالوا بغيتهم (الحيوان ٢ / ٢٦٤ ـ ٢٧١)راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ٢ ص ٨٠ ـ ٨٢ رقم القصة ٢ / ٣٥ .

وخطب بسر بن أرطاة على منبر البصرة ، فشتم عليّاً ، ثم قال : نشدت الله رجلاً علم أنّي صادق إلاّ صدّقني ، أو كاذب إلاّ كذّبني ، فقال أبو بكرة : اللهم إنّ لا نعلمك إلاّ كاذباً ، فأمر به بسر فخنق ، فنهض أبو لؤلؤة الضبّي ، فرمى بنفسه عليه حتى خلّصه ، وقيل لأبي بكرة : ما أردت بما صنعت ؟ ، قال : أينا شدنا بالله ثم لا نصدقه ؟ (الطبري ٥ /١٦٨) .

وخنق السّجان ، في سجن يوسف بن عمر الثقفي ، بلال بن أبي بردة ، في قصّة بالغة الطرافة ، فقد كان بلال سجيناً في سجن يوسف بن عمر الثقفي ، وكان كلّ من مات في السجن ، رفع السّجان خبره إلى يوسف ، فيأمر بإخراجه ، وتسليمه إلى أهله ، فقال بلال للسجّان : خذ منّي عشرة آلاف درهم ، وأخرج اسمي في الموتى ، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي ، هربتُ في الأرض ، فلم يعرف أحد خبري ، فأخذ السجان المال ، ورفع آسمه في الموتى ، فقال يوسف : مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه ، هاته ، فعاد إلى بلال ، فقال : اعهد ، قال : وما الخبر ؟ ، قال : إنّ الأمير قال كيت وكيت ، فإن لم أحضرك اليه ميتاً قتلني ، ولا بدّ من قتلك خنقاً ، فبكى بلال ، وسأله أن لا يفعل ، فلم يكن إلى ذلك طريق ، فأوصى ، وصلّى ، فأخذه السجّان وخنقه ، وأخرج إلى الأمير ميتاً، فلما رآه ، أمر بأن تسلّم جثّته إلى أهله ، فأخذوه ، وهكذا فقد آشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم (نشوار المحاضرة رقم القصّة ٧ /٥٠ ج ٧ ص ٨١) .

وحبس مروان الحمار ، ابراهيم الامام ، وقتله في السنة ١٣٠ واختلف في كيفية قتله ، والصحيح أنّه خنق (العيون والحدائق ٣ /١٩٠) .

وخنق عبد الرحمن الداخل ، بقرطبة ، في السنة ١٤١ الصميل بن

حـاتم بن شمر بن ذي الجـوشن ، وكان الصميـل قد فـرّ مع جـدّه من المختار الثقفي بالكوفة ، فلاقاه حتفه بالأندلس (نفح الطيب ٣/٢٦ و٣٦) .

وقتـل المنصور ، عمّـه عبد الله بن علي ، بـأن بعث إليه أبـا الأزهـر ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله ، فخنقه حتى مـات ، ثم مدّه على الفـراش ثم أخذ الجـاريـة ليخنقهـا ، فقـالـت : يـا عبـد الله ، قتلة غيـر هـذه القتلة ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلتـه غيرهـا ، فصرفت وجهي عنهـا ، وأمرت بهـا فخنقت ، ووضعتها معـه على الفراش ، وأدخلت يـدهـا تحت جنبه ، ويده تحت جنبها ، كالمعتنقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ، ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة ، وغيره ، فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ، ثم أمر به فدفن . (مروج الذهب ٢/٢٤١) .

وخنق المنصور ، عبد الله المحض (تاريخ الكوفة ٣٢٥) .

وفي السنة ٢٢٤ أراد المازيـار بن قارن ، صـاحب طبرستـان ، الخروج على المعتصم ، فألحّ في استيفاء كامل الخراج ، وكتب بـذلك كتبـاً مؤكّدة ، وكـان أحد المـطالبين بالخـراج ، واسمه علي بن يـزداد ، قد كسـر الخراج ، وآستتر ، وترك آبنه الحسن رهينة في يد أصحاب مازيار ، فـأمر أبـو صالـح ، وكيل مازيار في سارية ، باحضـار الغلام الحسن بن عليّ ، فجيء بـه ، فأمـر بصلبـه ، فسأل الغـلام أن يأذن لـه أن يصلّي ركعتين ، فـأذن لـه ، فـطوّل في صلاته وهو يرعد ، وقد مدّ له جذع ، فجذبـوا الغلام من صلاته ، ومـدّوه على الجذع ، وشدّوا حلقه ، حتى إختنق ومات (الطبري ٩/٨٣) .

وفي السنة ٢٢٧ خرج المبرقع أبو حرب اليماني بفلسطين ، وكـان سبب خروجه ، إنّه كان غائباً ، وأراد جنـديّ أن ينزل في داره ، فمـانعته زوجـة أبي حرب ، فضربها الجندي بسوط ، فأثر في ذراعها ، فلما عاد المبرقع ، أخبـرته زوجتـه، فذهب إلى الجنـدي ، وقتله ، وخرج ، وتبعـه مـائـة ألف ، فخـرج

لحربه ، رجاء الحضاري ، فأسره ، وقتل خنقاً في السجن . (النجوم الزاهرة ٢/٢٤٨ و٢٤٩) .

وفي السنة ٢٥٦ قتل أنصار المهتدي ، محمد بن بغا ، بأن بعجوا بطنه ، وعصروا حلقه ، وألقوه في بئر من القناة (الطبري ٩/٤٦٩) .

وقبض صاحب المعونة ، في إحدى بلاد مصر ، في أيام أحمد بن طولون ، على خنّاق ، وعثر في خرجه على أوتار للخنق ، وأحجار للشدخ ، فأمر بأن يشدخ رأسه بالأحجار التي وجدت في خرجه ، وأن يخنق بأوتاره، ففعل به ذلك ، راجع التفصيل في كتاب المكافأة ١٥٨ ـ ١٦٠ .

وفي السنة ٣١١ لما وزر ابن الفرات للمقتدر ، وزارته الثالثة ، قبض على أبي القاسم بن الحواري ، وصادره على سبعمائة ألف دينار ، مصادرة خاصّة من دون كتّابه وأسبابه ، ثم تسلّمه المحسّن بن الفرات ، فصفعه صفعاً عظيماً في دفعات ، وضربه بالمقارع ، ثم أحدره إلى الأهواز في طيّار خدمة ، وأنفذ معه الحبشي المستخرج ، فلما وصلوا البصرة وتوجّهوا منها إلى الأهواز ، طرح الحبشي ابن الحواري في الماء منكسا ، وشدّ رجليه في شكّات الطيّار (خشباته البارزة) وهو سائر ، وبلغ موضعاً أسفل الأبلّة ، فأخرجه وقد بقي فيه أدنى رمق ، فخنقه غلمان سودان كانوا معه ، ودفنوه (الوزراء للصابي ٤٧) .

وفي السنة ٣٢١ ولّى القاهر بشرى الخادم ، دمشق وحلب ، فسار الى حلب ، ثم إلى حمص ، فتصدّى له محمد بن طغج ، وحاربه ، وأسره ، فخنقه (اعلام النبلاء ١/٢٣٨) .

وغضب معزّ الدولة ، على ابن كردم الأهوازي ، لأنّه ضرب دنانير رديئة في دار الضرب التي ضمنها بسوق الأهواز ، فأحضره ، وخاطبه ، ثم أمر بأن يخنق على قنطرة الهندوان بالأهواز ، فخنق راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ١/١٤٢ رقم القصة ٧١ .

وفي السنـة ٣٦٢ عثر على الشاعـر ابن هـانىء الأنـدلسي ، في شانية (سفينة) من شواني برقة ، مخنـوقاً بتكّـة سراويله . (وفيـات الاعيان ٤/٤٢٢ ومعجم الادباء ٧/١٢٧ ومعجم البلدان ٤/٤٢٢) .

ولما توفي الحكم ، الخليفة الأموي بالأندلس ، في السنة ٣٦٦ ، وأراد الحـاشية استخـلاف ولده هشـام المؤيّد ، بعث الـوزيـر المصحفيّ ، القـائـد محمد بن أبي عامر ، إلى المغيرة ، أخي الحكم ، فقتله خنقـاً (نفح الـطيب ٣/٨٦) .

وفي السنة ٣٨٢ قتل أبو الحسن بن المعلّم ، خنقاً بحبل الستارة ،وكـان مسيـطراً في أيـام بهـاء الـدولـة البـويهي ، وفي السنـــة ٣٨٢ شغـب الجـنـد الـــديلم والأتـراك ، وخـــرجـوا بـــالخيم إلى بـاب الشمـــاسيّـة (الصليـــخ) وراسلوا بهـــاء الـدولـــة بـــالشكـــوى من أبي الحسن بن المعلّم ، وتعـــديـــد ما يعاملهم به ، وطلبوا تسليمه إليهم ، فوعدهم السلطان بإزالة ما شكوه ، وأن يقتصر بأبي الحسن بن المعـلّـم على خدمتـه في خاصّـه ، فأعـادوا الرسـالة ، بأنّهم لا يرضون إلاّ بتسليمه ، فأعاد الجواب بأنّه يبعده عن المملكة إلى حيث يكون مبقياً على مهجته ، راعياً لحقوق خدمته، فكانت الرسالة الثالثة ، التوعّد بالإنحدار ، والمسير إلى شيراز ، وقال بكران لبهاء الدولة ، وكان هو المتوسّط بينه وبين العسكر ، أيها الملك إنّ الأمر على خلاف ما تقدّره ، فآختر بين بقاء أبي الحسن . أو بقاء دولتك ، فقبض عليه حينئذ ، وعلى أصحابه ، وأخـذ ما كان في داره من مال وثياب وجوار وغلمان ، وأقام الجند على أنّهم لا يرجعون من مخيمهم إلاّ بتسليمه ، فركب إليهم بهاء الدولة ليسألهم الدخول والإقتصار على مـا فعله به من القبض والاعتقـال ، فلم يقم أحـد من الجنـد إليـه ، ولا خدمه ، وعاد وقد أقـاموا على المـطالبة بـه ، وترك الـرجوع إلاّ بعد تسليمه ، فسلّم إلى أبي حـرب شيرزيـل ،وسقي ابن المعلّم السمّ دفعتين ، فلم يعمـل فيه ، فخنق بحبل الستـارة ،ودفن بالمخرّم (العلوازية) (المنتظم ٧/١٦٨) .

وفي السنة ٣٩٤ قتل الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، خنقاً في سجنه ببـرج من أبراج طـرطوشـة ، بأمـر من المظفّـر العامـري (نفح الطيب ١ / ٥٢٩ ورسالة التوابع والزوابع ٢٦) .

أقول : أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، أحـد كتّاب الـدولة العامرية ، وكان على شرطة المنصور بن أبي عامر ، وكتب له ، ثم كتب بعده للمظفّر ، فلما قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع ، صاحب دولته ، وكان أبو مـروان قويّ الصلة بـه ، اتّهم معه ، وكـاد أن يقتله ، ثم سجنـه في بـرج من ابراج طرطوشة ، ثم خنق في سجنه (نفح الطيب ١ / ٥٢٩ و٥٨٧) .

وذكروا أنّ شخصاً في بغداد ، استضافه رجل ، وأحسّ أنّ عنـده مالاً ، فتركه حتى نام ، ثم عمد إليه فخنقه ، ثم ظهر أنّه خنق ولـده ، لأنّ الولـد جاء ونام في الموضع الذي كان الضيف ينام فيه ، وسلم الضيف ، راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ٤ / ١٧٥ و١٧٦ رقم القصة ٨٧ .

ورفع الهرويّ ، سعاية في الصاحب بن عباد ، إلى مؤيّد الدولـة ، فبعث بالرقعة الى الصاحب ، فأخذ الهروي ، وخنقه (معجم الادباء ٢ / ٢٨٠) .

وفي السنـة ٣٧٩ تولّى أبـو الحسن الكـوكبي ، خنق الأمـر أبي علي بن شرف الدولة بيده ، بأمر من بهاء الدولة البويهي (ذيل تجارب الأمم ١٦٢) .

ولما توفّي علي بن حمّود ، صاحب قرطبة ، وهـو علوي حسنيّ ، خلفه أخوه القاسم بن حمّود في السنة ٤٠٨ ، وقام عليه في السنـة ٤١٢ ابن أخيه ، يحيى بن علي بن حمّود ، واعتقله ، وظلّ معتقلاً عنده ستّ عشرة سنة ، مـدّة حكم ابني أخيـه يحي وإدريس فلمـا مـات إدريس ، قتـل القـاسم في سجنـه خنقـاً ، وسنّه ثمـانون سنـة . (المعجب للمراكشي ٩٩ ـ ١٠١ ونفـح الـطيب ١ / ٤٨٦ ـ ٤٨٨) .

وفي السنة ٤١٥ خنقت بالقاهرة ، امرأة ضعيفة مستورة ، طاهرة ، صائمة الدهر ، ولها غلام يعمل في فرن إلى جانب منزلها ، فطلع عليها جماعة من طاق الفرن ، فخنقوها حتى ماتت ، واخذوا ما وجدوا من رحلها ، فقبض عليهم وعلى الغلام الذي كان لها (اخبار مصر للمسجي١٠١) .

وفي السنة ٤٣٠ قتل بهيت خنقاً ، أبو القاسم هبة الله بن علي بن جعفر ، وزير جلال الدولة أبي طاهر (المنتظم ١٠٣/٨) .

ولمّا توفّي أبو القاسم الحسين بن علي بن مكرم ، صاحب عمان ، خلفه ابنه ابو الجيش فتآمر عليه أخوه أبو محمد ، وأحسّ أبو الجيش بذلك ، فاعتقله، ووضع عليه من خنقه في السنة ٤٣١ . (ابن الأثير ٤٦٨/٩و٤٦٩) .

وفي السنة ٤٥٠ عصى إبراهيم ينال بن يوسف ، أخو السلطان طغرلبك لأمّه ، عليه ، وحاربه ، فانكسر إبراهيم ، وأسر هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه داود ، فأمر السلطان بابراهيم أخيه ، فخنق بوتر قوسه ، وقتل ولدي أخيه معه . (ابن الأثير ٦٤٥/٩) .

ولما قتل السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، تسلطن بعده ولده ملكشاه ، فحاربه عمّه قاورد بك في السنة ٤٦٥ ، فانكسر ، وجيء به إلى السلطان ملكشاه ، فقال له : يا عمّ ، أما آستحيت من هذا الفعل ، يموت أخوك ، فما قعدت في عزائه ، ولم تبعث إلى قبره ثوباً ، والغرباء قد حزنوا عليه ، ثم بعث به إلى همذان ، حيث قتل خنقاً، خنقه رجل أعور أرمني من أصاغر الحاشية ، بوتر قوسه . (ابن الاثير ٦٤٥/٩ ونهكت الهيمان ١١٨) .

أقول : اختلف المؤرّخون في إثبات اسم هذا الرجل ، فذكر صاحب نكت الهيمان انّ اسمه : فاروت (بفاء وألف ثم راء بعدها واو وتاء)، اما ابن الجوزي في المنتظم ، وأبو الفداء في المختصر ، وابن خلّكان في وفيات الاعيان ، فقد أثبتوا الاسم : قاروت (بقاف والف ثم راء بعدها واو وتاء) ،

وأثبته ابن الاثير في تاريخه الكامل : قاورت (بقاف وألف ثم واو بعدها راء وتاء) ، أما صاحب كتاب تاريخ الدولة السلجوقية ، فقد أثبت الاسم بلفظة قاورد ، (بقاف وألف ثم واو بعدها راء ودال) ووجدت في المعجم الذهبي أن لفظة قاورد تعني الحلوى بالفارسية ، فرجّحت هذا الاسم ، إلى أن يتيسّر لي الاطلّاع على ما يخالفه .

ولما كان بدر الجمالي ، أميراً بدمشق ، سنة ٤٥٥ نفى الشريف أبا طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني ، إلى مصر ، فاتفق الشريف وابن حمدان الملقّب ناصر الدولة ، وتآمروا على المستنصر ، وأخرج ابن حمدان حازم وحميد ابنا جرّاح من أمراء عرب الشام ، من سجن المستنصر ، وكانا قد مكثا فيه نيفاً وعشرين سنة ، فقبض بدر الجمالي ، لما استولى على مصر ، على الشريف ، وقتله خنقاً . (النجوم الزاهرة ١٣/٥ و١٥) .

وفي السنة ٤٨٨ قتل أحمد خان صاحب سمرقند ، خنقاً ، وسبب قتله أنّه أظهر انحلالاً من الدين ، فقبض عليه جنده ، وأحضروا القضاة والفقهاء ، وادّعوا عليه الزندقة ، فجحد ، فأقيمت عليه البيّنة ، فأفتى الفقهاء بقتله ، فخنقوه . (ابن الاثير ٢٤٤/١٠) .

وفي السنة ٤٨٩ قتل الأمير أرسلان أرغون ، أخو السلطان ملكشاه ، أخاه الامير بوربرس ، بأن خنقه في حبسه بترمذ ، وتفصيل القصّة : إنّ الامير أرسلان أرغون ، كان مع أخيه السلطان ملكشاه لما توفي ببغداد ، وكان له إقطاع بسبعة آلاف دينار ، فلما توفي أخوه ، سار إلى همذان في سبعة غلمان ،وتسلّم مدينة مرو، ثم استولى على بلخ ، وترمذ ، ونيسابور، وعامّة خراسان ، فسيّر السلطان بركياروق بن ملكشاه ، إليه ، جيشاً بقيادة عمه بوربرس ، أخي أرسلان أرغون ، واشتبك الجيشان في معركة ، فانهزم أرسلان أرغون أوّلاً ، ثم انتصر ، وأسر أخاه بوبرس ، فحبسه بترمذ ، ثم أمر به فخنق في حبسه (ابن الاثير ٢٦٣/١٠ و٢٦٤) .

أقول : راجع في بحث الفتك ، مقتل الامير أرسلان أرغون في السنة ٤٩٠ .

وفي السنة ٥١٢ خنق بهرام شاه بن مسعود الغزنوي ، أخاه أرسلان شاه ، في حبسه ، وسبب ذلك : إنّ أرسلان شاه استولى على السلطنة في السنة ٥٠٨ فقبض على إخوته ، وقتل بعضهم ، وسجن البعض الآخر ، وفرّ منه أحد إخوته وهو بهرام شاه ، فالتجأ إلى السلطان سنجر السلجوقي ، فأعانه ، وجرت معركة شديدة بين الأخوين ، انتهت بانتصار بهرام شاه ، وأسر أرسلان شاه ، فأمر بهرام شاه ، فخنق أرسلان شاه في حبسه (ابن الاثير ١٠/٥٠٤ ـ ٥٠٨) .

وفي السنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وكان قد أهمل أمر ملكه ، وحاول أن يغتال مدبّر أمر مملكته شرف الدين كردبازو الخادم ، فقبض عليه كردبازو ، واعتقله في إحدى القلاع ، وبعث إليه من خنقه . (ابن الاثير ١١/٢٦٧) .

وتفصيل القصّة : إنّ سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، كان مقيماً عند عمّه السلطان سنجر ، وقد جعله ولي عهده ، وخطب له على منابر خراسان ، فلما حارب سنجر الغز ، وأسروه ، مضى سليمان شاه إلى خوارزم شاه ، فزوّجه ابنة أخيه ، ثم بلغه عنه ما كرهه ، فأبعده ، فقصد إصبهان ، فمنع من دخولها ، ومضى نحو قاشان ، فمنع عنها ، فنزل البنديجين (مندلي الآن) وراسل الخليفة المقتفي ، فأذن له في دخول بغداد ، فدخلها ، وخطب له ببغداد ، وسيّر معه الخليفة عسكراً ، فحارب السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، صاحب همذان ، وانهزم سليمان ، وسار على شهرزور يريد بغداد ، فخرج إليه زين الدين صاحب الموصل، وأخذه أسيراً ، وحمله إلى قلعة الموصل ، وحبسه بها مكرّماً ، وفي السنة ٥٥٥ مات السلطان محمد بن محمود صاحب همذان ، فبعث الأمراء إلى الموصل يطلبون سليمان

شاه ليسلطنوه ، فأحضروه ، ونصبوه على تخت السلطنة . فظهر تهوّره ، وخرقه ، حتى إنّه شرب الخمر في رمضان نهاراً ، وكان يألف المساخر ، ولا يهتمّ بالأمراء ، وردّ جميع الأمور إلى الخادم (الخصي) شرف الدين كردبازو ، وهو من مشايخ الخدم السلجوقية ، وكان له دين وحسن تدبير ، فكان الأمراء يشكون إليه ، وهو يسكّنهم ، واتّفق يوماً أنّ سليمان شاه شرب بظاهر همذان ، في الكشك ، فحضر عنده كردبازو ، وأخذ يلومه على تصرّفاته ، فأمر سليمان شاه ، من كان عنده من المساخرة ، فعبثوا بكردبازو ، حتى أنّ بعضهم كشف له عن سوأته ، فخرج مغضباً ، وأحضر الأمراء ، واستحلفهم على طاعته ، فحلفوا له ، فأوّل ما عمله أن قتل المساخرة ، وقال للسلطان : إنّي أفعل هذا صيانة لملكك ، ثم عمل كردبازو ضيافة عظيمة ، حضرها السلطان والأمراء ، فلما جاء السلطان إلى داره ، قبض عليه وعلى وزيره أبي القاسم محمد بن عبد العزيز الحامدي ، فقتل وزيره وخواصّه ، وحبس سليمان شاه في قلعة ، ثم أرسل إليه من خنقه (ابن الاثير ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ و٢٦٧) .

وفي السنة ٥٦٠ توفّي الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، فقبض على ولديه شرف الدين وعزّ الدين ، وأخذ حاجبه ابن تركان فحبس في دار أستاذ الدار ، وفي السنة ٥٦١ هرب عزّ الدين من حبسه ، ثم أخذ فضرب ضرباً وجيعاً ، وأعيد إلى السجن ، ثم رمي به في مطمورة ، ثم أدلوا إليه حبلاً ، فتعلّق به وصعد فمدّوه ، وجلس واحد على رجليه ، وآخر على رأسه ، وخنق بحبل ، وفي السنة ٥٦٢ أخرج أخوه الأكبر شرف الدين ميتاً من محبسه (المنتظم ١٠/٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٠) .

وفي السنة ٥٨٤ تآمر إخوة قطب الدين عيسى ، صاحب تكريت ، عليه ، وغدروا به ، فقتلوه خنقاً ، وملكوا تكريت ، ثم اختلفوا ، فباعها المقدم منهم للناصر العباسي . (وفيات الاعيان ٣/٤٩٨ ـ ٥٠٠) .

وفي السنة ٦١٨ بعث أمير مكّة ، قتادة بن ادريس العلوي ، ولده الحسن على رأس جيش للاستيلاء على المدينة ، فوثب الحسن بن قتادة ، وهو في الطريق على عمّه ، فقتله ، وكان معه في العسكر ، وعاد إلى أبيه بمكّة ، فخنقه ، وكان الأب في التسعين من عمره ، ثم عمد الحسن إلى أخيه ، وكان نائباً عن أبيه بقلعة ينبع ، فأحضره إلى مكّة ، وقتله أيضاً (المختصر في أخبار البشر ٣/١٣١) ولم يطل أمده في الولاية ، إذ قصده صاحب اليمن في السنة ٦٢٠ وطرده من مكّة (ابن الاثير ١٢/٤٠١ - ٤٠ و٤١٣) .

وفي السنة ٦٢١ قتل خنقاً في قصره ، أبو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي الموحّدي ، بويع له سنة ٦٢١ وهو شيخ ، وانتقضت عليه الإمارات ، وخلع ، وخنق في قصره . (الاعلام ٤/٣٢٨) .

وفي السنة ٦٢١ استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل ، وخنق صاحبها الملك محمود بن القاهر ، وأعلن أنّه توفّي . (النجوم الزاهرة ٦/٢٥٧) .

وفي السنة ٦٢٤ قتل السلطان العادل في أحكام الله ، أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن يوسف الموحّدي ، خنقاً ، اتّفق الموحّدون على خلعه ، ودخلوا عليه في قصره ، وسألوه أن يخلع نفسه ، فامتنع ، فوثبوا عليه ، ودسّوا رأسه في خصة ماء كانت هناك ، وقالوا له : لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع ، فقال : اصنعوا ما بدا لكم ، والله ، لا أموت إلّا وأنا أمير المؤمنين ، فوضعوا في عنقه عمامته ، وخنقوه بها (الاعلام ٤/٢٩٠) .

وفي السنة ٦٣١ غضب المظفّر صاحب حماة ، علي زكي الدين القوصي الكاتب فحبسه وخنقه في الحبس ، وسبب ذلك ، إنّه وصله بألف دينار ، فأقام معه مدّة ، ولزمته أسفار فأنفق المال ، ولم يحصل بيده زيادة ، فقال :

ذاك الذي أعطوه لي جملة   قد آستردّوه قليلًا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا   وحسبي الله ونعم الوكيل

فحبسه المظفر فقال له : ما ذنبي ؟ فقال له : حسبي الله ونعم الوكيل ، ثم خنقه (فوات الوفيات ٢ / ٣٠٤ و٣٠٥) .

وفي السنة ٦٣٧ قتل الملك ناصر الدين أرتق ، صاحب ماردين ، خنقه ولده وهو سكران . (النجوم الزاهرة ٦/٣١٦) .

وفي السنة ٦٤١ مات الملك مظفر الدين يونس بن مودود بن محمد بن أيّوب ، خنقاً ، خنقه الملك الصالح اسماعيل ، وكان قد ملك دمشق ، ثم قايض عليها بسنجار وعانه ، ثم ضجّ منه أهلها ، فباعها للخليفة المستنصر ، ثم لجأ إلى الناصر داود في القدس ، فلم يرتح منه ، واعتقله ، ففرّ إلى الافرنج في عكّا فاشتراه منهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، وأخذه ، فاعتقله ، ثم خنقه . (الاعلام ٩/٣٤٨) .

وفي السنة ٦٤١ قبض على ابن الروّاس ، أحد الظالمين ، بدمشق ، وخنق . (الذيل على الروضتين ١٧٣) .

وفي السنة ٦٤٤ قتل خنقاً الشيخ تاج العارفين شمس الدين الحسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن مسافر ، حفيد أبي البركات الشيخ عديّ ، قتله بدر الدين لؤلؤ ، احتال عليه حتى حضر إليه ، فحبسه ، وخنقه بوتر ، وكان تاج العارفين معظماً عند العدوية ، وبلغ من تعظيمهم له إنّ واعظاً قدم علي الشيخ حسن فوعظه ، فرّق قلبه وبكى ، وغشي عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فقتلوه ، فلما أفاق الشيخ رآه يتشحّط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أيش هو هذا الكلب حتى يبكي سيّدنا الشيخ ، فسكت حفظاً لحرمة نفسه (شذرات الذهب ٥/ ٢٢٩) .

وفي السنة ٦٤٦ جهّز الملك الصالح أخاه العادل ، وكان معتقلاً عنده بمصر ، لينفيه إلى الشوبك ، فدخل عليه محسن الخادم ليكلّمه في السفر ،

فغضب منه ورماه بدواة كانت عنده ، فخرج وأخبر الصالح ، فقال له الصالح : دبّر أمره ، فأخذ معه ثلاثة أشخاص ودخلوا عليه ، وخنقوه بشاش ، وعلّقوه به ، وأظهروا إنّه شنق نفسه . (النجوم الزاهرة ٦/٣١٢) .

وفي السنة ٦٥٥ قتل شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي ، مخنوقاً في سجنه ، وهو من وزراء دولة المماليك البحرية بمصر ، خدم الملك الفائز ، ومن بعده الكامل ، ثم ولده الصالح ، واستوزره المعزّ ، ثم ولده المنصور ، ثم قبض عليه قطز ، مدبّر دولة المنصور ، وقتله في السجن خنقاً . (الاعلام ٩/٦٠) .

وذكروا أنّ شجرة الدر ، أمّ خليل ، خنقت وزيرها الأسعد شرف الدين الفائزي (الذيل على الروضتين ١٩٦) ، وقتلت زوجها السلطان عزّ الدين أيبك ، بمصر ، أمرت مماليكها فخنقوه في الحمام ، في السنة ٦٥٥ (الاعلام ٣/٢٣١ ، والوافي بالوفيات ٩/٤٧٢) ، وكانت عاقبة شجرة الدر « ملكة المسلمين ،وأمّ خليل أمير المؤمنين » أن قتلت ضرباً بالقباقيب في السنة ٦٥٥ (الاعلام ٣/٢٣١) .

وفي السنة ٦٦١ أقرّ زوجان ، بأنّهما كانا يحتالان على النساء ويخنقانهنّ ، من أجل حليهنّ ، فخنقت المرأة ، وجعلت في جولق ، وسمّر زوجها في خشبة ، وفي اليوم الثاني خنق بحبل (الذيل على الروضتين ٢٢٢) .

وفي السنة ٦٦٢ قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر ، تسلطن بالكرك ، ثم سلّم الكرك للملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، ونزل إليه ، فخنقه صاحب مصر ، وكان عمّه قد خنق أباه ، وعاش كلّ منهما ثلاثين سنة (شذرات الذهب ٥/٣١٠) .

أقـول : ذكر أبـو الفـدا في تـاريخـه المختصـر ٢١٦/٣ و٢١٧ إن قتـل الملك المغيث حصل في السنة ٦٦١ وإنّه قتل ضرباً بالقباقيب ، راجـع الخبر في كتابنا هذا ، في الباب الثالث : الضرب ، في الفصل الثاني : الصفع .

وفي السنة ٦٦٣ اتّفق معين الدين سليمان البرواناه ، مع التتـر المقيمين معه ببلاد الروم ، على قتل ركن الدين قليج أرسـلان ، سلطان الروم ، فخنق التتـر ركن الدين المـذكور بـوتر ، وأقـام البروانـاه مقـامـه ولـده غيـاث الـدين سلطاناً ، وعمره أربع سنوات (المختصر في تاريخ البشر ٥/٤) .

وفي السنة ٦٧٦ قبض الملك السعيد ، على الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني وخنقه (الوافي بالوفيات ٣١٠/٩ و٣١١) .

وفي السنة ٦٨٩ اعتقل الأشرف خليل ، الأمير طرنطاي ، وأمر به فخنق (بدائع الزهور ١٢٢/١) .

وفي السنة ٦٩١ لما عـاد الملك الأشرف خليـل بن المنصور قـلاوون ، إلى الديار المصـرية ، قبض على الأميـر شمس الدين سنقـر الأشقر ، والأميـر سيف الـدين جرمـك الناصـري ، وغيرهـمـا ، وأمر بحبسهم فحبسـوا، ثم أمر بـأخراجهم مـع من في الحبس من الأمراء ، وأن يخنقـوا قدّامـه ، فـأخـرجـوا وخنقوا قدّامه ، وهم الأمير سيف الدين الهاروني ، والأمير بدر الدين بكتوت ، والأمير سيف الدين جرمك ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأميـر ركن الدين بيبرس طقصوا الناصري ، وجماعة سواهم ، وجاءوا بالأمير حسام الدين لاجين الصغير، الذي كان نائب دمشق ، آخر الجماعـة (سيرة الملك المنصور ٢٦٩) .

أقول : ذكر صاحب النجوم الزاهرة ١٣/٨ و١٤ و٣٧ إنّ خنقهم حصل في

السنة ٦٩٠ بينما أورد ابن الفرات في تاريخه ١٤٦/٨ أن خنقهم حصل في السنة ٦٩٢ كما ذكر إنّ الأمير حسام الدين لاجين نائب دمشق ، لما وضع الوتر في رقبته وأرادوا خنقه ، انقطع الوتر ، فرقّ له الأمراء ، وشفعوا فيه ، فعفا عنه السلطان ، وهو الذي تولّى السلطنة في السنة ٦٩٥ .

وفي السنة ٧٠٨ اشتد تحكم بعض الامراء المماليك بالملك الناصر ، فالتجأ إلى قلعة الكرك ، وعاد إلى الملك في السنة ٧٠٩ فقاتل الملك بيبرس الذي خلفه في السلطنة، وأسره ، وأحضره أمامه ، وأمر بخنقه بين يديه ، فخنق بوتر (النجوم الزاهرة ٢٧٥/٨ والاعلام ٢٣٣/٧ وبدائع الزهور ١٥٤/١) .

وفي السنة ٧١٨ قام الأمير أبو الحسن علي المريني ، باعتقال منديل بن محمد بن محمد الكتّاني الكاتب ، واستصفى أمواله ، ثم قتله في الحبس خنقاً ، وقيل جوعاً (ابن خلدون ٢٤٦/٧) .

وفي السنة ٧٣٤ قبض الملك المجاهد سيف الدين علي بن رسول على الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن رسول ، وسجنه شهرين ، ثم خنقه بقلعة تعز . (النجوم الزاهرة ٣٠٢/٩) .

وفي السنة ٧٣٢ قبض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير ألماس الحاجب الناصري ، اتّهمه بأنّه يسعى في إزالة دولته ، وخنق بعد ثلاثة أيّام من اعتقاله (الدرر الكامنة ٤٣٨/١) أقول : ذكر المقريزي في خططه ٣٠٧/٢ إن ذلك حصل في السنة ٧٣٤ .

وفي السنة ٧٣٤ قتل السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني ، أخاه أبا علي عمر ، فصداً وخنقاً ، وسبب ذلك : انّ عمر هذا كان

ولي عهـد أبيه السلطان عثمـان ، وفي السنة ٧١٤ خـرج على أبيه ، وقـاتله ، وجرحه ، وخلعـه ، وتسلطن في موضعـه ، ثم اتفق مع أبيـه ، فعاد الأب إلى عرشه ، وتولّى عمر مدينة سجلماسة ومـا والاها مستقـلاً ، ثم عاود الانتقـاض على أبيه فلم يفلح ، وعفا عنه أبوه ثانياً ، كما عفا عنه أوّلاً ، ولما مـات الأب خلفـه ولده أبـو الحسن علي ، فخامـر عمر على أخيـه ، وحـاربـه ، فـانتصـر علّي ، وأسـر أخاه عمـر ، واعتقله ببعض حجر قصـره ، ثم قتله فصدا وخنقـاً (الاعلام ٥/٢١٤ ونفح الطيب ٥/١٥٦) .

ولمـا قبض على الأميـر تنكـز ، نـائب دمشق ، رسم السلطان بخنقـه ، فخنق في السنة ٧٤٠ (بدائع الزهور ١/١٧٢) .

وفي السنة ٧٤١ قتل خنقاً ، الوزير أمين الدين عبد الله ، وكان قـد ولي الوزارة ثلاث مرات ، وكان قد اعتقل هو وولده تاج الدين ناظر الدولة ، وكريم الـدين مستـوفي الصحبـة وبسط عليهم العـذاب ، وخنق أمين الدين من بينهم (الدرر الكامنة ٢/٣٥٨) .

وفي السنـة ٧٤٢ وقعت حـروب واختـلافـات بين الأمـــراء في الـدولـــة المصـريـة ، فقبض على الأميـر قـوصـــون وعلى الأميـر الـطنبغـا الحـــاجب الناصري ، وحملا إلى الاسكندرية ، فخنقا هناك مع آخـرين (الدرر الكـامنة ١/٤٣٧) .

وفي السنـة ٧٤٣ حشد خليـل بن السلطان أليسور (سمّـاه زامبـاور علي خليـل الله ص ٣٧٠) عسكراً ، وحـارب بـوزون خـان التتـار سلطان مـا وراء النهر ، فوقع بوزون أسيراً ، فأمر به خليـل فقتل خنقـاً بأوتـار القسيّ ، وكانت تلك عـادتهم أنّهم لا يقتلون من كان من ابنـاء الملوك إلا خنقاً (مهـذب رحلة ابن بطوطة ١/٣١٣) .

وفي السنة ٧٤٤ قتل خنقاً أمير سيواس الحسن بن تمرتاش بن جوبان ، خلف أباه في إمرة سيواس لما قتل في السنة ٧٢٨ وكان ماكراً بعيد الغور ، قيل إنّه تهدّد زوجته ، فأمرت خمسة أنفس ، تسلّلوا إليه وخنقوه (الدرر الكامنة ٢/٩٦ و٩٧) .

وفي السنة ٧٤٥ قبض على القاضي جمال الدين ابراهيم ، المعروف بجمال الكفاة ، بالقاهرة ،وضرب بالمقارع ، وخنق ، وكان ناظر الخاص في مصر . (خطط المقريزي ٢/٧٦) .

وفي السنة ٧٤٧ وثب الأمراء المماليك ، بمصر ، بالكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد سجن أخويه ، وأراد قتلهما ، فاعتقلوه ، وسلطنوا أحد أخويه وبعثوا إليه في السجن من قتله خنقاً (شذرات الذهب ٦/١٥١ والاعلام ٣/٢٤١ وبدائع الزهور ١/١٨٦) .

وفي السنة ٧٤٧ كان الأمير سيف الدين آل ملك على صفد ، وطلب الحضور للقاهرة ، فرسم له السلطان بذلك ، ولما وصل إلى غزّة ، أمسكه نائبها ، ووجّهه إلى الاسكندرية حيث قتل خنقاً . (خطط المقريزي ٢/٣١٠) .

وفي السنة ٧٤٧ أمر الملك المظفر ، بقتل الأمير شجاع الدين غرلو ، فخنق . (بدائع الزهور ١/١٨٧) .

وفي السنة ٧٤٧ أمر السلطان الملك المظفر حاجي ، بقتل أميرين من أمرائه فخنقا ، ثم أمر بخنق أمير ثالث ، فخنق (بدائع الزهور ١/١٨٧ و١٨٨) .

وفي السنة ٧٤٧ خلع الملك المظفر حاجي ، وخنق ليلاً . (بدائع الزهور ١/١٨٩) .

وفي السنة ٧٤٨ خنق بقابون ، الأمير يلبغا بن طابطا الساقي الناصري ، وكان أثيراً جدّاً عند السلطان الملك الناصر ، ثم ولي لولده الصالح اسماعيل نيابة السلطنة في حماة ، ثم نيابة حلب ، ثم نيابة دمشق ، وفي أيام المظفّر حاجي ، أراد اعتقاله ، ففرّ منه ، فلجأ إلى حماة ، فأكرمه نائبها قطليجا ، ولما دخل الحّمام أمسكه وأمسك أباه وإخوته وولده والأمير أسندمر ، وجهّزهم إلى القاهرة ، وكان آخر أمره أن خنق بقابون (الدرر الكامنة ٥/٢١٢و٢١٣) .

وفي السنة ٧٤٩ تحرّك الأمر أبو عنان فارس بن علي المريني ، ضد أبيه السلطان أبي الحسن ، وأراد أخذ السلطنة منه ، وبايعه قسم من الناس ، واتّهم وزيره الحسن بن سليمان ، بأنّه يكاتب أباه السلطان أبا الحسن سرّاً ، فقتله خنقاً ، ثم حصر فاس ، واستولى عليها ، وقتل واليها منصوربن أبي مالك (ابن حلذون ٧/٢٧٨ - ٢٨٠) .

وكان السلطان أبو عنان فارس المريني ، قد خرج على أبيه السلطان أبي الحسن علي المريني ، وآستمر محارباً له ، حتى مات الأب ، وآستقرّ أبو عنان في السلطنة بلا منازع ، ونفى أخويه أبا الفضل وأبا سالم إلى الاندلس ، فاستقرّا عند صاحب غرناطة ، ثم بدا لأبي عنان ، فطالب صاحب غرناطة بإعادتهماإليه ، فامتنع ، والتحق أبو الفضل بالطاغية (صاحب قشتالة) الذي جهّز له اسطولاً أنزله بالمغرب في السنة ٧٥٤ وجمع جمعاً حارب به أخاه أبا عنان ، ولكّن جمعه آنفلّ ، وفرّ أبو الفضل إلى جبال المصامدة ، واستجار بابن حميدي ، فأجاره ، فبعث إليه أبو عنان يتهدّده ، ويغريه ، ويبذل له ، فأسلمه في السنة ٧٥٥ ألى أتباع أبي عنان ، فاعتقله ، وخنقه في الحبس (ابن خلدون ٧/١٢٤و ٢٩٤) .

وفي السنة ٧٥٩ مرض السلطان أبو عنان فارس بن علي المريني ، صاحب المغرب ، فتآمر بعض أصحابه ، على قتل ابنه أبي زيان المرشّح لولاية العهد ، ونصب أخيه السعيد ، وكان طفلا خماسياً (في الخامسة) ،

فباكروا دار السلطان ، وقبضوا على وزيريه موسى بن عيسى ، وعمر بن ميمون ، فقتلوهما ، وأجلسوا السعيد للبيعة ، واحتالوا على الأمير أبي زيان ، فأحضروه ، وبعد أن بايع أخاه الطفل ، أخذوه إلى حجرة من حجر القصر ، فقتلوه ، ثم أدخل الوزير على السلطان أبي عنان ، من غطّه (خنقه) في فراشه حتى قتله (ابن خلدون ٧/٢٩٩ و٣٠٠) .

وفي السنة ٧٦٠ قبض السلطان على الأمير طرغتمش ، وخنق في السجن . (بدائع الزهور ١/٢٠٨) .

وفي السنة ٧٦٨ أراد السلطان أبو زيان محمد المريني ، صاحب المغرب ، أن يتخلّص من وزيره عمر بن عبد الله بن علي ، وأحسّ الوزير بذلك ، فدخل على السلطان ، وهو في مجلس لهوه ، فطرد ندماءه ، ثم تناوله غطّاً (خنقاً) حتى مات ، وألقاه في بئر ، واستدعى الخاصّة ، وأخبرهم بأن السلطان كان ثملاً ، وسقط عن دابته في البئر (ابن خلدون ٧/٣٢٣) .

وكان إدريس بن عثمان ، فرّ من السلطان أبي عنان ، سلطان المغرب ، ولجأ إلى غرناطة ، واشترك هناك في مؤامرة على السلطان اسماعيل بن الحجّاج ، ولما عاد السلطان أبو عبد الله المخلوع إلى عرشه في غرناطة ، فرّ إدريس وجماعته إلى صاحب قشتالة ، فقتل صاحب قشتالة من اشترك منهم فعلاً في المؤامرة ، وحبس الباقين ، ومنهم إدريس ، في إشبيلية ، وفرّ إدريس من معتقله ، بمداخلة مسلم من الاسرى ، أعدّ له فرساً إزاء معتقله ، ففكّ قيده ، ونقب البيت ، وآمتطى الفرس ، ولحق بأرض المسلمين في السنة ٧٦٦ ، وقصد صاحب غرناطة ، فأكرمه ، ولكنّ إدريس استأذنه في اللحاق بالمغرب ، فأذن له ، فلما أجاز إلى سبته ، اعتقله صاحبها بأمر من الوزير عمر بن عبد الله ، ثم نقل إلى سجن الغدر ، بفاس ، حيث قتل خنقاً في السنة ٧٧٠ (ابن خلدون ٩/٣٧٦ .

وفي السنة ٧٧٦ قتل الوزير لسان الدين بن الخطيب خنقاً في محبسه ،

وكان ابن الخطيب قد لجأ في السنة ٧٧٣ ألى حمى السلطان عبد العزيز بن علي المريني ، فحماه ، وبعث سفيراً ألى غرناطة فأحضر أفرادأسرة ابن الخطيب إلى المغرب معزّزين مكرمين ، فتظافر خصوم ابن الخطيب في غرناطة ، ومنهم جماعة كان ابن الخطيب قد أحسن إليهم ، ورفع من شأنهم ، فكفروا بإحسانه ، وأحرقوا كتبه ومؤلفاته في ساحة غرناطة ، وأصدر القاضي أبو الحسن ، قاضي غرناطة ، وهو من صنائع ابن الخطيب ، حكماً شرعياً صرّح فيه بإلحاد ابن الخطيب وزندقته ، وصادق عليه سلطان غرناطة ، وبعث به إلى سطان المغرب ، مع رسل منه ، يطلب منه إنفاذ حكم الشرع في ابن الخطيب ، بإعدامه ، فردّ سلطان المغرب الرسل ردّاً قبيحاً ، وزاد في العناية بابن الخطيب ، وتوفّي السلطان في السنة ٧٧٤ وخلفه ولده أبو زيّان محمد الملقّب بالسعيد ، وكان صبيّاً ، فأغرى ابن الأحمر سلطان غرناطة ، أميراً من بني مرين وهو أبو العباس أحمد بن ابراهيم بطلب عرش المغرب ، وأمّده بالمال والسلاح ، فتمكّن ، وآستولى ، وتسلطن في السنة ٧٧٦ وكان أوّل ما طلبه سلطان غرناطة من صنيعته السلطان الجديد أحمد ، أن يعتقل ابن الخطيب ، فآعتقله ، وتآمر الجميع على هلاكه ، فنصبوا له مجلساً صورياً ، أجرى له محاكمة صورية مخزية مضحكة ، وكان الحكم فيها بالإعدام منتظراً ، فعزّروه ، وأهانوه ، وعذّبوه ، ثم أخذوه إلى حبسه ، حيث دسّوا إليه من الرعاع ، من قتله خنقاً ، في السنة ٧٧٦ ، ثم أخذت جثّته من الغد ، فأضرمت فيها النار ، فآحترق شعره وبشرته ، وهكذا ذهب هذا الكاتب الشاعر المفكّر ضحيّة الجهالة والتعصّب ، والأحقاد السياسيّة الوضيعة ، وكان آخر ما قاله ابن الخطيب ، وهو في سجنه قبل قتله : (الاحاطة في اخبار غرناطة ٤٩ - ٥٨) .

فقل للعدا ذهب آبن الخطيب   وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منكم به   فقل : يفرح اليوم من لا يموت

وفي السنة ٧٧٨ خرج السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، للحجّ ، وصحبه الخليفة والأمراء ، فلما وصلوا إلى العقبة ، ركب عليه من معه من الأمراء والجند ، فانكسر السلطان ، ورجع هارباً إلى مصر ، واستتر في بيت مغنيّة ، وعرض طشتمر على الخليفة أن يتسلطن ، فأبى ، وقال : اختاروا من شئتم وأنا أولّيه ، وعاد هو والقضاة إلى مصر ، ثم ظفروا بالاشرف ، فقتلوه خنقاً . (الدرر الكامنة ٢ /٢٨٨) .

أقول : روى صاحب النجوم الزاهرة القصة بتفصيل أوفى ، قال :

وفي السنة ٧٧٨ قبض الأمراء بالقاهرة ، على السلطان الملك الاشرف ، صاحب مصر والشام ، وكان قد فرّ منهم ، واختبأ في بادهنج (بادكير) البيت ، وعليه قماش النساء ، فأمسكوا به ، وألبسوه عدّة الحرب ، وحملوه إلى قلعة الجبل ثم خنقوه ، ووضعوا جثته في قفّه ، وخاطوها ، ورموها في بئر ، فظهرت رائحته بعد أيّام ، فأخرجه خدمه ، ودفنوه (النجوم الزاهرة ١١ /٧٥ و٧٦) .

وفي السنة ٧٧٩ اعتقل بمدينة غزّة ، الأمير قرطاي ، ونفي إلى طرابلس ثم حمل إلى المرقب حيث قتل خنقاً . (النجوم الزاهرة ١١ /١٥٤) .

وفي السنة ٧٩٢ قبض الظاهر برقوق على الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة ،وكان قد انحاز إلى خصومه ، فأحضر إليه وهو في الرملة ، فأمر بضربه ، فضرب أربعة وعشرين شيباً ، والنساء تزغرد ، ولما وصل الظاهر إلى غزّة ، ضرب ابن باكيش فيها مائة وعشرين شيباً ، ولما وصل إلى القاهرة ، أحضره بالإصطبل ، وعرّاه ، وضربه بالمقارع ، ثم رسم لوالي القاهرة بأن يحضره ويضربه ، فأحضره وعصره ، وفي السنة ٧٩٣ أمر الظاهر بقتله ، فقتل خنقاً في محبسه بخزانة شمائل (تاريخ ابن الفرات ١٨٨/٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨١)

وفي السنة ٧٩٣ خنق والي القاهرة حسام الدين حسين بن الكوارين ، بأمر من السلطان برقوق ، بعد أن عذّب عذاباً شديداً ، وضرب ضرباً مبرّحاً ، وقيّد بقيد ثقيل ، وسحب في الحديد ، وعصر ، ونهبت داره (بدائع الزهور ١/٢/٤٤٥ ونزهة النفوس ٣٣٩) .

أقول : كان الأمير حسام الدين الكوراني ، يلي ولاية القاهرة ، ولما حصل الاختلاف في السنة ٧٩١ بين السلطان الملك الظاهر برقوق والأمير منطاش بالقاهرة ، واستولى منطاش على الحكم أخذ والي القاهرة يتقرّب إلى منطاش ، وتوجّه إلى حيث عائلة السلطان برقوق ، وأخرجهنّ من دورهنّ إخراجاً عنيفاً ، وسبّهن وسبَّ الملك الظاهر ، وأخرجهنّ حواسر وجواريهنّ مسبيّات ، وهنّ في بكاء وعويل (النجوم الزاهرة ١١/٣٦٦) وروي إنّه من أجل أن يثير برقوق من استتاره قبض عى زوجته وعاقبها (أي عذّبها) لتدلّه على مكان استتار زوجها (نزهة النفوس ٢٢٣) فلما استعاد الملك الظاهر السلطنة ، قبض على الأمير حسام الدين الكوراني ، وقيّده بقيد ثقيل جداً ، وضرب ، وعصر ، وعوقب أشدّ عقوبة ، ونهبت داره (النجوم الزاهرة ١١/٣٧٨) ثم شدّد العذاب عليه (النجوم الزاهرة ١١/٣٧٩) وجرّع ألوان العذاب ، وضرب في سجنه ضرباً مبرّحاً (النجوم الزاهرة ١٢/٧ و١٢٣) وفي عاشر شعبان من السنة ٧٩٣ خنق في سجنه (نزهة النفوس ٣٣٩ والنجوم الزاهرة ١٢/١٢٣) .

وفي السنة ٧٩٣ قتل خنقاً في سجن الجرائم بالقاهرة ، القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر القرشي ابن الواعظ، قاضي الشام ، وكان قد أعان على خلع السلطان برقوق ، ولما حاصر برقوق دمشق ، قام القرشي في وجهه ، وحرّض عليه العوامّ ، ولما انتصر برقوق ، قبض عليه ، وحمل الى مصر ، وحبس بسجن الجرائم في القاهرة ، وقتل فيه خنقاً (الدرر الكامنة ١/٢٤٦) .

أقول : زاد ابن الفرات ٩/ ٢٥٦ بأنّه خنق بعد أن ضرب مراراً بالمقارع والعصي ، أما صاحب الضوء إلى اللامع ، فقال :

لما انتصر السلطان الظاهر على الأمير منطاش ، قبض على القاضي شهاب الدين بن أبي الرضا ، واستصحبه معه كالأسير ، لأنّه كان أشد من ألّب عليه في تلك الفتنة ، ألى أن هلك معه من دون سبب ظاهر للهلاك ، فاتّهم الظاهر بأنه دسّ عليه من خنقه (الضوء اللامع ٦/ ٢٣٠)

وفي السنة ٧٩٤ رسم السلطان بمصر ، بخنق بعض الأمراء ، فخنقوا (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٤٥١) .

أقول : روى صاحب نزهة النفوس (ص ٣٥٠) القصّة باختصار ، فقال : في ثامن عشره « انفذ أمر الله وقضاؤه » في عدّة من الأمراء ، فقتلوا ، ومنهم الأمير قرا دمرداش والأمير تغاي تمر نائب سيس .

ومن مساوىء الاشرف خليل ، أنّه خنق سبعة من الامراء المقدّمين في ليلة واحدة (بدائع الزهور ١/ ١٢٨) .

وفي السنة ٧٩٤ مات الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله بن يوسف البيري الحلبي « الفاضل الكامل الاديب ، الكاتب المنشىء الناشر » مخنوقاً (نزهة النفوس ٣٥٣) .

أقول : ذكر صاحب النجوم الزاهرة ١٢/ ١٣٢ إن مقتل الشيخ علاء الدين كان في السنة ٨٠١ وهو وهم ، وجاء في إعلام النبلاء ٥/ ١١٢ إنّ الشيخ علاء الدين اتّصل بالأمير يلبغا الناصري الذي شارك في خلع الظاهر برقوق ، فلما عاد برقوق إلى السلطة ، وقتل الأمير يلبغا الناصري ، قبض على الشيخ علاء الدين وحمله إلى القاهرة .

وفي السنة ٧٩٨ قبض على الأمير محمد بن جمال الدين ،وسجن بالبرج ، وسلّم إلى علاء الدين الطبلاوي ، والي القاهرة ، فعاقبه أشدّ

العقوبة ، وعصره بالمعاصير ، حتى أشرف على الهلاك ، ثم خنق في السنة ٧٩٩ (بدائع الزهور ١/٢/٤٧٩ و٤٨٩) .

أقول : الذي في نزهة النفوس (ص ٣٤٢ و٤٠٤ و٤٢٤ و٤٤٧) أنّ الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود الاستادار استقرّ في السنة ٧٩٤ نائباً للسلطان في الاسكندرية ، وفي السنة ٧٩٧ قدم من الإسكندرية وقدم للسلطان تقدمة عظيمة من الذهب والحرير والخيول ، « فقبلت وشكرت » ، وفي السنة ٧٩٨ سلّم ناصر الدين إلى والي القاهرة ابن الطبلاوي ، فأهانه ، وأخرق به ، وجرّده من ثيابه ليضربه بحضور الخاصّ والعامّ ، فقال له : يا أمير ، قد رأيت عزّنا وما كنّا فيه ، وقد زال ، وعزّك أيضاً ما يدوم ، وفي السنة ٧٩٩ ضرب « فوق اربعمائة عصاة وسعّط » ولكن الذي مات في هذه السنة هو أبوه الأمير محمود ، وقد أثبتنا خبر وفاته في هذا الكتاب في الباب العاشر : ألوان من العذاب ، الفصل الأول : تعذيب العمّال المصروفين .

وفي السنة ٧٩٩ قبض على الوزير المعروف بابن البقري (سعد الدين نصر الله ، وكان والي القاهرة) وصودر ، وعوقب ، وضرب ضرباً شديداً ، وأخرج نهاراً وهو عاري البدن ، مكشوف الرأس ، مربوطاً بجيل يجرّ به ، وثيابه مضمومة بيده ، ثم خنق (خطط المقريزي ٢/٩٦) .

وفي السنة ٨٠٠ اتّهم السلطان بمصر ، الأمير علي باي ، بالتآمر عليه ، فاعتقله ، وأحضره ، وأحضر المشاعلي ، وأحضر المعاصير ، وعصر بحضرته ، وفي اليوم الثاني عذّب بين يدي السلطان عذاباً شديداً ، حتى كسرت رجلاه وركبتاه ، ثم إنّ السلطان ضربه بعكّاز كان في يده من الفولاذ ، فخسف صدره ، فأخذ الى الخارج ، وخنق (بدائع الزهور ١/٢/٥٦و٥٠٧) .

أقول : روى صاحب نزهةالنفوس ٤٦٦ ـ ٤٧١ قصّة مؤامرة الأمير علي باي على السلطان بتفصيل ، فراجعها هناك .

وفي السنة ٨٠٢ أمر السلطان بدمشق ، بخنق الأمير تنم نائب الشام ، والأمير يونس الرمّاح ، فخنقا (بدائع الزهور ١/٢/٥٨٣) .

ولما فتح تيمورلنك دمشق في السنة ٨٠٣ كان من جملة ما عذّب به الدمشقيون ، أن يربط رأس المعذّب بحبل ، ثم يلوى حتى يغوص في لحمه ، وكلما قارب الموت ، خلّي عنه ، ثم يعاد تعذيبه ، ويكرّر عليه العذاب حتى يموت ، ثم يعذّب وهو ميت ، لظنّهم إنّه يتماوت (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وفي السنة ٨٠٦ عاد السلطان أحمد بن أويس إلى العراق ، وقصد الحلّة حيث كانت تحت حكم ولده طاهر ، فتشوّش منه ولده طاهر وبقيّة الأمراء ، وحاربوه ، فاستنجد السلطان أحمد ، بقرايوسف صاحب أذربيجان ، فأنجده بجيش جاء على رأسه ، وانتصر السلطان أحمد في المعركة ، ومات ولده طاهر ، ثم تشوّش السلطان أحمد من قرايوسف ، وطلب منه أن يرسل معه أتابكه يوسف ، معتمداً ، ليسلّم اله مالاً وقماشاً وأجناساً ، فلما قدم السلطان أحمد بغداد ، قتل يوسفاً أتابك قرايوسف ، فبلغ قرايوسف الخبر ، فقصد بغداد ، فهرب السلطان أحمد إلى الشام ، ودخل قرايوسف بغداد ونهبها ، وبعد قليل وصلت طلائع جيش أبي بكر بن ميرزاده ميران شاه إلى بغداد ، وتصدّى له أمراء آخرون ، فانتصروا على قرايوسف وقتل في المعركة يار علي أخو يوسف ، وأسرت امرأة قرايوسف أمّ اسكندر وأسبان ، وفرّ قرايوسف إلى الشام ، فاتّفق أنّ سلطان مصر قبض عليهما وحبسهما في موضع واحد ، فتصالحا ، ولما مات تيمور أطلقا ، فلما وصلا إلى الرها ، تعاهدا ، وتحالفا على أنّ تبريز وأعمالها ليوسف ، وبغداد وأعمالها للسلطان أحمد ، وكان ذلك في السنة ٨٠٨ ثم إنّ علاء الدولة بن السلطان أحمد ، قصد أذربيجان على رأس جيش ، لطرد قرايوسف عنها ، فحاربه يوسف ، وأسره ، فكتب

إليه السلطان أحمد ، يطلب إطلاق ولده ، فأبى ، لاعتقاده بأنّ مجيء علاء الدولة على رأس الجيش ، إنّما كان يأمر من أبيه السلطان أحمد الذي غدر به وحنث باليمين التي حلفها له لما عادا من الشام ، وعند ذلك جيّش السلطان أحمد جيشاً ، وقصد قرايوسف ، فاشتبكا في معركة كانت عاقبتها أن انفلّ جيش السلطان أحمد ، ووقع أسيراً في يد يوسف في السنة ٨١٣ فأراد يوسف استبقاءه ، فأصرّ أمراؤه على قتله، فقال لهم : أنا لا أقتله ، وشأنكم وما تريدون ، فقتلوا السلطان أحمد خنقاً ، كما قتل ولده علاء الدولة (تاريخ الغياثي ٢٠٦ - ٢١٠ و٢٣٩ - ٢٤١) .

وفي السنة ٨١٢ قتل خنقاً ، في السجن بدمشق ، محمد بن موسى الدمشقي ، بأمر جمال الدين الاستادار ، حقد عليه تصرّفاً تصرّفه معه أيّام كان خاملاً بحلب ، وكان محمد موقّع الدست في حلب (الضوء اللامع ١٠/٦٣) .

وفي السنة ٨١١ قبض على الأمير يلبغا السالمي ، وأسلم إلى خصمه الأمير جمال الدين يوسف ، فعاقبه ، وبعث به إلى الاسكندرية ، فاعتقل بها ، وسعى جمال الدين في قتله بمال بذله للناصر ، فأذن له في قتله ، فخنق في عصر يوم الجمعة ، وهو صائم (خطط المقريزي ٢/٢٩٢ وشذرات الذهب ٧/٩٥ و٩٦) .

وجاء في الضوء اللامع ما يلي : وفي السنة ٨٠٣ قبض على الأمير يلبغا الظاهري ، الاستادار بالقاهرة ، وأهين ، وعوقب (أي عذّب) وعصر ، ونفي إلى دمياط ، ثم أعيد في السنة ٨٠٥ وتقرر في الوزارة ، ثم قبض عليه ، وعوقب ، وحبس ، ثم أطلق في السنة ٨٠٧ ، وأسلم إلى جمال الدين الاستادار ، وكان قد نبت بينهما عداء ، فعذّبه ونفاه إلى الإسكندرية ، ثم بذل فيه جمال الدين مالاً جزيلاً ، فأذن له في قتله ، فقتل في محبسه خنقاً ، وهو صائم في رمضان ، يوم الجمعة ، بعد صلاة العصر ، في السنة

٨١١ ، ولم يعش جمال الدين بعده إلا عشرة أشهر (الضوء اللامع ١٠/٢٩٠) .

وفي السنة ٨١٢ جاء دور الأمير جمال الدين يوسف ، إذ قبض عليه السلطان وهو بدمشق ، وضربه « علقة مرعدة » ثم قتله في السجن خنقاً (بدائع الزهور ١/٢/٧٩٥ و٧٩٩) .

وقد أثبت صاحب الضوء اللامع ، الخبر ، بتفصيل أوفى ، قال : وفي السنة ٨١٢ قبض السلطان الناصر على الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد الاستادار ، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً في المملكة ،فلم يزل أعداؤه بالناصر يغيرونه حتى أمر بالقبض عليه ، وعلى ولده ، وحاشيته ، وأوقع الحوطة على موجوداته ، وأسلمه ألى أعدائه ، فقتلوه في حبسه خنقاً ، قتله حسام الدين والي القاهرة ، وقطع رأسه وأحضرها أمام السلطان ، فردّها وأمر بدفنه (الضوء اللامع ١٠/٢٩٧) .

وفي السنة ٨١٤ قتل خنقاً أحمد بن أخت جمال الدين الاستادار ، وأخو حمزة ، وكان ممن صودر في محنته مع أقربائه وآله (الضوء اللامع ٢/٢٦٠) .

وفي السنة ٨١٤ خامر الأمير تمراز الناصري ، على السلطان الناصر ، فآل أمره أن قتل خنقاً (الضوء اللامع ٣/٣٨) .

وفي السنة ٨١٦ قتل خنقاً في الحبس والعذاب ، فتح الدين ، فتح الله بن مستعصم التبريزي ، كاتب السرّبالديار المصرية ، غضب عليه السلطان المؤيد لشيء بلغه عنه ، فأمر بحبسه وتعذيبه ، فحبس وعذّب وخنق (الضوء اللامع ٦/١٦٦ وخطط المقريزي ٢/٦٣) .

وفي السنة ٨٢٤ توفيّ الملك المؤيد شيخ ، فأعلن الأتابك الطنبغا العصيان ، وتحصّن بدمشق ، فخرج الأمير ططر أتابك العسكر ، ومعه الملك

المظفّر أحمد بن شيخ ، وهو طفل ، ولما دخل ططر دمشق ، استسلم إليه الأتابك الطنبغا ، والأمير جقمق ، فأمر بهما فحبسا ، ثم قتلهما خنقاً ، ثم عزل الملك المظفّر ، وأعلن سلطنته ، ولكّن سلطنته لم تدم إلا ثلاثة أشهر ومات (خطط الشام ٢/١٩٧) .

وفي السنة ٨٣٥ قبض الأمير أصبهان بن قرايوسف ، على السلطان حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس ، سلطان بغداد ، وكان قد أمّنه ، فأوعز إلى أصحابه ، أن يغروه بالهرب ، ليتّخذ من هربه حجّة على سقوط أمانه ، ففعلوا ، ولما فرّ ، قبض عليه وخنقه (تاريخ العراق للعزاوي ٣/٨١ وشذرات الذهب ٧/٢١٣) .

وذكر صاحب الضوء اللامع ٣/١٦٠ قصّة مقتل السلطان حسين بن علاء الدولة في الستة ٨٣٥ ، فذكر : إنّ تيمورلنك كان قد أسر حسيناً وأخاه حسناً ، وحملهما إلى سمرقند ، ثم أطلقهما ، فاتّصل حسن بالناصر فرج ، ومات عنده بمصر ، وأما حسين فتنقّل في البلاد ، إلى أن دخل العراق ، فوجد شاه محمد بن شاه ولد بن أحمد بن أويس ، وكان أبوه شاه ولد صاحب البصرة ، فلما مات خلفه شاه محمد ، فصادف السلطان حسين ، الشاه محمداً وقد حضره الموت ، فأوصى له بأملاكه ، فآستوى على البصرة وواسط وبقية أملاكه ، فطمع أصبهان (أسبان) شاه بن قرايوسف في حيازة تلك الأملاك ، وقصد السلطان حسين وحاربه ، فآنتمى السلطان حسين إلى الشاه رخ ابن تيمور ، فقوي وملك الموصل وإربل وتكريت ، ثم انقلب الحال ، وتغلّب أصبهان شاه ، وأخذ يدخل كلّ بلد ويحرقه حتى حصر حسيناً في الحلة ، وأعطاه الأمان ، فنزل ، فقتله خنقاً .

وفي السنة ٨٤١ قتل خنقاً الأمير تمراز المؤيّدي ، نائب صفد ، ثم نائب غزة ، جرى خنقه بسجن الإسكندرية (الضوء اللامع ٣/٣٨) .

وفي السنة ٨٥٨ قام قاضي حلب ، سالم بن سلامة بن سلمان الحموي ، بقتل ابن قاضي عينتاب خنقاً ، بغير مسوّغ ، فحبس القاضي سالم من أجل ذلك بقلعة حلب ، ثم خنق على باب محبسه (الضوء اللامع ٢٤٢/٣) .

وفي السة ٩٠٥ تحرّك الأمير جان بلاط (بولاد) على الملك الظاهر بالقاهرة ، وأعلن نفسه سلطاناً باسم الملك الأشرف ، فخالفه قصروه نائب الشام ، فسيّر إليه الأشرف جيشاً ، ولكنّ الجيش المسيّر اتّفق مع النائب قصروه ، وعادوا إلى القاهرة ، فحصروا الأشرف جان بلاط في السنة ٩٠٦ ، وخامر عسكر جان بلاط عليه ، فلم يبق معه أحد ، فصعد طومان باي إلى القلعة ، فاعتقل جان بلاط ، وحمله إلى الاسكندرية ، حيث قتل هناك خنقاً (الكواكب السائرة ١/ ١٧١) .

وكان القتل عند السلطان سليم العثماني (سلطنته ٩١٨ ـ ٩٢٦) من أسهل الأمور وأهونها ، وقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب تافهة ، ولما تسلطن خنق إخوته ، وغيرهم من أهل بيته وعددهم سبعة عشر نفراً ، حتى كان الأتراك يقولون : من أراد الموت ، فليكن وزيراً عند السلطان سليم (خطط الشام ٢ / ٢٣٠) .

وفي السنة ٩٢٤ قتل خنقاً في السجن ، المهدي بن أحمد القطبي ، رئيس جازان ، وكان قد سيّر أخاه عزّ الدين على رأس جيش لاحتلال زبيد فاحتلّها ، ثم كرّ راجعاً على أخيه المهدي ، فقبض عليه ، وخنقه في السجن (الاعلام ٨/ ٢٥٦) .

وفي السنة ٩٢٨ أمر السلطان سليمان العثمان بن السلطان سليم ، بقتل علي بيك شاه سوار وأولاده ، فقتلوا خنقاً ، وتفصيل القصّة : إنّ السلطان سليم العثماني ، قصد في السنة ٩٢٠ الشاه اسماعيل الصفوي ، سلطان العجم ، فمرّ بعساكره من طريق البيرة ، وكان بها نائب للغوريّ هو علاء

الدولة ، أخو شاه سوار ، فاعتدى أصحابه على أحمال ذخائر السلطان سليم ، وأخذوا منها شيئاً كثيراً ، فحقدها السلطان سليم على علاء الدولة ، ولما عاد من محاربة الشاه إسماعيل ، سيّر جيشاً إلى علاء الدولة ، صحبة سنان باشا الطواشي ، واشتبك مع عسكر علاء الدولة في معركة كانت عاقبتها أن آنفلّ جيش علاء الدولة ، وقتل هو وكان قد أناف على التسعين وقتل معه أكثر أولاده ، فقطعت رؤوسهم ، وبعث بها إلى السلطان الغوري ، ونصب السلطان سليم في موضع علاء الدولة ، ابن اخي علاء الدولة وهو علي بيك بن شاه سوار ، وفي السنة ٩٢٨ أرسل السلطان سليمان القانوني وزيره فرهاد باشا ، فلما وصل إلى مدينة توقات ، أرسل إلى علي بك يدعوه للمذاكرة معه ، فحضر مع ولده صارو أرسلان وعدّة من أولاده الآخرين ، فقبض عليهم فرهاد باشا ، وأمر بخنقهم ، فخنقوا بأجمعهم ولم يبق منهم أحد (اعلام النبلاء ٣/١١٦ ـ ١١٨ و١٧٦) .

وبناء على أمر من السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧) قتل خنقاً ، ولده بايزيد ، مع أربعة صبيان هم أولاد بايزيد ، تمّ إعدامهم في موضع واحد ، وفي وقت واحد ، وسبب ذلك : إنّ السلطان سليمان كان قد قسم مملكته بين أولاده الثلاثة ، مصطفى ، وبايزيد ، وسليم ، ووقعت حرب بين مصطفى وبايزيد ، فانكسر بايزيد ، ولجأ إلى ملك العجم الشاه طهماسب ، فأكرمه ، وجرت مراسلات بين السلطان سليمان والشاه طهماسب ، أدّت إلى أن بعث السلطان سليمان بعثة برئاسة خسرو باشا ، لقتل بايزيد ، ولما واجه خسرو باشا بايزيد ، عرف مصيره ، فاستمهل ليصلّي ركعتين ، فخنقه خسرو باشا وهو يصلّي ، ثم أحضروا أولاد بايزيد ، وهم أربعة ، فخنقوهم معه ، وأخذوا جثثهم إلى السلطان سليمان (تراجم الأعيان ١/٢٣٤ ـ ٢٣٧) .

وخنق الأمير جانم الحمزاوي ، بمصر ، فتى من أقرباء القاضي شرف الدين الصغيّر ، وسلّمه إلى أمّه مخنوقاً ، وتفصيل ذلك : إنّ الأمير جانم

الحمزاوي ، كان يحقد على القاضي شرف الدين ، فذهب إلى الباب العالي (اصطنبول) وسعى في قتل شرف الدين ، وحصل على مرسوم سلطاني بقتله ، فخاف شرف الدين ، وسافر بعده إلى اصطنبول ، فواجهه الأمير جانم في اسكدار ، وخدعه ، وجامله ، وعاد معه ، فلما وصلا إلى مصر ، أبرز المرسوم ، وسلّم شرف الدين إلى الصوباشي ، فعذّبه بالاسكنجة (الاسكنه ، فارسية : مثقب النجّار ، بريمه) ، واستصفى أموله وقتله ، ثم اعتقل فتى من اقرباء شرف الدين شاباً ما نمّ عذاره ، وكانت له أمّ حنون هو وحيدها ، وكانت مولعة به مجنونة بحبّه ، فدارت على جميع العلماء والصلحاء ، وتوسّلت بالمشايخ والأولياء ، وحملت الجميع على الأمير جانم ، ليعيد إليها ولدها ، فأظهر لهم إجابة سؤلهم ، ووعد بتسليمه في ليلة معيّنة ، ودسّ له السمّ ، فلم يعمل فيه ، فأمر بخنقه ، وسلّمه إلى أمّه مخنوقاً ، فلما قام الوالي سليمان باشا ، والي مصر، بقتل الأمير جانم الحمزاوي وولده ، وعلّق رأسيهما بباب زويلة ، تخلّقت (تحنّت) أمّ القاضي شرف الدين بالزعفران ، شماتة بهما وجاءت حتى وقفت تحت رأسيهما ، وأظهرت فرحها وحبورها (البرق اليماني ٧٣ ـ ٧٥) .

راجع في بحث الفتك ، القسم الأول من الفصل الأول : القتل بالسيف ، من الباب الحادي عشر القتل ، من هذا الكتاب ، كيفية قتل الأمير جانم الحمزاوي وولده في السنة ٩٤٤ .

وكان ابراهيم بن خضر باني القرمانية ، المتوفّى سنة ٩٤٦ من كبار التّجار بحلب ، وله عدّة مماليك ، اختلس واحد منهم شيئاً من ماله فسعى في قتله ، وصلبه مخنوقاً تجاه خان خير بك بحلب ، لكون الإختلاس جرى من مخزنه بهذا الخان (اعلام النبلاء ٦/٢٦) .

وفي السنة ٩٥٤ عاد الشيخ داود المرعشي إلى دمشق ، وكان من أكابر العلماء ، وهو شيخ الطائفة الأويسيّة ، فقتل خنقاً بأمر من السلطان ورد على

نائب دمشق ، بسبب ما بلغ السلطان عنه من كثرة أتباعه ، ودعـواه أنّ المهدي الذي يبعث آخر الزمان ، يكون من الأويسيّة (الكواكب السائرة ٢ /١٤٣) .

وفي السنة ٩٧٦ ولي مـصـر ، للسلطان سليم الثاني العثماني ، الوالي سنان باشـا ، فأمر بقتـل مصطفى بـك أحد أمـراء السناجق بمصـر ، والنجمي محمـد بـك ، أمـر اللواء بمصـر ، فلمـا وصـل إلى مصـــر ، طلب الأميـرين المذكورين ، وسلّمهمـا إلى القابجّيـة ، فنفّذوا فيهمـا الأمر السلطاني ، وخنقـا بالوتر، وضبطت مخلّفاتهما للديوان (البرق اليماني ٢١٠) .

وفي السنـة ٩٨٢ تـوفّي السلطان سليم بن السلطان سليمـان ، وفي يـوم دفنه خنق أولاده الخمسة ، خنقهم أخوهم مراد الذي خلف أباه في السلطنة . (خطط الشام ٢ / ٢٣٩) .

وفي السنة ١٠٠٢ جرى خنق منصـور بن فريـح في قلعة دمشق ، لـظلمه وجوره وتخريبه البلاد ، وكان قد التزم من الدولة العثمانية لواء صفد ، وكان في أوّل أمـره بدويـاً من خدّام ابن الحنش ، ثم تـرّقى بـه الحـال ، وآلتـزم أمـوالاً عظيمة على لواء صفد ، ولواء نابلس، وإمـارة الحاجّ ، وخـرّب بلاداً كثيـرة ، وقتل خلقاً كثيراً (خطط الشام ٢ /٢٤١ و٢٤) .

وفي السنة ١٠٠٣ قتل خنقاً في حبسه ابـراهيم باشـا ، المعروف بـدالي ابـــراهيم ، أحـد وزراء دولـــة السلطان العثمـاني مـــراد الثـالث ، وكـــان من الظالمين ، قتل كثيراً من الناس في ديـار بكرلمـا نصبه السلطان أميـراً للأمـراء فيها ، وأخذ من التاجر رجب خمسة آلاف ليرة ذهبية ثم أمر به فقطع ألى أربع قـطع ، واعتقل أحمـد باشـا وعماد الـدين بك ، وأهلكهمـا تحت العـذاب ، فآعتقله السلطان مراد ، ولما توفّي السلطان مراد وخلفه ولده السلطان محمد أمر بقتل إبراهيم باشا ، فدخل عليه كبير خـواص خدم الـديوان ومعـه جماعـة من الجـلّادين، مغيّـرين صـورهم ، حتى لا يـرتـاب منهم ، وجلس ذلـك الكبيـر يكلّمه ويشاغله ، وجاء الجلّادون من خلفه ، ووضعوا في عنقه حبلاً ، وقالوا :

أمر بذلك السلطان، فرفع مسبحته مشيراً **بالشهادة ، ولما مات ألقوه في البحر** (خلاصة الأثر ١/٥٨) .

وفي السنة ١٠٠٦ قتل بأمر السلطان ، حسن باشا الطواشي ، الوزير الأعظم ، أحد وزراء دولة السلطان محمد بن مراد ، وكان في أوّل أمره خزينة دار السلطان ، ثم ولّاه مصراً ، فاختلس من أموال الدولة ، فحوسب وحبس ، ثم أعطي حكومة شروان ، ثم صار وزيراً رابعاً ، وكان ظالماً جباراً مرتشياً ، ثم صدر أمر السلطان بحبسه ، ثم أصدر أمره بقتله فقتل خنقاً (خلاصة الأثر ٢/٧١) .

وفي السنة ١٠١٢ قتل خنقاً بأمر السلطان ، الوزير حسن باشا اليمشجي ، وكان قد خرج على رأس جيش لقتال بعض أعداء الدولة ، فعاد منكسراً ، فعزل ، وصدر أمر السلطان بقتله ، فقتل خنقاً (خلاصة الاثر ٢/٧٣) .

وفي السنة ١٠١٣ قتل نصوح باشا ، كافل حلب ، السيد حسين نقيب الأشراف بحلب ، قتله خنقاً وقتل معه آثنين من أصحابه ، ورمى بجثثهم في الخندق ، وكان المحرّض له على ذلك السيد لطفي ، شقيق السيد حسين ، فإنّه كان يحرّض رجال الدولة على قتل أخيه ، ويزعم لهم إنّه يشرب الخمر ، وإنّه يلبس لبوس النصارى ، ولما عاد نصوح باشا ، من إحدى حروبه مكسوراً ، دسّ السيد لطفي إلى نصوح باشا من أخبره بأنّ أخاه السيد حسين قد فرح بانكساره وإنّه قد احتفل بذلك وأقام مولداً للفرح ، فذهب الباشا بنفسه إلى دار السيد حسين ، فسمع ضرب الدفوف وأصوات المغاني ، وإمارات السرور ،وكان سببه أنّ بنت السيد حسين ولدت ولداً ذكراً ، فاجتمع النساء للفرح ، ولكنّ نصوح باشا حسب أنّ الامر كما ذكره له السيد لطفي ، فطلب إحضار السيد حسين ، فحضر ومعه اثنان من أصحابه ، فأمر بهم

نصوح باشا ، فخنقوا ، ورمى بجثثهم في الخندق (خلاصته الأثر ٢/١٠٨ و١٠٩) .

وفي السنة ١٠١٤ أمر حسين باشا جانبولاد ، كافل حلب ، باعتقال درويش بك بن الأمير أحمد بن مطاف ، وكان يحقد عليه أموراً ، فحبسه في قلعة حلب ، وخنقه ليلاً ، ثم علّقه على باب الحبس ، وادّعى أنّه هو الذي قتل نفسه (خلاصة الأثر ١/٣٦٤) .

وفي السنة ١٠١٨ بدمشق ، قتل شخص من أولاد الجند ، اسمه ابن خضر ، أحد أتباع الوالي حافظ أحمد باشا والي الشام ، وبمعونة شخص اسمه رمضان ، رماه في الخندق ، فأمر الوالي بابن خضر فخنق في القلعة ، وبرمضان ، فصلب تحت القلعة . (تراجم الاعيان ٢/٢٤١ و٢٤٢) .

وفي السنة ١٠٢٢ قتل خنقاً الشيخ خضر بن حسين المارديني ، وكان قد آتصل أوّل أمره بنصوح باشا ، لما كان والياً لحلب ، فلما تقلّد نصوح باشا الصدارة العظمى ، اختار الشيخ خضر رسولاً عن السلطان أحمد العثماني إلى الشاه عبّاس شاه العجم ، لعقد الصلح بينهما ، فسافر إلى بلاد العجم ، ونجحت سفارته ، وآنعقد الصلح بين الطرفين ، فآرتفع شأن الشيخ خضر ، ثم بلغ نصوح باشا أنّ الشيخ خضر قال لبعض رجال السلطنة : أنّني أنا بتدبيري عقدت الصلح ، ولو سمعت كلام الوزير ما صار الصلح ، فأسرها نصوح باشا في نفسه ، وولّى الشيخ خضر دفتردارية وان ، وأخرجه في الحال عن القسطنطينية ، وأرسل إليه في الطريق من خنقه (خلاصة الأثر ٢/١٣٠) .

وفي السنة ١٠٣٧ (١٦٢٦ م) أمر الشريف أحمد بن عبد المطلب ، شريف مكة ، بالقبض على أبي الوجاهة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي ، قاضي مكّة ، ومفتي الحرم المكي ، فحبسه ، ثم خنقه في الحبس (الاعلام ٤/٩٥ والمنجد) .

وفي السنة ١٠٣٩ قتل خنقاً الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نميّ ، وكان وثب على ابن عمه الشريف محسن ، فانتزع منه الامارة في السنة ١٠٣٧ وقتله قانصوه باشا خنقاً . (الاعلام ١/١٥٦) .

وورد خبر مقتل الشريف أحمد في خلاصة الأثر كما يلي : في السنة ١٠٣٩ أقبل الأمير قانصوه باشا ، أمير الحاج المصري ، على الشريف أحمد بن عبد المطلب أمير مكّة ، فقتله، وكان الشريف أحمد قد اعتقل الشيخ عبد الرحمن المرشدي ، فشفع فيه الأمير قانصوه ، فلم يشفعه ، وأمر به فخنق في محبسه ، فحنق عليه الأمير قانصوه ، وتربّص به حتى قبض عليه وقتله (خلاصة الاثر ١/٢٤٠) .

وفي السنة ١٠٤٣ جهزت الدولة العثمانية جيشاً بقيادة أحمد باشا الارناؤدي ، لقتال الأمير فخر الدين المعني ، فاشتبك الجيش العثماني ، وجيش فخر الدين ، في معركة قتل فيها الأمير علي بن فخر الدين ، وتوفي أخوه متأثراً بجراحه ، فآستسلم الأمير فخر الدين للقائد احمد باشا الذي دخل به دمشق في موكب حافل ، على فرس وهو مقيّد ، ثم حمل إلى الاستانة (اصطنبول) ، فأبقاه السلطان محتاطاً عليه ، ولما قام الأمير ملحم ، حفيد فخر الدين بالعصيان ، وكسر جيش والي دمشق ، أمر السلطان فقطعت رأس الأمير فخر الدين ، وخنق ولده الأكبر (خطط الشام ٢/٢٦٢) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل المولى حسين بن محمد ، المعروف بأخي زاده ، مفتي دار السلطنة ، اتّهمه السلطان مراد بأنّه يعمل في خلعه ، فأحضره ، وأمر بخنقه ، فخنق في الحال ، وأمر بأن يدفن في مكان ويعمّى موضع قبره ، وبعث بابنه إلى قبرس ، فاختلّ عقله ومات هناك .(خلاصة الأثر ٢/١١١) .

وفي السنة ١٠٤٥ قتل خنقاً بقلعة دمشق ، قاضي القضاة بها ، المولى أحمد بن الملاّ زين الدين المنطقي ، وكان قد أطلق لسانه بحقّ بعض ولاة

الأمـور ، فشكوه إلى السلطان ، فصـدر الأمر بعـزله ، ثم ورد « أمـر شريف » بقتله فأخذ إلى قلعة دمشق ، وخنق بها (خلاصة الأثر ١ / ٢٠٠ و٢٠١) .

وبعد أن فتح السلطان مـراد العثماني بغـداد في السنة ١٠٤٨ وعـاد إلى عاصمة ملكه ، تحرّك العسكر من جديد ، وكان الوزير الأعـظم رجب باشـا ، مستـظلاً بظلّهم ، وتكلّم المفتي في خلع السلطان ، فـأمـر السلطان بـالـوزيـر الأعظم رجب باشـا ، فقتل ، وأمـر بالمفتي فخنق ، وقتـل جماعـة من رؤساء العسكر ، فسكنت الفتنة (خلاصـة الأثر ٤ / ٣٣٩) .

وفي السنة ١٠٩٩ قام حسن بـاشا السلحـدار ، نائب السلطان العثمـاني بمصر ، بخنق كتخداه ، لذنب نقمه عليه (تاريخ الجبرتي ١ / ٤٣) .

وفي السنة ١١٠٣ قبض علي باشا ، نائب السلطان العثماني بـمـصر ، علي سليم افنـدي ، وخنقه بـالقلعـة ، وآنـزل إلى بيتـه محمـولاً في تـابـوت (تاريخ الجبرتي ١ / ٤٥) .

وفي السنة ١١٣٨ نقم والي مصر نيشـابخي محمد بـاشا ، على المعلّم داود ، صـاحب عيار (يسـك السكّة) لأنّـه تـلاعب في سكّها ، فقبض عليه ، وخنقه (الجبرتي ١ / ٢٠٤) .

وفي السنة ١١٤١ قتل خنقاً الأمير أحمد أفندي ، كاتب الروزنامة ، بأمر الوالي محمد باشا النيشانجي ، فإنّه لما خرج الأمير جـركس مغضوبـاً عليه من القاهرة ، خرج الأمير احمـد افندي معـه ، وكان جسيمـاً ، فانقـطع ، وأخذت العـرب ثيابـه ، وأعيد إلى القـاهـرة على ظهـر حمـار سـوقي ، وأحضـر أمـام البـاشا ، فـأرسله إلى كتخـداه ، ثم أرسله إلى كتخـدا مستحفـظان ، فحبسـه بالقلعة ، وخنقه ليلاً (الجبرتي ١ / ٢٠٤) .

وفي السنـة ١١٤١ قتـل في السجن خنقـاً ، أبـو مـروان عبـد الملك بن اسماعيل الحسني ، من ملوك الدولة السجلماسية العلويّة بالمغرب ، وكان قـد

بويع بمكناسة بعد خلع أخيه أحمد في السنة ١١٤٠ ثم انقلب عليه الحال ، فأعيد أحمد ، وسجن عبد الملك بمكناسة ، ثم قتل في سجنه . (الاعلام ٩٥/١ و٣٠١/٤) .

وفي السنة ١١٥٩ قتل خنقاً السيد فتحي بن السيد محمد الدفتري ، تولّى دفتريّة دمشق ، وكان ظالماً ، وله أتباع يظلمون الناس ، فلما ولي الوزير أسعد باشا العظم دمشق ، كتب يشكوه إلى الدولة ، وضمن تركته بألف كيس ، وصادف أن كان الصدر الأعظم حسن باشا ، وكان يكره السيد فتحي ، فورد الأمر السلطاني بقتله ، ولما وصل الأمر جيء بالسيد فتحي إلى سراي دمشق ، وخنق في دهليز الخزنة التي عند حرم السرايا ، وقطع رأسه وأرسل للدولة ، وطيف بجثته في دمشق ثلاثة أيام في شوارعها وأزقتها ، مكشوف البدن عرياناً ، وصودرت أمواله ، وقتل بعض أتباعه وخدّامه (سلك الدرر ٢٧٩/٣ - ٢٨٧) .

وفي السنة ١١٧١ بعث السلطان ، من قتل أسعد باشا العظم في حمّام داره بدمشق خنقاً . (خطط الشام ٢٩١/٢ و٢٩٣) .

وفي السنة ١١٨٢ قبض الأمير علي بك بالقاهرة ، على الأمير خليل بك القازدغلي ، وأرسله ثغر اسكندرية ، حيث قتل خنقاً (الجبرتي ٣٧١/١) .

وفي السنة ١١٨٣ أمر علي بك رأس المماليك بالقاهرة ، بنفي الأمير علي بك كتخدا مستحفظان إلى رشيد ، ثم أرسل إليه من خنقه هناك (الجبرتي ٣٩٧/١) .

وفي السنة ١١٨٥ قدم الأمير أبو الذهب ، من مصر ، على رأس جيش مصري ، فإستولى على مدينة دمشق عنوة ، ثم آنسحب منها عائداً إلى مصر ، فعاد إليها واليها (كافلها) عثمان باشا ، وولده محمد باشا ، وقدم رئيس « اليرلية » يوسف أغا بن جري من جبل الدروز ومعه خمسة آلاف

درزي ، وبعد مدّة رفع عثمان باشا ، يوسف اغا المزبور إلى القلعة ، وحبسه بها ، ثم أمر بخنقه ، فخنق ، اتّهمه بأنّه كان المحرّض لحكّام مصر على إرسال الجيش لفتح الشام (سلك الدرر ١/٥٦) .

وفي السنة ١١٨٧ شرع الامير علي بك بالقاهرة ، في قتل خصومه ، فكان يبعث إليهم من يخنقهم ، فخنق علي كتخدا الخربوطلي برشيد ، وحمزة بك بزفتا (تاريخ الجبرتي ١/٣٧٨) .

واطّلع الأمير محمد باشا المجاهد ، صاحب الجزائر (١١٧٩ - ١٢٠٥) (١٧٦٥ - ١٧٩٠ م) على خيانة الخزناجي ، فأمر بقتله، فقتل خنقاً ، وتفصيل ذلك : إنّ محمد باشا ، صاحب الجزائر ، عاتب صالح باي ، صاحب قسنطينة ، على تصرفه خلافاً لأوامره ، فأخرج له رسائل من الخزناجي ، تأمره بذلك التصرّف ، فغضب الأمير من ذلك ، وأمر حسن وكيل الخرج ، وكان زوج ابنة الخزناجي ، أن يقتل والد زوجته ، فقال له حسن : أنا اكفيك أمره ، وفي اليوم التالي ، أشار حسن الى الباش شاوش ، إشارة فهمها ، وتقدّم من الخزناجي ليقبل يده ، فلما أمسك يده ، سحبه ، ونزع عنه اليطغان ، وأمر أصحابه فكتّفوه ، وذهبوا به إلى دار سركاجي ، حيث قتلوه خنقاً ، وكافأ الباشا حسن وكيل الخرج ، فنصبه خزناجيّا ، مكان صهره القتيل (مذكرات الزهار ٤٩و٥٠) .

وفي السنة ١١٨٧ ورد أمر الدولة (مرسوم من إصطنبول) بطلب رأس عبد الله كتخدا ، ونعمان افندي ، ومرتضى اغا ، ومصطفى افندي الأشقر ، كاتب ديوان علي بك ، وتبيّن أنّ عبد الله كتخدا ، قد قتله محمد بك ابو الذهب في السنة ١١٨٦ ، ونعمان افندي ذهب إلى الحجاز ، ومرتضى أغا اختفى ، فأحضر الباشا ، مصطفى افندي الاشقر ، وأمر بخنقه ، فخنقوه ، وسلخوا رأسه ، ودفنوه بالقرافة ، وأخذ الباشا موجوداته إلى الميري (الجبرتي ١/٤٣٩) .

وفي السنة ١١٩١ اتّفق الأمير اسماعيل بك ، مع أتباعه ، على قتل اسماعيل بك الصغير ، أحد الأمراء ، وكان قد حدّثته نفسه بالإنفراد بالأمر ، وركب في آخر الليل مع صناجقه وعساكره وأحاطوا بيت اسماعيل بك الصغير ، وحصروه ، فخرج وحاربهم ، وصار يتخلّص من عطفة إلى عطفة ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت عمامته ، وآحتاطوا به ، وأنزلوه فأجلسوه على دكان (دكة) وعصبوا رأسه بعمامة رجل جمّال ، فأمر اسماعيل بك بأن يرسلوه إلى بيت الوالي ، حيث خنق هناك ، ووضعوه في تابوت ، وأرسلوه إلي بيته (الجبرتي ١/٥٠٧) .

وفي السنة ١١٩٥ قبض الأمير مراد بيك على الأمير ابراهيم بك أوده باشا وآتّهمه بأنّه يكاتب عدوّهم إسماعيل بك ، وخنقه (الجبرتي ١/٥٥٢) .

وفي السنة ١٢٠٥ اسندت ولاية دمشق ، إلى أحمد باشا الجزّار للمرة الثانية ، ودام حكمه فيها خمس سنين ، فعامل الناس بقسوة عظيمة ، حتى نزح كثير من السكّان ، وتركوا أوطانهم ، وكان في كلّ سنة ، يقتل في قلعة دمشق بدون تحقيق أناساً ، وقد قتل في السنة ١٢٠٦ مائة وستين رجلاً خنقاً ، وفي السنة ١٢٠٧ قتل نحو ستين (خطط الشام ٣/٨) .

وفي السنة ١٢١٤ لما استقرت الحرب بين الجيش الافرنسي ، وبين المماليك وأهل القاهرة ، اتّهم الناس مصطفى أغا مستحفظان ، بأنّه يخفي في بيته جماعة من الفرنسيين ، فهجموا على داره ، ووجدوا فيها أنفاراً من الفرنسيس ، فقبضوا على الأغا ، وأحضروه أمام عثمان كتخدا ، ثم تسلّمه الانكشارية ، وخنقوه ليلاً ، ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد (الجبرتي ٢/٣٣١) .

وفي السنة ١٢١٧ خنق الأمير محمد بن عبد الله الشاوي الحميري ، من امراء العراق ، وخنق معه أخوه عبد العزيز ، ودفنا بقرب الموصل، أمر بخنقهما والي بغداد علي باشا ، خلف سليمان باشا ، وكان سليمان باشا قد

أرسل الأمير محمد في سفارة إلى الدرعية ، إلى أمير نجد ، وبعد عودته اتّهمه الأتراك بأنّه مال للوهّابيين أمراء نجد ، وقتل وأخوه خنقاً (الأعلام ٧/١٢٠) .

أقول ذكر العزاوي في تاريخه ٦/١٥٥ ان القتل حصل في السنة ١٢١٨ .

وفي السنة ١٢١٨ مرّ والي القاهرة بناحية الجمالية ، فوجد إنساناً من أكابر غزة ، اسمه علي أغا شعبان ، كان مهندساً في عمارة الباشا ، وكان علي أغا جالساً على دكّان يتنزّه ، وفرسه وخدمه وقوف أمامه ، فأمره بالركوب معه ، فركب ، وذهب صحبته ، فخنقه وأخذ ثيابه وفرسه وكان في جيبه ألف دينار ذهباً خلاف الورق (الجبرتي ٢/٥٩٢) .

وفي السنة ١٢١٨ حضر والي القاهرة ، إلى قصر الشوك ، ونزل عند رجل من تجّار خان الخليلي اسمه عثمان كجك ، فتعشّى عنده ، ثم قبض عليه ، وختم على بيته ، وأخذه صحبته ، ثم خنقه في تلك الليلة ورماه في بئر ، فاستمّر بها أيّاماً حتى انتفخ ، فأخرجوه ، وأخذته زوجته فدفنته (الجبرتي ٢/٦١١) .

وفي السنة ١٢١٨ أمر طاهرِ باشا ، قائمقام الوالي بمصر ، فخنق الأمير أحمد كتخدا علي باش اختيار الإنكشارية ،ومصطفى كتخدا الرزّاز كتخدا العرب ، وكانا محبوسين بالقلعة ، وضربوا وقت خنقهما مدفعين ، ورموهما إلى الخارج (الجبرتي ٢/٥٧٤) .

وفي السنة ١٢٢٣ وردت الاخبار من إصطنبول ، بأنّ الينكجريّة ، تآمروا في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهاجموا السراي السلطاني ، فقتلوا من وجدوا ، أما مصطفى باشا البير قدار فإختفى منهم في سرداب ، ولكنّه مات تحت الردم ، فسحبوه من رجله وعلّقوه على شجرة ، ومثّلوا به ، وقتلوا قاضي

باشا ، وعبيد الله رامز قبودان باشا ، وكان السلطان محمود لما شعر بمؤامرة الينكجريّة عمد إلى أخيه السلطان المعزول مصطفى فخنقه (الجبرتي ٣/ ٢٤٥) .

وكان جلال الدين والي حلب في السنة ١٢٢٧ قد عيّن اثنين من طرفه ، يتجسّسان على الناس ، ويقدّمان قوائم بأسماء من ينبغي مصادرته ، ومقدار ما يقتضي أن يصادر عليه ، فيقولان : هذا يستحق جرمين ، والجرم أربعون كيساً ، والكيس خمسمائة قرش ، فيحضر ويطالب ، ويزجّ به في السجن في القلعة ، ويوضع في رقبته زنجير له شوك ، ويكلّف بإحضار ما تقرّر عليه ، من جرم أو جرمين أو أكثر ، فإن أدّى ، أطلق ، ومن لم يؤدّ خلال ثلاثة أيّام ، خنق ليلاً ، وألقيت جثّته تجاه باب القلعة ، وكلّما خنقوا واحداً ، أطلقوا مدفعاً ، فكان عدد المخنوقين يعرف بعدد المدافع ، وكان الناس في اليوم الثاني ، يتحدّثون بأنّ فلان ضربوا طوبه ، أي إنّه خنق ، وكانوا لا يمكّنون أهالي المخنوق من رفع جثّته ، بل يضعون عسكراً يحافظون على الجثث الملقاة في الخندق ، وربما جاء بعض أهالي المخنوقين ليلاً ، فيتسلّلون إلى حيث جثّة قريبهم فيحملونه ، أو يحملون بعض أعضائه ، إذا كانت أوصاله مقطّعة ، إلى حيث يدفن (إعلام النبلاء ٣/ ٣٧٥ - ٣٧٧) .

ولما استولى الحاج علي باشا ، في السنة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) على الحكم في الجزائر ، عزل باي وهران ، ونصب مكانه الباي محمد ، من أولاد الباي محمد الذي فتح وهران ، وولّى نعمان باياً بقسنطينة ، وبعد سنة ، أمر بخنقه ، ونصب مكانه جعفر باي (مذكرات الزهار ١٠٥) .

وفي السنة ١٢٢٨ التجأ سعيد بك بن سليمان باشا ، إلى حمود الثامر شيخ المنتفق ، فخرج الوزير عبد الله باشا ، والي بغداد ، مع جيش ، لمحاربة حمود الثامر ، واصطدم الجيشان في معركة ، فانكسر الجند العثماني ، وأخذ الوزير عبد الله باشا ، والكتخدا طاهر ، وسليمان اغا كهية البوابين أسرى ، وبعد يومين مات برغش بن حمود الثامر ، متأثراً من جراح

أصيب بها في المعركة ، فعمد أخوه راشد بن ثامر ، إلى الوزيروالكتخدا وكهية البوابين ، فخنقهم ، ودفنهم ، ثم أخرجهم وقطع رؤوسهم وبعث بها إلى سعيد بك (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٢١٤ - ٢١٧) .

وفي السنة ١٢٣٠ (١٨١٤ م) نصب محمد باشا ، أميراً على الجزائر ، بترشيح من عمر اغا ، وبعد سبعة عشر يوماً اتّفق عمر اغا مع العسكر ، وعزلوا محمد باشا ، واعتقلوه ، وأخذوه إلى موضع قتل العسكر ، وخنقوه ، ونصب عمر آغا مكانه ، فأصبح عمر باشا (مذكرات الزهار ص ١١٥) .

وفي السنة ١٢٣٢ (١٨١٦ م) هاج العسكر بالجزائر ، على عمر باشا ، والي الجزائر ، وأرسلوا إليه يقولون : لا حاجة لنا بك، وقد نصبنا أميراً غيرك ، ولما فاوض عمر باشا وزراءه ، رآهم ساكتين مطرقين برؤوسهم ، فعلم بأنّهم قد أسلموه ، وعندئذ خلع ما كان يتقلّد من السلاح ، وذهب لموضع يقال له : الجنينة ، وآستقبل القبلة ، وأمرهم أن يخنقوه ، فتقدّم إليه الحرّاس ، وخنقوه ، وبعثوا بخنجره إلى علي خوجه التركي ، الذي نصبه الجند والياً ، باسم علي باشا (مذكرات الزهار ١٣١ و١٣٢) .

وفي السنة ١٢٣٢ (١٨١٦) تولّى علي باشا ، إمارة الجزائر ، فأتي بمائتين من العسكر وأبقاهم معه ، وفي الغد عزل جميع الوزراء ، فمنهم من أبقاه على قيد الحياة ، ومنهم من قتله ، أمّا الأغا ، فأمر الخليفة بخنقه (مذكرات الزهار ١٣٢) .

وفي السنة ١٢٣٧ قتل خنقاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، المؤرخ المشهور ، وكان قد قتل له ولد ، فبكاه حتى ذهب بصره ، وفي رمضان ١٢٣٧ قتل خنقاً بشارع شبرا ، وربط بحبل في إحدى رجلي حماره ، وكان آتياً من قصر محمد علي بشبرا ، واتّهم بقتله محمد بك الدفتردار الذي كان حاقداً عليه . (الاعلام ٤/٧٥) .

وفي السنة ١٢٤٦ (١٨٣٠ م) بعثت الدولـة العثمانيـة من إصطنبـول ، إلى بغداد ، مبعوثـاً اسمه صـادق افندي ، ومعـه تعليمات بعـزل داود باشـا ، والي بغداد ، ومحاسبته ، وأحسّ داود باشا بذلك ، فبعث إليه كـلّ من محمد افندي المصرف وسليمان أغا الميراخور ، ورمضان أغا الجوخدار ، وخالد أغا حاجب الباشا ، فذعـر صادق أفنـدي لما رآهم ، أذ عـرف أنّهم جاءوا لقتله ، فآستعطفهم من دون فائدة ، وقام خالد اغا بخنقه (حكم المماليك في العراق ٢٥٣ و٢٥٤) .

وفي السنة ١٢٦٠ خرج كامران شاه ، ملك الأفغان ، من مدينة هـراة ، إلى قرية من ضواحيها ، فخنقه وزيره يار محمد خان البامي زائي ، وانقرضت بموته الأسرة السدوزائية في حكم الأفغان (اعيان القرن الثالث عشر ٢٨٧) .

وفي السنـة ١٣٠١ (١٨٨٤ م) ، قتـل أحمـد مـدحت بـاشـا ، أبـو الأحرار، خنقاً ، في سراي الطائف ، حيث كان معتقلاً ، وقطع رأسه وأرسـل إلى السلطان عبد الحميد . (مشاهير الشرق لجرجي زيدان ١/ ٤٨٠) .

الخنق بالشاروفة

الشـاروفة : عصا غليظة في طرفيها حبل ، فإذا أريد خنق أحد ، أدخـل رأسه في انشوطـة الحبل ، وأديـرت العصا ، فتضيق الأنشـوطة على العنق ، فهي كالفلق ، إلا أنّها أصغر حجماً .

والملاّحون في العراق ، يطلقون كلمة الشاروفة ، على حبل يربط طرفه في *أعلى الصـاري* ، وفي *طرفـه الآخـر أحـزمـة عـدّة* ، يضعهـا المـاّدون في أوساطهم أذا قاموا بمدّ سفينة عكس تيّار الماء .

وبلغ عضـد الدولـة (ت ٣٧٢) ، أنّ أعرابيـاً من بني عقيل ، اعتـرض سفينة من سفن المعاون ، وهي مصعدة من بغداد ، وأخـذ قهراً من السفينـة ، شاروفة ، فأمر به فاعتقل ، وخنق بالشاروفة ، في الموضع الذي أخذهـا فيه ، ثم صلب . (ذيل تجارب الامم ٣/٥٥ و٥٦) .

وفي السنـة ٤٥٧ صـدر أمـر السلطان ألب أرسـلان ، بقتل عميد الملك الكنـدري ، فبعث إليه إلى مـرو الروذ غلمـاناً لقتله ، فـدخلوا عليـه ، فقـال أحدهم : قم ، فصلّ ركعتين ، وتب إلى الله تعـالى ، فقال : أدخـل ، وأودّع أهلي ، فقالوا : افعل ، فدخل إلى زوجته ، وارتفع الصياح ، وتعلّق الجواري به ، ونشرن شعورهن ، وحثون التراب على رؤوسهن ، فدخـل إليه الغـلام ، وقال له : قم ، فقال : خذ بيدي ، فقد منعني هؤلاء الجـواري من الخروج ،

فأخـذوه الى مسجـد هنـاك ، فصلّى فيـه ركعتين ، ثم مشى حـافيــاً إلى وراء المسجد ، فجلس ، وخلع فرجيّة سمّور كانت عليه ، فأعطاهم إيّاها ، وخرق قميصـه وسراويله ، حتى لا يؤخـذا وجاءوه بشـاروفة ، فقـال : لست بعيّار ولا لصّ فـأخنق ، والسيف أروح لي ، فشدّوا عينيـه بخرقـة خرقهـا هو من طـرف كمّـه ، وضربـوه بالسيف ، وأخـذوا رأسه ، وتـركوا جثتـه ، وكـان عمـره نيفـاً وأربعين سنة . (المنتظم ٨/٢٣٩) .



الفصل الثاني

الشنق

الشنق : ربط عنق المعذّب بحبل ، وتعليقه حتى يموت .
والبغداديون يسمّون الشنق : صلباً .

وما يزال إلى الآن في وسط بغـداد ، جامـع اسمه جـامع المصلوب لأنّ الوالي الذي بناه صلب ، ويقولون ، إنّ الوالي بعد أن تمّ بناء الجامـع ، كانت في حائط سوره خشبة بارزة ، فأرادوا قطعها ، فقال دعـوها ، عسى أن يصلب عليها أحد ، فكان هو المصلوب الذي علّق عليها .

وهذا اللون من العذاب يمارس منذ ابتداء العهد الأموي .

وللناس ، حول الصلب ، أقاصيص ونوادر ، منها ، ما أورده التـوحيدي في البصائر والـذخائـر (م ٢ ق ١ ص ٩٨) ، قال : وقف مـديني على قاصّ وهو يذكر ضغطة القبر ، ثم قال : يـا قوم كم في الصلب من الفـرج العظيم ، ونحن لا ندري ، إذ يتخلّص المصلوب من ضغطة القبر .

وسار جحا ، على هذا الرأي ، لما مات جاره ، فأرسل جحا للحفّـار ، يحفـر لـه قبـراً ، فجـرى بينهمـا لجاج في أجـرة الحفـر ، فمضى جحـا إلى السـوق ، واشترى خشبـة بدرهمين ، وجـاء بهـا ، فسئـل عنهـا ، فقـال : إنّ الحفّـار لا يحفر القبـر بأقـل من خمسـة دراهم ، وقـد اشتـرينـا هـذه الخشبـة بدرهمين ، لنصلبه عليها ، ونربح ثلاثة دراهم ، ويستريـح من ضغطة القبـر ، وسؤال منكر ونكير (اخبار الحمقى ٤٦) .

وقال المدائني : تذاكر قوم من ظراف البصرة الحسد ، فقال رجل منهم : إنّ الناس ربما حسدوا على الصلب ، فأنكروا ذلك ، ثم جاءهم بعد أيّام ، فقال : إنّ الخليفة قد أمر أن يصلب الأحنف ، ومالك بن مسمع ، وقيس بن الهيثم ، وحجّام يعرف بحمدان ، فقالوا : هذا الخبيث ، يصلب مع هؤلاء ؟ فقال : ألم أقل لكم أنّ الناس يحسدون على الصلب ؟ (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ١١) .

ومرّ الماهاني ، بمنجّم قد صلب ، فقال له : هل رأيت هذا في نجمك ؟ فقال : قد كنت أرى لنفسي رفعة ، ولكنّي لم أعلم أنّها فوق خشبة (البصائر والذخائر ١ /٥٤) .

وتنبّأ رجل في عهد الرشيد ، وأدّعى أنّه نوح ، فأمر به الرشيد ، فضرب ، وصلب ، فمر به مخنّث ، فقال : يا أبانا ، ما حصل في يدك من السفينة ، إلّا الصاري (المحاسن والمساوىء ١ /٢٤) .

وقال ابن مناذر في وصف المشنقة : (الاغاني ١٨ /١٨٢) .

يا أبا جعفر كأنّك قد صر ... تَ على أجردٍ طويل الجران
من مطايا ضوامر ليس يصهلـ ... ـن إذا ما ركبن يوم رهان
لم يذلّلن بالسروج ولا أقـ ... ـرحَ أشداقهنّ جذب العنان
قائمات مسوّمات لدى الجـ ... ـسر لأمثالكم من الفتيان

ولأبي تمام في وصف مصلوبين : (الأغاني ١٦ /٣٨٧) .

سود اللباس كأنّما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعاً من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامرٍ ... قيدت لهم من مربط النجّار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبداً على سفرٍ من الاسفار

ولأبي تمام في مصلوب : (ديوان أبي تمام ١٦٤) .

لاقى الحمام بسرّ من راء التي ... شهدت لمصرعه بصدق الفال
أهدي لمتن الجذع متنيه كذا ... من عاف متن الأسمر العسّال
لا كعب أسفل موضعاً من كعبه ... مع أنّه عن كلّ كعبٍ عال
متفرّغ أبداً وليس بفارغ ... من لا سبيل له إلى الأشغال

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب في الإسلام ، زياد بن أبيه ، جيء إليه برشيد الهجري ، من أصحاب الإمام عليّ ، فأمر به فقطعت يداه ، ورجلاه ، ولسانه ، ثم صلبوه خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٤) .

وسار على نهج زياد ، ولده السيّء الصيت عبيد الله بن زياد ، فإنّه خطب في المسجد فردّ عليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، وكان شيخاً ضريراً ، فأمر به فصلب في المسجد (ابن الأثير ٤/٨٣) .

وفي السنة ٥٤ قبض عبيد الله بن زياد ، على سهم بن غالب الهجيمي ، فصلبه بالبصرة ، وكان سهم قد خرج على معاوية في السنة ٤١ بالبصرة ، وطلبه زياد فتوارى ، حتى قبض عليه عبيد الله ، فصلبه (الاعلام ٣/٢١١) .

وفي السنة ٦٩ قتل الحارث بن سعيد ، من أهل الشام ، وكان قد تنبّأ ، وتبعه خلق كثير ، فبعث عبد الملك بن مروان في طلبه ، فاختفى في بيت المقدس ، فأرسل من احتال عليه ، وأحضره ، فصلبه ، وقتله . (الاعلام ٢/١٥٦) .

وأمر الحجّاج بماهان ، أن يصلب على بابه ، فرفعت خشبته ، وهو واقف يراها ، ويسبّح ويهلّل ويكبّر ، ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين ، وطعنه رجل وهو على تلك الحال فقتله . (العقد الفريد ٥/ ٥٠) .

أقول : قوله يعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين ، يريد به حساب الأصابع ، راجع بحثنا عن هذا الحساب ، في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٧ رقم القصة ٥٣ .

وفي السنة ١١٨ نزل أسد القسري، أمير خراسان ، على بلخ ، وبعث الكرماني إلى قلعة التبوشكان ، فحاصرهم حتى عطشوا وجاعوا ، ونزلوا على حكم أسد ، فحكم أسد بأن يحمل إليه خمسون رجلاً من رؤسائهم سمّاهم ، فحملوا إليه ، فقتلهم ، وكان حكمه في الباقين أن يقسموا أثلاثاً ، فثلث يصلبون ، وثلث تقطع أيديهم ، وثلث تقطع أيديهم وأرجلهم ، وكان المصلوبون أربعمائة (الطبري ١٠٩/٧ - ١١١) .

وفي السنة ١٤٧ قتل عبد الرحمن الداخل ، بقرطبة ، عثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عثمان قد امتنع عن مبايعة عبد الرحمن ، وخالف عليه ، فحاربه ، وأسره ، وصلبه بقرطبة . (الاعلام ٣٦٥/٤) .

واتّهم المنصور ، في السنة ١٥٠ ، محمد بن سعيد القرشي ، بالزندقة ، فصلبه (الوافي بالوفيات ٩٥/٤) .

وفي السنة ١٨٨ هاج أهالي قرطبة على أميرهم الحكم ، صاحب الأندلس ، لتظاهره بشرب الخمر ، والإنهماك في الملذّات ، فأنكروا فعله ، ورجموه بالحجارة ، واجتمعوا على محمد بن القاسم المرواني ، وبايعوه ، وعلم الحكم بالحال ، فاعتقل الذين قاموا بذلك ، وصلبهم عند قصره ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من خيار الناس (ابن الاثير ١٨٩/٦) .

وفي السنة ١٩٢ أسر حمّاد البربري ، عامل اليمن للرشيد ، الهيصم بن عبد المجيد الهمداني ، وابنه ، وابن أخيه ، وكانوا قد ثاروا عليه باليمن ، فصلبهم جميعاً بالرقّة . (الاعلام ١١٦/٩) .

وغضب هارون الرشيد على منجم يهودي ، فأمر به فصلب ، وسبب ذلك إنّ منجماً يهودياً زعم للرشيد إنه يموت في سنته التي هو فيها ، فغمّه ذلك غمّاً شديداً ، فقال جعفر البرمكي وزير الرشيد للمنجّم : وهل تعرف

مدى عمرك ؟ قال : نعم ، وذكر أمداً طويلاً ، فقال جعفر للرشيد : اقتله الآن لتعلم أنّه كاذب في تعيين عمرك كما كذب في تعيين عمره ، فأمر به الرشيد فصلب (اعلام النبلاء ١/١٥٩) .

وفي السنة ٢٥١ لما شغب الأتراك على المستعين ، انحدر إلى بغداد ومعه وصيف وبغا ، فمنع أتراك سامراء من الإنحدار ألى بغداد ، ووجدوا ملاحاً قد أكرى سفينته إلى بغداد ، فضربوه ، وصلبوه على دقل سفينته . (الطبري ٩/٢٨٢) .

وفي الستة ٢٣٧ قام رجل بالأندلس ، ادّعى النبّوة ، وكان من شرائعه أنّه كان ينهى عن قصّ الشعر وتقليم الأظافر ، فأمره العامل بالتوبة ، فامتنع ، فصلبه (ابن الأثير ٧/٦٦) .

وفي السنة ٢٥٢ أحدث شخص اسمه عبدان بن الموفق ، فتنةً في بغداد وكان قد أحدث من قبل فتنة في سامراء ، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط ، وحبسه ، ثم أطلقه ، فقدم بغداد ، وحثّ خلقاً من الجند طلاب المشغبة على طلب آرزاقهم وفائتهم ،فاجتمعوا عليه ، وأنفق عليهم ثلاثة أيّام لطعامهم ، ومنعوا الإمام في المسجد من الدعاء للمعتزّ ، فوجّه إليهم أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر ، عدّة من قوّاده ، وآستمرّت الحرب بينهم ، حتى سقط عبدان أسيراً في يد أحد قوّاد ابن طاهر ، فقيّد بقيدين فيهما ثلاثون رطلاً ، وحبس ، ثم سحب بقيوده ، وحمل على بغل إلى الجسر (فيه مجلس الشرطة والحبس) ، وجرّد وضرب مائة سوط بثمارها ، ثم صلبه حيّاً على الجسر وربط بالحبال ، وترك مصلوباً إلى العصر ، ثمأنزل ،ومات بعد يومين ، فأعيد صلبه على خشبة في الجانب الشرقي . (الطبري ٩/٣٥٧ - ٣٦١) .

وكان ابراهيم الفزاري ، من أهل المناظرة والجدل ، ورمي بالتعطيل ،

وأشهد عيه أنّـه يستهزىء بـالله وكتابـه وأنبيائـه ونبيّه محمـد ﷺ ، وحكم عليه القاضي أبو العباس عبد الله بن طالب (تولّى القضـاء بالقيـروان مرّتين ٢٥٧ - ٢٥٩ و٢٦٧ - ٢٧٥) بصلبـه ، فطعن بسكّين في حنجـرته ، وصلب منكّسـاً ، ثم أنزل بعد ذلـك ، وأحرق بـالنار . (طبقـات الاطباء والحكمـاء لابن جلجل ٨٦ و٨٧) .

وبلغ أما جور التركي ، أمير دمشق للمعتمد ، أنّ أعرابياً أهان جندياً من جنوده ، بأن نتف شعرتين من شاربه ، فأمر بالأعرابي ، فنتف شعر بدنه كلّه ، من أجفانه ، ورأسه ، ولحيته ، ومـا ترك على جسمـه شعرة ، ثم ضـربه ألف سوط ، وقطع يديه ورجليه ، وصلبه (الوافي بالوفيات ٩/٣٧٦) .

وفي السنـة ٢٨٣ أسر هـارون الخارجي ، وأدخـل إلى بغـداد ، مشهـراً على الفيل ، وأردوا أن يلبسوه ديباجاً مشهراً ، فامتنع ، وقال : هـذا لا يحلّ ، فألبسوه كارهاً ، ولما صلب ، نادى بـأعلى صوتـه : لا حكم إلا لله ، ولو كـره المشركون . (ابن الأثير ٧/٤٧٧) .

وفي السنـة ٣٠١ أحضر الحـلاج ببغداد ، واختلف فيـه النـاس ، فقسم منهم يقـول إنّه صـاحب حقيقة ، وقسم قـالـوا : إنّـه ممخـرق مشعبذ، وقسم قالوا : إنّـه ادّعى الربـوبية ، فصلب هـو وصاحبـه ثلاثـة أيّام ، كـلّ يوم من بكـرة ، الى انتصـاف النهـار ، ثم يؤمـر بهمـا إلى الحبس . (ابن الأثيـر ٨/٧٦) .

وفي السنـة ٣٠٤ خـاف النـاس ببغـداد من حيـوان كـانـوا يسمّـونـه : الزبزب ، ويقولون إنّهم يرونه في الليل على سطوحهم ، وإنّه ياكل أطفالهم ، وربّمـا عضّ يد الـرجل وثـدي المرأة فقـطعهما وهـرب بهمـا ، فكـان النـاس يتحارسون ، ويتزاعقون ، ويضربون بالطسـوت والصواني وغيـرها ليفـزّعوه ، فـارتجّت بغـداد لـذلـك ، ثم إنّ أصحـاب السلطان صـادوا ليلة حيـوانـاً أبلق

بسواد ، قصير اليـدين والرجلين ، فقـالوا : هـذا هو الـزبزب ، وصلبـوه على الجسر ، فسكن الناس ، وأصاب اللصوص حـاجتهم لاشتغال النـاس عنهم . (ابن الاثير ٨/١٠٥) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، المعروف بابن أبي العـزاقر ، لأنّـه أحدث مـذهباً جـديداً ، واتّبعـه أناس من الكتّـاب ورجال الـدولة ، فـأخـذ وأخـذ معـه ابن أبي عـون ، وابن عبـدوس ، وأحضـرا أمـام الخليفة ، فأمرهما بصفعه فمدّ آبن عبدوس يده وصفعه ، أمّا ابن أبي عـون ، فمدّ يده إليه ، فارتعدت يده ، وقبّـل لحية الشلمغـاني ورأسه ، فـأفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فصلب الشلمغاني ، وابن أبي عون ، وأحـرقا بـالنار (ابن الأثيـر ٨/٢٩٠ ـ ٢٩٢ . راجـع تفـاصيـل محـاكمتهمـا في معجم الادبـاء ١/٢٩٦ ـ ٣٠٧ .

وكان الصلب عقاب اللصوص ببغداد ، في ايـام معزّ الـدولة البـويهي ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي في القصة المرقمة ٣/١٤١ .

وفي السنة ٣٦٩ سيّر عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل ، فنزلوا على أمـان قائـد الجيش ، فغدربهم ، وصلبهم على جـانبي الطريق من معلثايا إلى الموصل خمسة فراسخ . (ابن الأثير ٨/٧٠٩) .

وجحد أحد العطّارين ببغداد ، وديعة أودعت لديه ، فاحتال عليه عضـد الـدولة حتى أقـرّ بها ، وأعـادها ، فصلبـه على باب دكـانه وعلّق الـوديعة في عنقـه ، راجع التفصيـل في كتاب نشـوار المحاضـرة للتنـوخي ، رقم القصّـة ٧/١٥١ ج ٧ ص ٢٦٣ .

وفي السنة ٣٨٢ تجـدّدت الفتنة في الكـرخ فركب أبـو الفتح الحـاجب وقتل ، وصلب ، فسكن البلد . (المنتظم ٧/١٦٩) .

وأمـر أبو طـاهر بن صمصـام الدولـة البـويهي ، بفـراش اسمـه بنـدار ،

فصلب ، وسبب ذلك إنّ شرف الدولة كان قد اعتقل أخاه صمصام الدولة ، والد الأمير أبي طاهر ، في أحدى القلاع بفارس ، ولما أشرف شرف الدولة على الموت ، بعث رسولاً أمره بسمل عيني أخيه صمصام الدولة ، فسمله ، وكان الفراش بندار ، من جملة الموكلين بخدمة صمصام الدولة ، فأنس به لتطاول المدة ، وأسرّ أليه ، إنّه قد بقيت من نظره بقيّة ، يستطيع أن يبصر بها إبصاراً ضعيفاً ، فنقل بندار قوله هذا إلى الموكل بالقلعة وإجتمعا فحصّا عينيه بمبضع ، فحرماه البصر بمرّة ، فلما عاد صمصام الدولة ألى الملك بفارس ، أراد بندار أن يخدمه على رسمه بالقلعة التي كان حبيساً فيها ، فأمر صمصام الدولة أن يكون مع الستريين، أي بعيداً عنه، فقال بندار : أهذا ما أستحقه من الملك ، بعد خدمتي له وصحبتي معه ؟ فقال صمصام الدولة : أما يرضى بالإبقاء عليه حتى يدّل بهذه الدالة ؟ وآتصل الحديث بأبي طاهر بن صمصام الدولة ، فأخذ بندار وصلبه (ذيل تجارب الأمم ١٥٠) .

وفي السنة ٣٩٢ صلب أبو حرب ، كاتب بكران ، على باب حمّام بسوق يحيى ، وجد فيه مع مزنة ، جارية بكران ، على حال ريبة (تاريخ الصابي ٨/٤١٩) .

أقول : بكران هذا توفّي سنة ٣٩١ وهو أبو الفوارس بكران بن أبي شجاع بلفوارس ، وكان عظيماً في دولة بني بويه .

وفي السنة ٤٠٧ تآمر القوّاد في خوارزم على خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون وقتلوه ، فحمي لذلك محمود بن سبكتكين ، وكان خوارزم شاه قد عاهده وصاهره ، فسار إلى خوارزم يطالب القوّاد المتآمرين بدم خوارزم شاه ، وانتصر عليهم وأسرهم ، فأخذهم وصلبهم على قبر خوارزم شاه ، وأخذ الجنود أسرى ، فأطلقهم وعيّن لهم أرزاقاً ، وسيّرهم إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء . (ابن الأثير ٩/٢٦٥) .

وفي السنة ٤٢٤ سيّر السلطان مسعود بن سبكتكين ، جيشاً ، لقتال شهريوش بن ولكين ، صاحب ساوة ، لأنّه هاجم الريّ ، وحاول آقتطاعها من ملك مسعود ، كما أنّه اعترض الحجّاج الواردين من خراسان ، وأساء إليهم ، وآذاهم ، فحاربوه ، وأسروه ، فأمر بأن يصلب على سور ساوه ، فصلب . (ابن الأثير ٤٢٩/٩) .

وفي السنة ٤٣٤ ظهر بمصر إنسان اسمه سكين ، ادّعى أنّه الحاكم الفاطمي ، واتّبعه جماعة ممن يعتقد رجعة الحاكم ، وقصدوا دار الخلافة لاحتلالها ، فقتل من أصحاب سكين جماعة ، وأسر الباقون ، وصلبوا أحياءً ، ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا . (ابن الاثير ٥١٣/٩) .

وفي السنة ٤٤٨ تقدّم رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان شديداً على الشيعة ، إلى صاحب المعونة ابن النسوي ، بقتل أبي عبد الله بن الجلّاب ، شيخ البزّازين بباب الطاق « لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض » فقتل ، وصلب على باب دكانه (المنتظم ١٧٢/٨و١٧٣) .

وكان السلطان ألب أرسلان السلجوقي (ت ٤٥٥) شديد العناية بكفّ الجند عن أذى الرعية ، بلغه أنّ بعض خواصّ مماليكه ، سلب من بعض الرستاقية ، إزاراً ، فأخذ ذلك المملوك وصلبه (ابن الاثير ٧٥/١٠) .

وفي السنة ٤٦٠ قتل شنقاً ، أبو الحسن ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي ، أحد علماء الشيعة بحلب ، وكان من أكابر النحاة والقراء ، وكان يلي خزانة كتب الأمير سيف الدولة الحمداني ، وألّف كتاباً عن الإسماعيلية ، فأغضبهم ، فحمل إلى صاحب مصر ، فأمر بصلبه ، فصلب (اعلام النبلاء ٢٨٠/١ و١٩٨/٤) .

وفي السنة ٤٧٦ عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، بتحريض من قاضيهم ابن حلبة ، فقصدها شرف الدولة ، وحصرها ، ورماها

بالمنجنيق ، فخرب من سورها بدنه ، وفتح البلد ، وأخذ القاضي ، وأخذ معه ابنين له ، فصلبهم على السور (ابن الأثير ١٠/١٢٩ و١٣٠) .

وفي السنة ٤٨٠ أخذ أحد الأتراك ببغداد صبياً فأدخل في دبره دبّوساً فمات الصبي ، فأخذ التركي وصلب(المنتظم ١٠/٣٧) .

وفي السنة ٤٨٦ خطب تاج الدولة تتش لنفسه بالسلطنة ، وحارب السلطان بركياروق ، فانكسرتتش ، وأسر بركياروق قائدين من قوّاده ، وهما بوزان وآقسنقر ، فصلبهما . (التنظم ٩/٧٦ و٧٧) .

وعصى الشاعر أبو نصر الحسن بن أسد ، بميافارقين ، علي ابن مروان الكردي ، ففتح ابن مروان المدينة ، وأسر أبا نصر ، ثم عفا عنه بتوسّط الغسّاني ، ثم عاد في عفوه فصلبه في السنة ٤٨٧ . (معجم الادباء ٣/٤٧ - ٤٩) .

وفي السنة ٤٨٧ قتل الأمير قسيم الدولة آقسنقر ، أسره تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فقال له : لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ قال : كنت أقتلك ، فقال له تتش : فأنا أحكم عليك بمثل ما كنت تحكم به عليّ ، وقتله صبراً ، وحزن عليه أفراد رعيته بحلب ، لأنّهم أحبّوه حبّاً جمّاً ، لعدله ، ولإحيائه أحكام الدين ، ولتأمينه السبل ، وقتله قطاع الطريق ، فأنّه طلب اللصوص ، وقطّاع الطريق ، من كلّ فجّ ، وشنق منهم خلقاً ، وكان كلّما سمع بقاطع طريق في موضع ، قصده ، وأخذه ، وصلبه على أبواب المدينة (اعلام النبلاء ١/٣٧٠ - ٣٧٢) .

وفي السنة ٤٨٨ كاتب أهل حرّان جناح الدولة الحسين بن إيتكين ، زوج أمّ السلطان رضوان بن تتش ، ليسلموا إليه مدينة حرّان ، فبلغ ذلك الأمير قراجه صاحب حرّان ، فاتّهم ابن المفتي ، أحد وجهاء حرّان ، فأخذه ، وأخذ معه ابني أخيه ، وصلبهم (اعلام النبلاء ١/٣٧٤) .

وفي السنة ٥٠٠ قبض السلطان محمد السلجوقي ، على وزيره سعد الملك أبي المحاسن أحمد بن نظام الملك ، وأخذ أمواله وصلبه على باب أصبهان ، وصلب معه أربعة من أصحابه ، أتّهم وزيره بالخيانة ، واتّهم أصحابه بأنّهم باطنيّة (ابن الأثير ١٠/٤٣٧) .

وفي السنة ٥٠٦ قبض السلطان محمد السلجوقي بأصبهان ، علي زين الملك أبي سعد القمّي ، وكان يجاهر بالطعن على الخليفة والسلطان ، فلما قبض عيه أسلمه إلى الأمير كاميار ، وكان عدوّاً له ، فحمله إلى الريّ ، وأركبه على دابّة بمركب ذهب ، وأعلن أنّ السلطان خلع علي القمي لقاء مال يؤدّيه ، فحصل بذلك على أموال كثيرة من أهل القمي ، ثم صلبه (ابن الاثير ١٠/٤٩٢) .

وفي السنة ٥١٧ صلب البرسقي أحد قوّاد الخليفة المسترشد ، تسعة أنفس ، اتّهمهم بأنّ الأمير دبيس المزيدي أرسلهم لقتله . (المنتظم ٩/٢٣٧) .

وفي السنة ٥١٨ قبض في بغداد على قوم وصلوا في قافلة من الشام ، واتّهموا بأنّهم باطنية ، قدموا لاغتيال أعيان الدولة ، فصلب اثنان منهم عند عقد المأمونية ، واثنان بسوق الثلاثاء ، وواحد بعقد الحديد ، وغرّق جماعة (المنتظم ٩/٤٥٠) .

وفي السنة ٥١٩ قبض الآمر بأحكام الله العلوي ، على وزيره أبي عبد الله البطائحي ، الملّقب بالمأمون ، وصلبه وإخوته ، والسبب أنّ الآمر آتّهمه بالتآمر عليه ، والسعي في نصب جعفر أخي الآمر ، بدلاً منه . (ابن الاثير ١٠/٦٣) .

وفي السنة ٥٢٧ حصر المسترشد الموصل ، وكان صاحبها عماد الدين زنكي خارجها ، فتآمر قوم من الجصّاصين على تسليمها للخليفة ، فسعي بهم ، فأخذوا وصلبوا . (ابن الاثير ١١/٦) .

وفي السنة ٥٣٠ حكم بخلع الراشد ، فبارح الموصل ، إلى أذربيجان ، ثم مضى إلى همذان ، فأفسد جماعته بها ، وقتلوا جماعة ، وصلبوا آخرين ، وحلقوا لحى جماعة من العلماء . (تاريخ الخلفاء ٤٣٦) .

وفي السنة ٥٣٠ ، زاد فساد العيّارين ببغداد ، وقبض على عيارّين اثنين، جبيا درب الدوابّ ، فصلبا في باب الدرب المذكور . (المنتظم ١٠/٥٨) .

وفي السنة ٥٣٢ زاد تعدّي العيّارين، فجيء بأحد عشر عياراً ، فصلبوا في الأسواق ، وصلب رجل صوفي في رباط البسطامي ، لكم صبياً فمات (المنتظم ١٠/٧٢) .

وفي السنة ٥٣٢ قتل الشحنة ببغداد ، صبيّاً مستوراً من أهل المختارة ، فأمر السلطان بصلب الشحنة ، فصلب ، وحطّه العوام ، فقطّعوه (المنتظم ١٠/٧٢) .

وفي السنة ٥٣٢ عظم أمر ابن بكران العيّار بالعراق ، وكثر أتباعه ، وصار يركب ظاهراً في جمع من أتباعه المفسدين ، وخافه الوالي ، فأمر ابن أخيه حامي باب الأزج أن يستند إليه ليأمن من شرّه ، ثم فكّر ابن بكران ، ورفيق له يعرف بابن البزّاز ، أن يضربا لهما سكّة بآسمهما بالأنبار ، فأرسل الوزير إلى الوالي : إمّا أن تقتل ابن بكران ، وأما أن نقتلك ، فبعث الوالي إلى ابن أخيه ، وقل له : إمّا أن تختارني أو تختار ابن بكران ، وكان ابن بكران يزور ابن أخ الوالي ويشرب عنده في بعض الليالي ، فانتظره حتى إذا حضر أخذ سلاحه ووثب به فقتله ، ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزّاز ، وصلب ، وقتل معه جماعة من الحرامية ، فسكن الناس واطمأنوا . (ابن الاثير ١١/٦٣ و٦٤) .

وفي السنة ٥٣٣ تآمر بعض أمراء دمشق ، مع خادمي الأمير محمود صاحب دمشق ، وهما يوسف ، والبقش الأرمني ، فوثبا على الأمير محمود

فقتلاه ، وأعانهما عنبر الخادم ، **فقبض على يوسف وعنبر فصلبا** . (النجوم الزاهرة ٥/٢٦٥) .

وفي السنة ٥٣٨ زاد أمر العيّارين ببغداد ، وكثروا ، لأمنهم من الطلب ، لأنّ ابن الوزير ، وأخا زوجة السلطان ، كانا مع العيّارين ، وكان النائب في شحنكية بغداد ، مملوك اسمه إيلدكز ، وكان صارماً ، مقداماً ، فلامه السلطان ، وقال له : إن السياسة قاصرة ، والناس قد هلكوا ، فقال له : يا سلطان العالم ، إذا كان عقيد العيّارين ابن وزيرك ، وأخا امرأتك ، فأيّ قدرة لي على المفسدين ؟ وشرح له الحال ، فقال له : الساعة تخرج ، وتكبس عليهما أين كانا ، وتصلبهما ، فأخذ خاتم السلطان ، وخرج ، فكبس على ابن الوزير فلم يجده ، فأخذ من كان عنده ، وكبس على ابن قاورت ، فأخذه ، وصلبه ، وهرب ابن الوزير ، وأصبح الناس ، فشاهدوا ابن قاورت مصلوباً ، فهرب العيّارون ، وكفي الناس شرّهم . (ابن الاثير ١١/٩٥) .

وفي السنة ٥٤٣ قصد علاء الدين الغوري مدينة غزنة ، وفتحها ، وآستعمل عليها أخاه سيف الدين سوري ، وطرد عنها ملكها بهرام شاه الغزنوي ، ثم كرّ عليها بهرام شاه ، وأسر سيف الدولة ، فأشهره راكباً على بقرة ، وقد سوّد وجهه ، ثم صلبه (ابن الأثير ١١/١٣٥ و١٦٥) .

أقول : لما فتح علاء الدين الغوري غزنة ، واستعمل عليها أخاه سيف الدين ، خلع سيف الدين على أعيانها ، وأحسن إليهم ، غير أنّهم راسلوا سلطانهم السابق بهرام شاه ، فلما قصد غزنة ، ثار أهلها على سيف الدين ، وأسروه ، وسوّدوا وجهه ، وأركبوه بقرة ، وطافوا به البلد ، ثم صلبوه ، ونظموا أشعاراً غنائية في ذمّه ، فتجهّز علاء الدين الغوري في السنة ٥٥٠ وقصد غزنة ، وفتحها ، وأخذ الذين أسروا أخاه ، فألقاهم من رؤوس الجبال ، وخرّب المحلّة التي صلب فيها أخوه ، وأخذ النساء اللواتي تغنّين

بذمّ أخيه ، فأدخلهنّ حمّاماً ، وأغلقه علهنّ حتى هلكن ، وأخذ من أهل غزنة خلقاً كثيراً ، حملهم معه إلى فيروزكوه يحملون مخالي ملئت تراباً ، فبنى قلعة هناك (ابن الأثير ١١/١٣٥ و١٦٥ و١٦٦) .

وكان من جملة ما عذّب بـه نصر بن عباس ، الذي قتل الظافر الفاطمي ، أن صلب على باب زويلة حيّاً ، حتى مات . (النجوم الزاهرة ٥/٣١٠) .

وفي السنة ٥٥١ خالف عمر بن أبي الحسن ، عامل صفاقس بالمغرب ، على رجار الصقلي ، وكان رجار أراد نصب أبي الحسن عاملاً على صفاقس ، فاعتذر بالعجز ، ورشّح ولده ، فنصب رجارُ عمرَ ، وأخذ أباه أبا الحسن رهينة عنده ، فلما أراد أبو الحسن الذهاب إلى صقلية ، قال لولده : إنّني كبير السنّ ، وقد قارب أجلي ، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدوّ فآفعل ، ولا تنظر في انّني أقتل ، وآحسبْ أنّني قدمتُ ، فلما وجد عمر الفرصة للخلاف ، خالف ، وقتل جميع عسكر الإفرنج الموجودين في صفاقس في ليلة واحدة ، فاتصل الخبر بغليام بن رجار ، وكان قد خلف والده في حكم صقلية ، فكتب إلى عمر يأمره بالعودة إلى طاعته ، ويهدّده بقتل والده ، فلما وصل الرسول إلى صفاقس ، أبصر أهل البلد بأجمعهم قد تبعوا جنازة ، فدفنوها وعادوا ، وأحضر عمر الرسول ، وقال له : هذه جنازة أبي ، وقد دفنته ، فآصنعوا ما أنتم صانعون ، فعاد الرسول ألى غليام وأخبره بما حصل ، فأخذ أباه أبا الحسن ، وصلبه . (ابن الاثير ١١/٢٠٤) .

وصلب عبد المؤمن الكومي الموحّدي ، وزيره أبا جعفر بن عطيّة ، ومن غريب ما يروى أنّ الشاعر أبا بكر الأوسي ، مدح أبا جعفر بقصيدة ، قال فيها :

أبا جعفر نلت الذي نال جعفر ولا زلت بالعليا تسرّ وتحبر

فلما سمع الوزير هذا البيت ، تغيّر وجهه ، لأنّ جعفر البرمكي ، نال قطع العنق ، والصلب ، وكان من العجب ، انّ أبا جعفر كان مصيره مصير جعفر البرمكي ، حيث صلب . (نفح الطيب ٥٠٨/٣) .

وكان أبو الحسين أحمد بن علي الغسّاني ، الملقب بالرشيد (ت ٥٦٢) ، يتعصّب لصلاح الدين ، فقبض عليه شاور ، الوزير المصري ، فأدخل إلى قوص ، مكبّلاً بالحديد ، ثم أدخل القاهرة مشهراً على جمل ، وعلى رأسه طرطور ، ووراءه جلواز يضربه ، ثم صلب . (معجم الادباء ٤١٧/١ و٤٢٠) .

في السنة ٥٦٤ هاجم إيلدكز ، بلاد الريّ ، واستخلصها من صاحبها إينانج ، بأن راسل سراً جماعة من مماليك إينانج ، ووعدهم ومنّاهم ، فغدروا بإينانج وقتلوه ، وسلّموا الريّ لايلدكز ، فلما استقرّ في البلد اطّرح هؤلاء الجماعة الذين خانوا إينانج ، ولم يف لهم بما وعدهم به ، ففارقوه ، وذهب أحدهم إلى خوارزم شاه ، فصلبه خوارزم شاه ، نكالاً بما فعل بصاحبه . (ابن الأثير ٣٤٨/١١) .

وفي السنة ٥٦٤ صلب تسعة أنفس ، وقطعت يد العاشر منهم (المنتظم ٢٢٦/١٠) .

وفي السنة ٥٦٨ حاصر ابن سنكا ، نهاوند ، فتحصّن أهلها ، وقاتلوه ، وأفحشوا في سبّه ، فارتحل عنها ، ثم جاءها بحيلة ، ودخل إليها ، فقبض على القاضي ورؤساء البلد ، فصلبهم ، أمّا الوالي فقطع أنفه وأطلقه . (ابن الأثير ١١ /٣٩٠ و٣٩١) .

وفي السنة ٥٦٩ صلب صلاح الدين الأيّوبي ، بالقاهرة ، جماعة ، تآمروا عليه ، وبلغه أنّهم قد كاتبوا الإفرنج مستعينين بهم عليه ، فأمر بهم فأخذوا ، وقرّرهم ، فأقرّوا ، فأمر بصلبهم ، وكان منهم عمارة اليمني الشاعر

المؤرّخ ، وعبد الصمد ، والعويرس ، وكان بين عمارة اليمني والقاضي الفاضل عداوة منذ أيّام العاضد الفاطمي ، فلما أمر صلاح الدين بصلب الجماعة ، قام إليه القاضي الفاضل ، وخاطبه مسارّة في أمر إطلاقه ، وظنّ عمارة إنّه يحرّض عليه ، فقال لصلاح الدين : يا مولانا لا تسمع منه في حقّي ، فغضب القاضي الفاضل ، وخرج ، فقال له صلاح الدين : إنّه كان يشفع فيك ، ثم أخرج عمارة ليصلب ، فطلب أن يمرّ به على مجلس القاضي الفاضل ، ليسأله أن يشفع له ، فاجتازوا به عليه ، فقام القاضي الفاضل ، وأغلق بابه ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد آحتجب إنّ الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة (ابن الأثير ١١/٣٩٨ - ٤٠١) .

وفي السنة ٥٧٢ باع تاجر متاعاً له بألف دينار فقتله مملوكه ليفرّ بالمال فقبض عليه وصلب بالرحبة ، ببغداد . (المنتظم ١٠/٢٦٥) .

وفي السنة ٥٧٣ ضرب تركيّ ، تركيّاً آخر بنشّابة ، وأتبعها بضربة سيف ، فأخذ ، وصلب . (المنتظم ١٠/ ٢٧٠) .

وفي السنة ٥٨٦ غضب الخليفة على عبد الرشيد الصوفي الفقيه ، فأمر بصلبه ، فصلب (الذيل على الروضتين ٢٠) .

وفي السنة ٥٩٦ ظهر بدمشق ، شخص ادّعى أنّه عيسى بن مريم ، فأفتى الفقهاء بقتله ، فصلب (الذيل على الروضتين ١٦) .

وفي السنة ٥٩٦ صلب الأمير جمال الدين قشتمر الناصري بالحلّة ، ابن أمير خفاجة ، وقتل والده زياد بن عبيد ، وسبب قتلهما أنّ زياداً خلع عليه في ديوان الخلافة ، وسلّمت أليه حماية البلاد الفراتية ، فمضى مخلوعاً عليه ، ودخل على الأمير جمال الدين بالحلّة ، شامخاً عليه ، فقتله وصلب

ولـده ، فـأنكـرت الحـال عليـه ، وألـزم بـاداء ألفي دينـار سلّمت إلى ورثـة المقتول . (الجامع المختصر ٤٣) .

وفي السنـة ٥٩٧ قتـل الـسـديـد محمـد بن الاستـاذ ، كـاتب البدريّـة الشريفة ، بدار الخلافة ، وكان له حرمة تامّة ، وهيبة ، وسطوة على المماليك بالبدرية ، يعاقبهم ، ويؤاخذهم على الذنوب فهدّد مملوكين منهم ، وتوعّدهما بـالضرب ، فـآتّفقا على قتله ، ووقفـا له ، وقـد جاء من داره بكـرة ، ليدخـل حمّـام البدريـة ، فضربـاه بالسيـوف ، فحمل إلى داره مقتـولاً ، فتقدّم الإمـام النـاصر لـدين الله بصلب أحدهمـا وتوسيط الآخـر ، فأحضـر عزّ الـدين نجاح الشرابي جميع الممـاليك ، وفعـل بهما مـا رسم بحضورهم، وهم يشـاهدون ذلك (الجامع المختصر ٧٧) .

وفي السنة ٥٩٧ صلب ابراهيم بن محمـد بن ابراهيم ، النـاظر بـأعمال السـواد ، بالجـانب الغـربي من بغـداد ، والسبب لأنـه تكلم وهـو في الحبس بقدح في الدولة (الجامع المختصر ٤٤) .

وفي السنة ٥٩٨ سرق ثلاثة رجـال ، نورة من بعض المحـارز المختصّة بديوان الأبنية بدار الخلافة ، فأمر بهم فصلبوا (الجامع المختصر ٧٩) .

وفي السنـة ٦٠١ اتّفق ضـريـران ، عى خنق ضـريـر ثـالث ، كـان في مسجـد بقراح ابن رزين ببغـداد ، من أجل الاستحـواذ على ذهب كان معـه ، ولما خنقاه لم بجدا معه شيئاً ، فندمـا ، وأدركهما الصبـاح ، والرجـل مخنوق عندهما في المسجد ، فخرجا هاربين ، وقصـدا الجانب الغـربي ، وظهر أمـر الضرير المخنـوق ، ولم يعرف قـاتله ، وصادف أنّ بعض رجـال الشرطـة رأيا الأعميين في الطريق ، فقال أحد الرجال ، على سبيل الولع والفكاهة، هذان هما اللذان خنقا الأعمى بالمقتديّة ، فقال أحدهما ، مشيراً إلى صـاحبه : هـذا خنقه ، وقال الآخر : بل هـذا ، وأخذا ، وقـرّرا ، فأقـرّا فأخـذا إلى المسجد

الـذي حصـل فيـه الخنق ، وصلب أحـدهمـا ، وقتـل الآخـر .(ابن الأثيـر ٢٠٧/١٢ والجامع المختصر ١٤٩ ، ١٥٠) .

وفي السنة ٦٠٢ كان علاء الدين بن محمد ، ابن أخت السلطان شهاب الـدين ، قد استـولى على غـزنـة ، وطـرد عنهـا الأميـر ألـدز ، الـذي أراد أن يتسلطن فيها ، فكبس عسكر ألدز مدينة كرمان (في بلاد الأفغـان ، بين غزنـة ولها وور) وقتلوا كثيراً من الأمـراء والقوّاد في جيش عـلاء الدين ، فلمـا وصل الخبر إلى علاء الدين في غزنـة ، أمر بمن جـاءه بالخبـر ، فصلب (ابن الأثير ٢٣٥/١٢) .

وفي السنة ٦٠٥ سرقت غلّة في التاجيّة من غلّات الديوان ، فخرج قوام الـدين ، وكيل الخليفـة ، وصدر المخـزن ، إلى قريـة بريـدة في معاملة نهـر الملك ، وصلب ثـلاثة أشخـاص وهم : أبو القـاسم بن حمّـاد ، الـذي كـان ناظراً بنهر الملك ، والثاني : حامي التـاجيّة ، والثـالث : شخص يعرف بـابن زريق . (الجامع المختصر ٢٦١) .

وفي السنة ٦٠٥ شنق فضيل الخياط بدمشق ، لأنّه قتل تاجراً قزوينياً (ذيل الروضتين ٦٦) .

وفي السنـة ٦٠٥ دخل أحـد الممـاليـك ، وهـو سكـران ، إلى جـامـع دمشق ، عند أذان الصبح ، فسلّ سيفه وضـرب به جمـاعة ، مـات بعضهم ، فقبض عليـه ، وترك بـالبيمـارستـان ، وشنق آخـر النهـار . (ذيـل الـروضتين ٦٤) .

وفي السنـــة ٦٠٥ قتـل الشـــرف الفلكي ، قتله مملوكـــه ، فقبض على المملوك ، وصلب بدمشق على قبر القتيل (الذيل على الروضتين ٦٤) .

وفي السنـة ٦٢٢ اتّهم الملك المعظم ، اثنين من الـدماشقـة ، بالتـآمـر

عليـه ، فصلبهما منكّسين على رأسيهمـا ، حتى ماتـا (الذيـل على الروضتين ١٤٤) .

وفي السنة ٦٢٨ دخل بعض الأتراك ، إلى دار الوزارة ، في دار الخلافة ببغداد ، وبيده سيف مشهور ، ولم يكن الوزير مؤيّد الـدين القّمي في الدار ، فقبض على التركي ، وضرب ضرباً مبرّحاً ، وقـرّر ، فذكـر إنّ له مدّة لم يصله شيء من معيشته ، وهو مـلازم الخدمـة ، وقد أضـرّ به ذلـك ، فحمله فقره ، وحاجته ، وغيظه ، على فعل ما فعل ، فصلب ، وحطّ بعد يومين (الحـوادث الجامعة ٢٣) .

وفي السنة ٦٤٧ هاجم الإفـرنج مـدينة دميـاط ،وكان رأسهـم ريـدفرانس فأخـلاها الجيش المصري المـدافع عنهـا ، وتـركهـا من دون حـرب ، فحنق السلطان الملك الصالح على القـوّاد المذكـورين ، وأمر بهـم فشنقـوا جميعاً . (النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٠) .

وفي السنـة ٦٤٧ قتـل الملك الصـالـح ، شنقـاً ، ابن يغمـور ، وأمين الدولة ، شنقهما على قلعة القاهرة (النجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٩) .

أقول : هكذا ورد الخبر في النجوم الـزاهرة ، وقـد أورد صاحب اعـلام النبلاء الخبر مع ختلاف في التاريخ والاسم ، قال :

في السنة ٦٤٨ أخرج عزّ الدين أيبك ، المستولي على الحكم بمصـر ، من الحبس أمين الدولة وزير الصـالـح أيّـوب ، وآبن يغمـور استـاذ داره (دار الصالح) وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالـح أيّوب على بعلبـك فشنقهما على باب قلعة الجبل (اعلام النبلاء ٢/ ٢٧٣) .

أمـا صاحب الاعـلام ، فقد أورد الخبـر في ترجمـة أمين الدولـة ، كما يلي :

في السنـة ٦٤٨ أعدم شنقـاً أمين الدولـة أبو الحسن بن غـزال . الوزيـر

العالم ، الطبيب ، كان وزيراً للأمجد بهرام شاه ، بدمشق، ولما توفي استوزره الملك الصالح اسماعيل ، فلما انتقل الصالح إلى بعلبك ،أراد أمين الدولة أن يلحق بـه ، فاعتقله نـائب دمشق ، وحمله إلى مصـر ، حيث آعتقـل في قلعـة القاهرة خمس سنوات ، ثم أعدم شنقاً (الاعلام ١/٣٥٨) .

وفي السنة ٦٥٨ لما ظفـر الملك قطز بـالتتار ، دخـل إلى دمشق ، وأمر بشنق جمـاعة من المنتسبين إلى التتـار ، وكان من جملتهم حسين الكـردي ، طبردار الناصر يوسف ، وهو الذي أوقع الملك الناصر في أيدي التتار (اعلام النبلاء ٢/٢٩٥) .

وفي السنـة ٦٦٠ قتـل شخص تـاجـراً بـدمشق ، وسـرق مـالـه ، فشنق (الذيل على الروضتين ٢١٦) .

وفي السنة ٦٦٠ اتّهم خضر الكردي ، قاضي المقيس ، بـأنّه يسعى في إقامة دولة كرديّة ، فشنق بمصر (الذيل على الروضتين ٢١٧) .

وكان الملك الظاهـر بيبرس ، متشـدداً في منع شـرب الخمر ، حتى إنّـه بلغه في السنة ٦٧٤ عن الطواشي شجاع الدين عنبر ، المعروف بصدر البـاز ، وكان قد تمكّن منه تمكناً كثيراً إنّه يشـرب الخمر ، فشنقـه تحت قلعة الجبـل (خطط المقريزي ١/١٠٦) .

وصلب الملك الظاهر ، سلطان مصر ، ابن الكازروني ، عقاباً لـه على شـرب الخمر ، وعلّق في حلقـه جـرّة خمـر ، فقال ابن دانيـال (ت ٧١٠) : (الوافي بالوفيات ٣/٥٤) .

لقـد كان حـدّ الخمر من قبـل صلبه ... خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصـاحبي : ... ألاتُبْ فـإنّ الحـدّ قـد جـاوز الحـدّا

وفي السنـة ٦٨٠ مرّ بعض السقّـائين في القاهـرة ، بشخص ، فـزحمـه

براويته، فوسّخه ، فتقاولا ، وتماسكا ، وضرب ذلك الشخص السقّاء بسكين فقتله ، فأمر به السلطان فشنق (سيرة الملك المنصور ٨٩) .

وفي السنة ٦٨٠ مرّ بعض الأجناد بخيّاط ، فطالبه بإنجاز شيء كان أوصاه عليه، وتقاولا ، فضربه الجندي ، فقتله ، فأمر به السلطان فشنق (سيرة الملك المنصور ٨٩) .

وفي السنة ٦٨٨ وجد في الخزانة المحمولة من بغداد إلى الأوردو المعظم كيس فلوس ، أي نقود نحاسيّة ، فتقدّم بالفحص عن ذلك ، فظهر إنّ بعض حراس الديوان فعل ذلك ، فأمر بصلبه ، فصلب (في التراث العربي ٤٨١) .

وفي السنة ٦٨٩ صلب جمال الدين بن الحلاوي ، ضامن تمغات بغداد ، بباب النوبي ، وعليه ثيابه ، وسلّم إلى أهله في آخر النهار (تاريخ العراق للعزّاوي ١/٢٤٧) .

وفي السنة ٦٩٥ قبض بدمشق على فقير مولّه ، اعترف بارتكابه عدّة جرائم قتل ، فسمّر، وبقي يومين ، ثم شنق في اليوم الثالث (تاريخ ابن الفرات ٨/٢٠٥) .

وفي السنة ٧٠٦ قتل السلطان أبو ثابت المريني ، سلطان المغرب، من أقاربه المنازعين سلطانه ، وممن والاهم ، ستمائة من أهل مراكش ، وصلبهم على سورها . (الاعلام ٤/٢١ و٢٢) .

وفي السنة ٧٢٣ خرج بعض المماليك ، على المجاهد الرسولي ، صاحب اليمن ، وجاهروه بالقبيح ، فقبض على جماعة منهم ، وشنق خمسة ، ثم شنق اثنين آخرين ، بعد يومين ، ثم شنق منهم بعد ذلك اثنين آخرين . (العقود اللؤلؤية ٢/١٢) .

وفي السنة ٧٢٤ قتل كريم الدين الكبير ، واسمه أكرم بن هبة الله

القبطي ، تسمّى لما أسلم عبد الكريم ، وكنّي بأبي الفضائل ، ولقّب كريم الدين ، ولما لقب ابن أخته كريم الدين أيضاً ، أضيف إلى لقبه الكبير ، تمييزاً له عن ابن اخته الذي لقب كريم الدين الصغير ، وكان قتل كريم الدين الكبير شنقاًبأسوان ، وكان قد بلغ في الدولة المصرية مبلغاً عظيماً حتى ولّاه السلطان الملك الناصر وكالته ، ثم قرّره في نظر الخاصّ ، ثم أوكل جميع أمور الدولة وأموره الخاصّة إليه ، وبلغ من رفيع المنزلة في الدولة ، ما لم يبلغه أحد قبله ، حتى إنّه وصل ما بين السلطان الملك الناصر ، والسلطان أبو سعيد ، وخطب للناصر على منبر تبريز ، ولكّن كثرة عطاياه وانعاماته على الأمراء ، بعثت الناصر على الإرتياب منه ، فاعتقله ، وصادر أمواله ، وكانت عظيمةجداً ، وأمره أن يقيم هو وولده بالقرافة ، ولا يجتمعان بأحد ، ثم نفي هو وولده إلى الشوبك ، ثم أعيد إلى القدس ، ثم حمل هووولده ألى مصر، فحبس ببرج القلعة ، ثم نفي إلى أسوان ، حيث شنق (الدرر الكامنة ١/٤٣٠ و٤٣١) .

وفي السنة ٧٢٥ شنق الطواشي حصير ، بأمر من السلطان المجاهد ، محمد بن طرنطاي ، أحد كبار الولاة في اليمن ، وظلّ مشنوقاً مدّة ، ثم أنزل وقبر ، بعد أن أكلت منه الكلاب . (العقود اللؤلؤيه ٢/٣٥) .

وفي السنة ٧٢٦ تحرك العوارين بزبيد ، باليمن ، فتولّى أمرهم الأمير الظاهر ، أمير زبيد ، وشنق طائفة منهم ، وكحل طائفة أخرى . (العقود اللؤلؤية ٢/٤٢) .

وفي السنة ٧٢٨ زحف المجاهد ، صاحب اليمن ، على عدن ، فدخلها ، وأمر بقتل جماعة من المماليك والشفاليت ، وأخذ الوالي والناظر والرهائن في سلسلة من حديد ، فشنق الوالي والناظر ، وغرّق الباقين (العقود اللؤلؤية ٢/٤٨) .

وفي السنة ٧٣٠ وجد السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، أنّ أهل تعز ، أصبحوا على أخبث ماكانوا عليه من الخلاف ، وخرق العرض ، والشتم الشنيع ، فحاربهم ، وشنق طائفة منهم في كل طريق ، وحزّرؤوسهم حتى ذلّوا ذلّاً شديداً . (العقود اللؤلؤية ٢/ ٥٥) .

وفي السنة ٧٤٢ خلع الملك المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون ، ونفي من القاهرة إلى قوص ، حيث قام متولّي قوص عبد المؤمن بقطع عنقه ، وحمل رأسه إلى الأمير قوصون سرّاً ولما قبض على قوصون ، اعترف عبد المؤمن بما صنع ، فأمر الملك الناصر أحمد (أخو المنصور) بتسمير عبد المؤمن ، فسمّر بباب المارستان المنصوري بمسامير جافية شنيعة ، وطيف به ، مدّة ستّة أيّام ، وهو يحادث الناس في الليل بأخباره ، ثم شنق على قنطرة السدّ ، وأكلته الكلاب (النجوم الزاهرة ١٠/ ١٧ و٦٢) .

وفي السنة ٧٤٦ شنق الواعظ المحتسب شرف الدين أبو بكر المعروف بابن المؤيدّي نائب الوكالة باللاذقية ، خافوا بطرابلس من طول لسانه ، واتّصاله بأعيان المصريين ، وقامت عليه بيّنة بألفاظ تقضي بانحلال العقيدة ، فحملوا قاضي القدموس المالكي ، على الحكم بقتله ، وشارك في واقعته قاضي اللاذقية المالكي أيضاً (تاريخ أبي الفدا ٤/ ١٣١) .

وفي السنة ٧٤٧ بلغ سلطان اليمن ، أنّ جماعة من المماليك الغرباء ، على وشك المناداة بابن أخيه ، الملك الفائز أبي بكر بن حسن ، سلطاناً بدله ، فاعتقل ابن أخيه في تعز ، حيث مات في سجنه بعد قليل ، ثم اعتقل جماعة من المماليك الغرباء ، وأتلفهم قتلاً ، وشنقاً ، وتغريقاً . (العقود اللؤلؤية ٢/ ٧٩ و٨٠) .

وفي السنة ٧٥٢ تحرك الطواشي جمال الدين بارع ، ضد السلطان المجاهد ، صاحب اليمن ، فكتب إليه الطواشي أمين الدين أهيف ، عن

سبب حركته ، فادّعى انّها بأمر الوزير فقبض عليهما ، وشنقهما . (العقود اللؤلؤية ٢ / ٨٧) .

وفي السنة ٧٥٢ قتل غيلة أبو جعفر الغرناطي أحمد بن سليمان بن يوسف ، المعروف بابن الحدّاد ، اغتاله بعض الشطّار لكونه وجّه الحكم عليه في استخلاص مال يتيم ، فقبض على قاتله ، وصلب بالمكان الذي فتك به فيه (الدرر الكامنة ١ / ١٤٩) .

وفي السنة ٧٥٨ وصل التجّار إلى اليمن ، بعّدة من الخيل ، فلما دخلوا فشال ، أخذ الأشاعر الخيل بموافقة الوالي وهو الأمير بدر الدين حسن بن باساك ، فأمر السلطان بالوالي ، فشنق . (العقود اللؤلؤية ٢ / ١٠٤) .

وفي السنة ٧٧٢ قبض ابن السنبلي ، بأمر من السلطان الأفضل ، صاحب اليمن ، على مشايخ القرشيين ، وأمر السلطان بتلفهم (يريد بقتلهم) ، فوسّط منهم خمسة نفر ، وسمّر ثلاثة ، وشنق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢ / ١٤٨) .

وفي السنة ٧٨٠ كان الأمير إسماعيل بن الأمير زكريا ، حاكم العراق ، ببغداد ذاهباً يوم الجمعة إلى الجامع الذي أنشأه ، فاغتاله مبارك شاه ، فقتله ، وقتل عمّه ، وقطع رأس الأمير اسماعيل وصلبه في جدار الجامع الذي بناه (تاريخ العراق للعزاوي ٢ / ١٥٨) .

أقول : وهذا الجامع إلى اليوم يسّمى : جامع المصلوب .

وفي السنة ٧٩٩ قبض في زبيد باليمن، على خمسة من مقاصرةالشام ، فأمر السلطان بشنقهم فشنقوا (العقود اللؤلؤية ٢ / ٢٩٠) .

وكان تيمورلنك قدنصب ولده ميران شاه على تبريز ، ثم بلغه أنّه يصرف أكثر أوقاته في اللهو والطرب والعشرة غافلاً عن أمور المملكة ، فدخل تيمور

تبريز في السنة ٨٠٢ وشنق جماعة من أهل الطرب من عشراء وجلساء ميران شاه ومنهم قطب الموصلي ، وكان أعجوبة الزمان ، وكان ميران شاه قد أغرم به . (التاريخ الغياثي ١٩٤ ، ١٩٥) .

ولما دخل تيمورلنك دمشق في السنة ٨٠٣ بالأمان ، نادى في المدينة بالأمان والإطمئنان ، فاتّفق أنّ أحد عسكره نهب شيئاً من السوق ، فشنقه وصلبه برأس سوق البزوريّين (شذرات الذهب ٧/ ٦٤) .

وفي السنة ٨٠٩ قتل الأمير حكيم ، وكان شديد القسوة ، شنق رجلاً في حلب ، لأنّه رعى فرسه في زرع ، وشنق آخر بسلمية ، وشنق جندياً بدمشق (بدائع الزهور ١/٢/ ٧٥٢) .

وفي السنة ٨١٦ اتّهم الشريف حسن بن عجلان صاحب مكّة ، جابر بن عبد الله الحراشي ، أنّه يوالي خصمه رميثة ، فاعتقله وشنق على باب الشبيكة (الضوء اللامع ٣/ ٥١) .

وفي السنة ٨١٦ قبض بمنى في موسم الحجّ ، على جابر بن عبد لله أمير جدّة ، وعلى ولده محمد ، وشنقا بعد المغرب ، شنق الأب بباب المعلاة ، والإبن بباب شبيكة (الضوء اللامع ٧/ ٢٠٨) .

وفي السنة ٨٣٢ شنق السلطان حسين بن علاء الدولة ، وزيره شهاب الدين ، في باب التمغا ببغداد (تاريخ العراق للعزّاوي ٣/ ٨٢) .

وفي السنة ٨٤٤ مات توران شاه بن تهتن شاه بن توران شاه ، صاحب هرمز ، وكان قد دسّ له السمّ أكثر من مرّة ، وآستقر بعده ابنه مقصود ، فدام قليلاً ثم كحل ، أي سملت عيناه ، وخلفه الملّا شهاب الدين أخ مقصود ، فشنق ، وخلفه أخوه مزعل (الضوء اللامع ٣/ ٤٥) .

ولما تسلطن حسن علي ، على أذربيجان ، خلفاً لوالده جهان شاه ، كان يحقد على زوجة أبيه بيكم خاتون ، فلما دخل تبريز ، عمد إلى أخويها

قاسم وحمزة وإلى قومها وأهلها ، وإلى عدد من أقاربه أيضاً ، فعاقبهم ، وعذّبهم ، وصلبهم بأجمعهم (تاريخ الغياثي ٣٢٨) .

وفي السنة ٨٧٧ أسر شاه سوار الذي كان خرج على سلطان مصر ، وحمل إلى القاهرة ، فأشهر ، ثم شنق بباب زويلة ، هو وعشرون أنساناً من إخوته وأقربائه ورجال دولته (اعلام النبلاء ٣/٧١ ـ ٧٤) .

وفي السنة ٨٧٧ شنق بمدينة حلب ، عثمان بن أغلبك ، ومعه نحو الأربعين نفراً ، اتهموا بأنّهم قد تواطؤوا مع السلطان حسن الطويل ، سلطان العراق، فصدر أمر السلطان بشنقهم ، فشنقوا (اعلام النبلاء ٣/٧٦) .

وفي السنة ٨٨٥ قتل شنقاً عبد الله بن نصر ، بأمر من السلطان الاشرف قايتباي ، وكان قد صادره ، وطالبه بمال ، فعجز عن أدائه ، فشنق (الضوء اللامع ٥/٧٢) .

وفي السنة ٨٨٥ قتل قاسم بن بيبرس بن بقر ، أحد شيوخ العرب بالشرقية ، وكان الأشرف قايتباي قد سجنه مدّة بالبرج ، ثم شنقه ، ولم يبلغ الأربعين (الضوء اللامع ٦/١٨٠) .

وفي السنة ٨٩٢ وردت الأخبار إلى مصر ، بأنّ شاه بوداغ بن دلغادر ، وكان مسجوناً بقلعة دمشق ، قد فرّ من سجنه ، فغضب السلطان ، وأمر بشنق نائب قلعة دمشق ، فشنق (اعلام النبلاء ٣/٩٦) .

وفي السنة ٩١٩ وقعت حادثة بمصر ، وهي إنّ رجلاً اتّهم بأنّه زنا بأمرأة فرفع أمرهما ألى حاجب الحجّاب بالديار المصرية الأمير أنسبائي ، فضربهما ، فاعترفا بالزنا ، ثم بعد ذلك رفع أمرهما إلى السلطان الغوري ، فأحضرا بين يديه ، وذكرا انّهما رجعا عما أقرّا به من الزنا قبل ذلك ، فقعد السلطان لهما مجلساً جمع فيه العلماء والقضاة الاربعة ، فأقر شيخ الإسلام برهان الدين المقدسي بصحة الرجوع ، فغضب السلطان لذلك ، وكان

المستفتى شمس الدين الزنكلوني الحنفي وولده ، فأمر السلطان بهما ، فضربا في المجلس ، حتى ماتا تحت الضرب ، وأمر بشنق المتّهمين بالزنا على باب صاحب الفتوى ، فشنقا ، وعزل الشيخ برهان الدين والقضاة الأربعة من مناصبهم (الكواكب السائرة ١/١٠٣) .

وفي السنة ٩٢٣ قتل السلطان طومان باي ، أبو النصر ، وكان الغوري قد أنابه عنه بمصر ، لما خرج لمحاربة السلطان سليم العثماني ، فلما قتل الغوري ، نصبه المماليك سلطاناً بمصر ، فحارب السلطان سليم لما قصد مصر ، فانكسر جيشه ، واختفى ، ثم اعتقل ، وشنق بباب زويلة بالقاهرة ، (الاعلام ٣/٣٣٧) .

وفي السنة ٩٣٠ شنق الشيخ ابراهيم الصوفي الدمشقي « لأنّه اتّهم بالكيمياء » (الكواكب السائرة ١/١١٣) .

وفي السنة ٩٣٠ أشار الأمير ابراهيم المرقباني ، على أحمد باشا والي مصر ، أن يطلق شيخ العرب عبدالدائم بن بقر ، وكان مسجوناً منذ عهد السلطان الغوري ، ولما تردّد أحمد باشا في إطلاقه ، قال له الأمير ابراهيم : أطلقه بضماني وإن حصل منه خلل فآشنقني ، فأطلقه ، وضمّنه البلاد الشرقية ، فأظهر عبد الدائم العصيان ، فأمر أحمد باشا بالأمير ابراهيم المرقباني فشنق (الكواكب السائرة ١/١٥٨) .

وفي السنة ٩٣٠ قتل شنقاً ، القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان ، اتّهم بأنّه أغرى أحمد باشا على طلب السلطنة بمصر ، فلما قتل أحمد باشا ، اعتقل القاضي ابن الجيعان ، ولما أخرج لشنقه ، طلب من الجلّاد أن يمهله ليصلّي ركعتين ، فصلّى ، ثم شنق (الكواكب السائرة ١/١٥٦) .

وفي السنة ٩٤١ صلب السلطان سليمان القانوني ، ببغداد ، اسكندر جلبي الدفتري (تاريخ العراق للعزاوي ٤/٣٨) .

واتّهم إبراهيم بن خضر اللاري ت ٩٤٦ ، نزيل حلب ، أحد مماليكه ، بأنّه اختلس شيئاً من أمواله فشنقه على باب سوق الدهشة ، حيث الموضع الذي تمّ فيه الاختلاس . (اعلام النبلاء ٦/٢٦) .

وفي السنة ٩٤٤ أمر سليمان باشا ، بكلربكي مصر ، بصلب الأمير داود بن عمر أمير الصعيد ، فصلب بباب زويلة . (البرق اليماني ٧٦) .

وفي السنة ٩٤٥ جاء سليمان باشا الخادم ، الذي نصبه السلطان سليمان لطرد البرتغال من سواحل الجزيرة العربية، فلما وصل إلى عدن، فتح له أمير عدن أبوابها ، واستقبله ، فلما دخل سليمان باشا الى عدن ، ألبس أميرها عامر بن داود ومن معه خلعا ، ثم أمر بهم فصلبوا جميعاً ، ثم خرج من عدن ، متوجّهاً إلى الهند لحرب البرتغال . (البرق اليماني ٨٠ و٨١) .

وفي السنة ٩٤٧ قتل شنقاً بالقاهرة ، قاسم بن عبد الكريم الفاسي ، ناظر الأوقاف بالديار المصرية ، قبض عليه بالقاهرة ، وحبس ، ثم أخرج من حبسه ليشنق ، فرجمه الناس بالحجارة ، وهو في طريقه إلى باب زويلة ، حيث شنق هناك (الكواكب السائرة ٢/٢٤٢) .

وفي السنة ٩٦٦ شنق بدار السعادة حسين جلبي متولّي تكية السلطان سليم بالصالحية ، وشنق معه سنان القرماني وكان يلي نظارة المارستان بدمشق ثم ولي نظارة الجامع الأموي ، وانتقد على سنان إنّه باع بسط الجامع وحصره ، وإنّه خرّب مدرسة المالكية التي بقرب البيمارستان النوري وتعرف بالصمصامية ، وحصل به الضرر بمدرسة النورية ، فشنق سنان وحسين جلبي ، صلبا معاً بدار السعادة وعماماتهما على رأسيهما ، وهما ذوا شيبتين نيّرتين (شذرات الذهب ٨/٣٤٧) .

ولما دخل محمود باشا ، والي اليمن ، إلى اليمن في السنة ٩٦٨ ، أمر

بصلب أمين دار الضرب ، فصلبه ، واستولى على ذخائره ، وكان غنياً . (البرق اليماني ١٢٨) .

ولما سافر محمود باشا ، بعد عزله من اليمن ، إلى مصر ، توقف في جدّه ، وكان لا يصبر عن القتل، فضاق ذرعاً ، لأنّه خلال مكثه في الحجاز لم يقتل أحداً ، وكان عنده مملوك ، اشتراه قريباً بمائتي ذهب ، فقد خنجره ، فجعل ذلك ذنباً له ، وأمر بصلبه ، فوضع في عنقه حبل ، وسحب من بين يديه ليصلب ، فتوسّط له السيد حسين القاضي وغيره ، فلم يقبل فيه شفاعة ، ومضوا به وصلبوه ، وعذّبوه في صلبه ، لأنّهم كانوا مماليك صغاراً لا يعرفون كيف يصلبون . (البرق اليماني ١٤٩) .

ولما ولي محمود باشا ، مصر في السنة ٩٦٨ ، قدمها بحراً ، فلما وصل إلى القاهرة ، قدم عليه الامير محمد بن عمر، صاحب الصعيد ، وقدّم له سفينة كبيرة مشحونة بأنواع الهدايا والتحف ، ومعها خمسين ألف دينار من الذهب ، فبمجرّد وصوله ، أمر محمود باشا بصلبه ، وأخذ جميع ما معه ، ثم صلب القاضي محمد العبادي ، كاتب الروزنامة ، وكاتب الجوالي ، ثم صلب شخصاً مغربياً، يدعى المعرفة بعلم النجوم ، كان قد تنّبأ له بأنّه لا يتولّى مصر ، فلما وصلها متولّياً أمر بصلبه . (البرق اليماني ١٥١) .

وفي السنة ٩٧٥ أمر حسن باشا ، بكلربكي اليمن ، بالفقيه عبد الوهاب المحرقي ، فشنق على باب داره (البرق اليماني ١٨٨) .

وفي السنة ٩٨٨ مات بدمشق شخص اسمه محمود بن يونس بن شاهين الأعور ، فتزوّج أحد الأجناد الدمشقيّين ، واسمه يوسف السقّا بزوجة الأعور المتوفّى ، وسافر إلى إصطنبول ، وتقدّم إلى السلطان بشكوى خلاصتها إنّ الأعور مات عن تركة مقدارها ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وليس له وارث ، فهي من حق بيت المال ، ولكنّ بعض القضاة وسمّاهم ، اتّفقوا مع الترجمان ،

واقتسموا التركـة فيما بينهم ، بعـد أن نصبوا لـه بطريق التـزوير وارثـاً ، فوجّـه السلطان أحد موظّفي بلاطه ، وآسمه محمود البواب للتحقيق في الموضـوع ، فلمـا وافي الشـام ألقى القبض على القضــاة ، وفـرّ أحــدهم إلى طـرابلس ، فأحضره البـواب وأدخله إلى دمشق وعلى رأسه قلنسـوة نصراني ، وفي رجليـه القيود وفي عنقه الغلّ ، أما القضاة الباقون ، فإنّ البـواب وضع « الـزناجيـر في رقابهم ، واستولى على جميع ما يملكونه ، وعاقبهم معاقبـة بالغـة ، ثم صادر جميـع أعيـان دمشق ووجـوههـا ، وأخـذ منهم أمـوالاً عـظيمـة ، فشكـوه إلى السلطان فخـرج الأمر السلطاني بقتله ، فـأحضره الـوزيـر حسن بـاشـا ، والي الشام ، وعقد له مجلساً حضره القضاة ورجال الدولة ، وأحضروا من كـان في حبس البـواب على صورتهم ، والقيـود والأغـلال في أعنـاقهم ، ولمـا أحضـر البـواب إلى المجلس ، نزعت عنـه كسوة السلطان ، وألبس قلنسـوة نصراني ، وأقيمت عليه البيّنة « بتحقير العلماء » وحكم عليه القاضي بالقتل ، فـأنزلـوه ، ولمـا تحقّق البواب أنّـه مقتـول ، طلب إمهـالـه ليغتسـل ، فـأمهـل حتى اغتسـل ، وصلّى ركعتين ، وصلب في خشب الأرجوحـة المنصوبـة على باب دار الإمارة (خلاصة الاثر ٢ / ٤١ ـ ٤٣) .

وكان سليمان باشا بن قباد ، محافظ دمشق ، المتـوفى سنة ٩٩٧ شـديد السطوة ، ينـوّع أنواع العذاب للسـراق والقطّاع والـزناة والمعـرّصين والمزوّرين وقتل محمد بن جلال الدين العامل في التزوير ، وقتل حمدان قبـل أن يدخـل دمشق وهو بالمرجة ، وسلّ لسانه من تحت حنكه ، ثم شنقه في شجرة خـارج بـاب جامـع يلبغا الغـربي ، وشنق ابن المعلّم البعلي نقيب الشيـخ أحمـد بن سليمـان في الـدلبـة بالمـرجة ، وشنق كتخـدايه ابن الأصفـر بالقـرب من سـوق القاضي داخل دمشق ، وكـان من الجبّارين إلا أنّـه قطع المناحيس (الكواكب السائرة ٣/١٥٨) .

وفي السنـة ١٠١٠ مـات عبـد الحليم اليـازجي ، أحــد الخـوارج على

الـدولة العثمـانية ، وكـان في أوّل أمره من أتبـاع الأمير درويش الـرومي حاكم صفـد ، ولمـا عـزل الأميـر عن صفـد ، حسّن لـه عبـد الحليم الخـروج على الدولة ، فأعلن خروجه ، وسيّرت عليه عدّة جيوش ، فكان الظفر لـه ، ثم بدا لـه أن يترك المخـالفة ، وأن يتـوجّه إلى الأبـواب السلطانية ، فلمـا وصل إلى إصـطنبول ، عـرض الوزيـر التقاريـر التي وصلت بشأنـه إلى الـدولـة ، فـأمـر السلطان بأن يصلب ، فصلب بثيابه (خلاصـة الأثر ٢/٣٢٢) .

وفي السنـة ١٠٤١ وافي القنقدة قسم من عسـاكر اليمن الـذين طـردهم حـاكمها قـانصوه ، فـأرسلوا إلى الشريف محمـد ، أمير مكّـة ، أن يـأذن لهم بدخول مكّة ليمتاروا وهم في طـريقهم إلى مصر ، فـأبى عليهم دخول مكّـة ، فدخلوها عنوة، وحاربوا الشريف محمـد ، وقتلوه في المعركـة ، ولما استـولوا على مكّة نصبوا الشريف نـامي بن عبد المطلب أميراً ، وأشركوا معه الشـريف عبد العزيز بن إدريس ، وراسلوا أميـر جدّة أن يسلمهـا إليهم ، فـأبى ، وقتـل رسلهم ، فحضروا جدة ، ودخلوهـا عنوة ، ونهبـوها ، وفـرّ الشريف زيـد إلى المدينة ، وكاتب السلطان بمصر ، فوجّه إليه جيشاً ، ونصبه أميراً على مكّـة ، وتقدّم الجيش المصري يريد الخوارج اليمانيّين ، فتحصّنـوا في حصن تربـه ، وكـان لهم رئيسان الأميـر علي ، والأميـر محمـود ، فخـامـر الأميـر علي على أصحـابه ، واتّفق مـع المصـريّين على أن يحقنـوا دمـه ، ويسلم إليهم الأميـر محمود ، فأمّنوه ، فآحتال حتى أسلم إليهم الأمير محمود ، فأشهروه ، وطافوا به على جمل معذّباً بالنار ، ثم صلب حيّاً بالمعلاة حتى مات ، وأخذته العـامّة فأحرقته ، ولما انتهى أمر الخوارج ، قبض على الشريف نامي وأخيه السيد ، وحبسا ، ثم صدرت فتوى العلماء بقتلهمـا ، فقتلا ، وصلبـا (خـلاصـة الأثر ٢/١٧٧) .

أقول : أورد صاحب الاعـلام ٨/٣١٩ الخبر خـلافاً لمـا سلف ، قال : في السنـة ١٠٤٢ قتل شنقـاً الشريف نـامي بن عبـد المـطلب بمكّـة ، وكـان

قانصوه باشا قد قتل أخاه الشريف أحمد ، فآنصرف نـامي إلى اليمن ، وجيّش جيشاً فتح به مكّة ، وقتـل أميرهـا الشريف محمـد بن عبد الله ، وملكهـا مائـة يوم ، ثم حاربه الشريف زيد بن محسن ، وقبض عليه فشنقه .

وفي السنة ١٠٤٦ قتل شنقـاً بإصـطنبـول ، السلطان عنـايت كـراي بن غازي ، سلطان القرم ، وكان قدولي الحكم منذ السنة ١٠٤٤ (معجم انساب الاسر الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١٠٥٢ دخل الوزير محمـد باشـا ، المعروف بجـوان قبوجي باشي ، مدينة دمشق ، والياً ، فآتّفق إنّه وجد ثلاثة أنفار مقتولين قرب المدرسة الـظاهريـة ، فبذل جهـده في البحث عن القـاتلين ، حتى عثر عليهم ، وثبت عليهم القتـل ، فصلبهم على بـاب المـدرسـة المـذكـورة (خـلاصـة الأثـر ٣٠٣/٤) .

وفي السنة ١٠٥٩ قتل السلطان ابراهيم الأول العثماني ، وزيـره الأول ، الصـدر الاعظم صـوفي محمد بـاشا ، فـأعـدم شنقـاً (معجم انسـاب الاسـر الحاكمة ٢٤٣) .

وفي السنـة ١٠٨٨ في أيّام الحكم العثمـاني في العراق ، كـان يجـري صلب مـرتكبي جرائم السـرقة ، في رحبـة الجسر (تـاريـخ العـراق للعـزاوي ١١١/٥) .

وفي السنـة ١٠٩٧ أعدم شنقـاً بأمـر السلطان محمد الـرابع العثمـاني ، وزيره الأول الصدر الأعظم قره ابـراهيم باشـا (معجم انساب الاسـر الحاكمـة ٢٤٤) .

وفي السنـة ١١٣٩ قتل السلطان أحمـد بن إسماعيـل بن الشريف ، أبـا عبد الله محمد بن العياشي ، الكاتب ، صلباً . (الاعلام ٢١٢/٧) .

وفي السنة ١١٥٦ جهز سليمان باشا العظم ، والي دمشق ، عسكراً على الظاهر عمر الزيداني ، بعد أن قبض على أخيه مصطفى وشنقه بدمشق ، ولما وصل سليمان باشا ، وحصر عكا ، مات (خطط الشام ٢/٢٩٣) .

وفي السنة ١١٥٧ بعث الوزير احمد باشا ، والي بغداد، الكتخدا سليمان باشا إلى الحلّة ، حيث قبض على غصيبيه شيخ زبيد ، ومن معه من أكابر عشيرته ، وصلبهم عند رأس الجسر . (تاريخ العراق للعزاوي ٥/٢٧٠) .

وفي السنة ١١٥٨ ملك الدالاتية قلعة دمشق ، فقاتلهم الإنكشارية ، وأمر أسعد باشا العظم ، والي دمشق ، بنهب سوق ساروجة ، وقتل العسكر أناساً ، ونهبوا البيوت ، وأحرقوا بعضها ، وصلب أشخاصاً كثيرين ، وبقيت المشنقة أياماً لا تخلو من مصلوب ، وتركت جثث المقتولين أمام السراي تأكلها الكلاب ، وسلخت رؤوسهم وجعلت أكواماً (خطط الشام ٢/٢٩٤) .

وفي السنة ١٢٠٠ حصل قحط ببغداد ، فهاج لفيف من الناس ، وحملوا علم الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وخرجوا في مظاهرة ، يصيحون : إنّ عباد الله ماتوا جوعاً ، فأمر الوزير والي بغداد بتفريقهم ، فهاجمهم الجنود ، وقتلوا بعضهم ، وأسروا آخرين فصلبهم في الحال ، وقبض على آخرين فجلدهم بالعصي ثم نفاهم إلى البصرة (تاريخ العراق للعزّاوي ٦/٩٨) .

وكان الأمير يوسف الشهابي ، حاكم لبنان ، قد أكرم احمد باشا الجزّار (ت ١٢١٩) لما كان الجزار صعلوكاً ، وأعانه حتى أصبح والياً ، فكان جزاؤه منه، أن أمر به فشنق، وأبقاه ثلاثة أيام معلّقاً في حبل المشنقة (خطط الشام ٣/٢١).

وفي السنة ١٢١٦ شنق الفرنساوية ، شخصاً منهم على شجرة ببركة الازبكية بالقاهرة ، قيل أنه سرق (الجبرتي ٢/٤٧١) .

وفي السنة ١٢١٧ شنق الباشا والي مصر ، رجلاً طبجّياً (مدفعياً) بالمشنقة التي عند قنطرة المغربي (الجبرتي ٢/٥٤١) .

وفي السنة ١٢١٧ شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام (العثمانيين) أحدهم بباب زويلة، والثاني بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية ، بالقرب من جامع عثمان كتخدا ، وقتلوا أيضاً شخصاً بالنحاسين (الجبرتي ٢ /٥٣٨) .

وفي السنة ١٢١٧ مرّ بالقاهرة أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاماً لرجل حلّاق ، فعارضهم الحلّاق ، فقتلوه ، فحصرهم أغات التبديل في دارهم ، وتضاربوا بالرصاص ، ونقبوا عليهم الدار من خلفهم ، وشنقوهم ، ثم أخرجوا من داخل الدار أكثر من ستّين امرأة مقتولة ، وفيهنّ من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها . (تاريخ الجبرتي ٢ /٥٥٥) .

وفي السنة ١٢١٩ شنقوا بالقاهرة ، بباب الشعرية ، على السبيل ، شخصاً ، لأنّه كان يتعاطى القيادة ، ويجمع بين الرجال والنساء . (تاريخ الجبرتي ٢ /٦٥٦) .

ومن عجائب جلال الدين ، والي حلب ، في السنة ١٢٢٧ ، أنّه بلغه ذات يوم إشاعة سرت في حلب ، بأنّه قد عزل من منصبه ، فأمر أعوانه بالقبض على من أشاعها ، فقبض أعوانه على واحد ، وآتّهموه بأنّه هو الذي آخترع هذه الإشاعة ، فأنكر ، وحلف لهم ، فلم يصدّقوه ، فادّعى إنّه سمعها من شخص آخر ، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص ، فأنكر ، وحلف لهم ، فلم يصدّقوه ، فعزا ذلك إلى شخص آخر ، فتركوه ، وقبضوا على ذلك الشخص ، وهكذا ، إلى أن قبضوا على شخص اسمه الحاج بدور الخيمي ، فأنكر ، ولم يعز ذلك إلى أحد ، فجيء به إلى السوق ، ونصبوا له خشبات الصلب ، واستنطقوه ، وهو يحلف لهم بالأيمان المغلّظة ، إنّه لم يقل ذلك ، ولا علم له بما قيل وبمن قال ، فلم يجده ذلك نفعاً ، وصلبوه بمحضر من الناس . (اعلام النبلاء ٣/٣٧٨) .

وفي السنة ١٢٢٨ قبض ابراهيم بك بن محمد علي باشا ، بالصعيد من مصر ، على أحمد أفندي الذي بيده دفاتر الرزق الأحباسية وشنقه (الجبرتي ٣٩٢/٣) .

وفي السنة ١٢٢٩ شنق عند باب زويلة بالقاهرة ، شخص اسمه صالح ، وآستمر معلّقاً يومين ، وسبب ذلك إنّه كان يدّعي الجذب والولاية ، وتزوّج بامرأة ، وأخذ متاعها ومالها ، وحصل لها خلل في عقلها ، فأنهوا أمره إلى كتخدا بك فأمر بحبسه ، وكثر كلام الناس في حقّه ، فأمر الكتخدا بشنقه (الجبرتي ٤٥١/٣) .

وفي السنة ١٢٣٢ شنق بباب زويلة شخص ، بسبب « الزيادة في المعاملة » وعلّقوا بأنفه ريال فرانسة ، وخزم المحتسب آناف وأشخاص من الجزّارين ، وعلّق في آنافهم قطعاً من اللحم ، بسبب الزيادة في ثمن اللحم (الجبرتي ٥٦١/٣) .

وفي السنة ١٢٣٢ طلب المحتسب بالقاهرة ، حجّاجاً الخضري الشهير بنواحي الرميلة ، فأخذه إلى الجمالية ، وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة ، وكان شنقه وقت السحور ، وتركوه معلّقاً إلى مثلها من الليلة القادمة ، وكان حجّاج مشهوراً بالإقدام والشجاعة ومكارم الأخلاق (الجبرتي ٥٦٤/٣) .

وفي السنة ١٢٣٢ شنق بالقاهرة عدّة أشخاص في أماكن متفرّقة ، قيل إنّهم سرّاق وزغليّة (الجبرتي ٥٦٧/٣) ثم شنقوا خمسة آخرين قيل إنّهم حرامية (الجبرتي ٥٦٩/٣) .

وفي السنة ١٢٣٧ (١٨٢١م) قتل عسكري جزائري في جبل مزاية ، فطالب الحاج علي باشا ، أمير الجزائر ، سكّان تلك المنطقة ، بإحضار الذين اتّهموا بالقتل ، فآمتنعوا ، فبعث من قبض على جماعة منهم ، وصلبهم جميعاً في يوم واحد (مذكرات الزهار ١١١) .

وفي السنة ١٢٥٧ توجّه ابراهيم باشا ، بن محمد علي باشا ، إلى حران ، فخرج شيخ البلد لاستقباله ، فقال له ابراهيم باشا : لازم ذخاير ، فقال له : أفندم ، مقدّمين سابقاً قمح هلقدر ، والآن ما بقي عندنا شيء ، فلما سمع كلامه أمر عليه بالشنق ، فشنقوه حالاً (مذكرات تاريخية ٢٢٨) .

وفي السنة ١٢٨٦ حصلت فتن من العشائر ، فألقت السلطة القبض على الشيخ دنان رئيس عفك ، والشيخ بدوي رئيس الدغّارة ، وصلبتهما على جسر الديوانية ، كلّ واحد على أحد رأسي الجسر (تاريخ العراق للعزاوي ٢١٢/٧ و٢٢٠) .

وفي السنة ١٢٨٦ حصلت وقعة الوالي في جبال العلويّين ، وسببها إنّ طائفة الكلبية ظهرت فيها « شقاوة » فجيّش الدولة عليها جيشاً من عشرة آلاف ، فرابط في قرية الجديدة ، وأرسل يطلب مقدّمي الكلبيّة ووجده العلويين ، وقبض عليهم جميعاً ، ثم أحرق دورهم ، وقراهم ، وعذّب جميع الطوائف العلويّة ، ثم أحالهم على مجلس إداري في جبلة ، فشنق ثلاثة من أعاظم الكلبيين ، وشنق آخر من بني علي ، وسجن الباقين (خطط الشام ١٠٠/٣) .

وفي السنة ١٢٨٨ أسر عبد الكريم ، رئيس عشيرة شمّر ، وحوكم علناً في بغداد ، فحكم عليه بالإعدام ، وأرسل إلى إصطنبول ، وفي الموصل ورد الأمر بإعدامه ، فصلب هناك (تاريخ العراق للعزاوي ٢٦٣/٧) .

وفي السنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ، شنق في رأس القرية كل من شكوري التاجر ، وعزيز شماس جرجيس ، وسليم شماس جرجيس ، وكامل عبد المسيح ، لاتّهامهم بالتجسّس . (تاريخ العراق للعزاوي ٢٧٧/٨) .

وفي السنة ١٣٣٤ (١٩١٦) أعدم جمال باشا السفّاح ، نخبة من أحرار

العرب ، شنقاً ، ببيروت ودمشق ، منهم انطون بن نسطاس زريق وتوفيق أخوه ، وتوفيق أحمد البساط ، ورفيق رزق سلوم ، وسعيد فاضل بشارة عقل ، والقائد سليم الجزائري ، وشفيق المؤيد ، وشكري العسلي ، وعارف الشهابي ، وعبد الحميد الزهرواي ، وعبد الغني العريسي ، وعمر حمد ، وعبد الكريم الخليل ، وعلي محمد الارمنازي ، وفليب وفريد الخازن ،وعبد الوهاب الإنكليزي ، (الاعلام ١/٣٦٨ و٢/٧٥ و٣/٥٧ و١٥٢ و١٨٠ و٢٤٦ و٢٥٠و٤/٩ و١٠ و٥٧ و١٦٠ و١٧٨ و٣٣٢ و٥/١٧٢ و٣٧٦) .

وفي السنة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) هاجم الضابط التركي عاكف ، مدينة الحلّة ، وقبض على مائة وستّة وعشرين رجلاً من رؤسائها ، فقتلهم شنقاً ، وهدم مساكنهم ، وأمر بنسائهم وأطفالهم ، فنفاهم إلى بلاد الأناضول (الشبيبي الكبير ٣٨) .

وفي السنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) أعدم شنقاً بالقاهرة ، المحامي شفيق منصور ، وكان قد أسّس جمعية آغتالت مصريّين ، وختمت أعمالها باغتيال السردار لي ستاك الانكليزي ، سردار الجيش المصري (الاعلام ٣/٢٤٧ و٢٤٨) .

وفي السنة ١٣٥٠ (١٩٣٠م) أسر الإيطاليّون ، بالجبل الأخضر ، في طرابلس الغرب ، المجاهد عمر المختار ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقتلوه شنقاً . (الاعلام ٥/٢٢٧) .

أقول : إنّ إعدام شيخ مجاهد ، شنقاً وهو ابن خمس وسبعين سنة ، سجّل لتاريخ إيطاليا في عهد موسوليني ، خزياً لا يمحى ، وقد بلغنا في حينه إنّ أتباع موسوليني لم يكتفوا بذلك ، بل أخذوا جثّة هذا الشيخ بعد شنقه وحملوها في طبّارة ثم ألقوها من الجّو ، فأضافوا إلى لؤم القدرة ، جريمة المثلة .

أقول : الخبر المتواتر عندنا أنّ الإيطاليين بعد أن شنقوا الشهيد عمر المختار ، وقد تجاوز السبعين من سنيه ، حملوا جثمانه في طائرة علت ثم رموا بالجثمان منها إلى الأرض ، ولكنّ السيد محمد المنصف ، من ليبيا ، كتب في مجلة العربي الكويتية العدد ٢٧٩ الصادرة في شباط ١٩٨٢ ذكر أنّه حضر محاكمة الشهيد عمر المختار طيّب الله ثراه ، وحضر الإحتفال الذي أقامه الإيطاليّون باعدامه شنقاً ، وإنّه لما وضع الحبل في عنقه ، انقطع ، وسقط الشهيد على الأرض ، فقال مستهزئاً : يلعن بوكِ دولة ، حتى حبالها بايدة ، فجيء بحبل آخر تمّ أعدامه به ، وذكر إنّه سأل الذي تولّى دفن الشهيد عما أبصر في بدنه من آثار العنف ، فأخبره بأنّ البدن كان سليماً من آثار العنف ما عدا أثر طلقة نارية في كتفه .

وفي السنة ١٣٦٦ (١٩٤٦) ، أعدم شنقاً سلمان المرشد ، بدمشق ، آتّهم بعصيان الحكومة الوطنية . (الاعلام ٣/ ١٧٠) .

الفصل الثالث

الغمّ

وهو اللون الثالث ، من ألوان القتل بكتم النفس .

والغمّ في الاصل : التغطية ، ثم صرفت إلى كتم النفس بشيء يوضع على الفم ، فيمنع وصول الهواء إلى الصدر .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، على ما بلغنا ، النعمان بن المنذر ، إذ حبس عديّ بن زيد ، ثم بعث إليه من غمّه ، حتى مات (الاغاني ٢ / ١٢١) .

وكتب معاوية إلى عامله بالعراق ، أن يعذّب عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فألقى على وجهه حريرة ، ونضحها بالماء ، فكانت تلتزق بوجهه ، فيغشي عليه . (الطبري ٥ / ١٧٦و١٧٧) .

وكان مروان ، قد أخذ البيعة لنفسه ، ثم لخالد بن يزيد ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ، فلما آستقرّ في موضعه ، بدا له ، فجعلها لابنه عبد الملك ، ثم لابنه عبد العزيز ، فدخل عليه خالد بن يزيد ، فكلّمه ، وأغلظ له ، فغضب مروان ، وقال له : أتكلمني با ابن الرطبة ، يعيّره بأمّه وكان قد تزوّجها ليضع منه ، فدخل خالد إلى أمّه ، فحدّثها بما قال مروان ، فقالت : لا يعيبك بعدها ، ثم إنّه لما دخل عندها وضعت على متنفّسه وسادة ، وقعدت هي وجواريها فوقها . حتى مات . (اسماء المغتالين ١٧٤ والاغاني ١٧ / ٣٤٦ والعقد الفريد ٤ / ٣٩٨ ومروج الذهب ٢ / ٦٩) .

وفي السنة ٧٢ خرج عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، على رأس جيش لقتال الخوارج ، فظفر به الخوارج ، وقتلوا من جيشه مقتلة عظيمة ، وسبوا النساء ، ومنهنّ امرأته أمّ حفص بنت المنذر بن الجارود ، وأخذوا أسارى لا يحصى عددهم ، فقذفوهم في غار ، بعد أن شدّوهم وثاقاً ، ثم سدّوا عليهم بابه ، حتى ماتوا فيه (شرح نهج البلاغة ٤/١٧٤) .

وحبس مروان الجعدي ، آخر الحكّام الأمويين ، ابراهيم الإمام العباسي ، بحرّان ، ثم أمر به فغمّ في جراب طرحت فيه نورة ، وجعل رأسه في الجراب ، وسدّ عليه إلى أن مات (مروج الذهب ٢/١٩٣ وكتاب المغتالين ١٨٧ ووفيات الاعيان ٣/١٤٧) .

ولما اشتدّ أمر أبي مسلم الخراساني ، بعث مروان الجعدي ، جماعة من مواليه ، إلى حبسه بحران ، فأخذوا عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وجعلوا على وجهيهما مخادّاً ، وقعدوا فوقها ، فآضطربا ، ثم بردا (مروج الذهب ٢/١٩٢ و١٩٣) .

وفي السنة ١٢٩ قبض أبو مسلم الخراساني ، علي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فحبسه ، ثم خاف غائلته ، فأمر ، فوضع على وجهه فراش ، حتى مات (ابن الاثير ٥/٣٧٣) .

وقتل يزيد بن المهلب ، يوم العقر ، وجد قتيلاً بلا طعنة ولا ضربة ، أنسدّت أذناه ومنخراه وامتلأ فمه بغبار العسكر ، فمات ، فلا يعرف مثله قتيل غبار . (معجم الادباء ١/٢٦٠) .

واتّهم المهدي العباسي ، يعقوب بن الفضل ، من بني هاشم ، بالزندقة ، فحبسه ، فلما صار الأمر إلى موسى الهادي ، أرسل إلى يعقوب في حبسه ، من ألقى عليه فراشاً ، وأقعد عليه الرجال حتى مات ، ثم لم يأمر فيه

بشيء ، وكان ذلك في يوم شديد الحرّ ، حتى انتفخ وأروح ، فقال الهادي : إبعثوا إلى أخيه إسحاق ، فخبروه إنّه مات في السجن ، وجعل في زورق ، وحمل إلى اسحاق ، فنظر ، فإذا ليس فيه موضع للغسل ، فدفنه في بستان له ، وأصبح فأرسل إلى الهاشميين يخبرهم بموت يعقوب ، ويدعوهم إلى الجنازة ، وأمر بخشبة فعملت في قدّ الإنسان ، وغشيت قطناً ، وألبست أكفاناً ، فلم يشكّ أحد ممن حضر إنّه شيء مصنوع (الطبري ٨/١٩١) .

وذكر أنّ الهادي العباسي ، مات مختنقاً بغمّ وجهه ، وكان مريضاً ، فأمرت الخيزران جواريها بالجلوس على وجهه حتى مات (الطبري ٨/٢٠٦ والعيون والحدائق ٣/٢٨٨) .

أقول : أوردت في موضع آخر من هذا الكتاب ، أنّي لا أميل إلى تصديق الرواية القائلة بأنّ الخيزران قتلت ولدها ، لأنّ الهادي كان مريضاً ومات ، ومحبّة الأمّ ولدها تحول دون تصديق هذه التهمة ، ولم أكن في حاجة إلى تكذيب هذه الرواية ، لولا أنّ أكثر من مؤرّخ تورطّ في إثباتها في تاريخه .

وفي السنة ١٧٦ مات بكار بن عبد الله الزبيري ، بأنّ غمّ وجهه ، قام بذلك زوجته وغلامان زنجيان من غلمانه ، وسبب ذلك أنّ بكار كانت له زوجة ، فآتخذ عليها جارية ، فأغارها ، فأغرت غلامين زنجيين له بأن يعاوناها على قتله ، فدخلت عليه وهو نائم ، وهما معها ، فقعدا على وجهه حتى مات (الطبري ٨/٢٤٦) .

وقتل الامام موسى الكاظم ، بأن لفّه السندي بن شاهك في بساط ، وقعد الفرّاشون على وجهه ، فمات . (مقاتل الطالبيين ٥٠٤) .

وروي في موت المهتدي ، إنّه كبس عليه بالبسط والوسائد ، حتى مات . (مروج الذهب ٢/٤٦٤) .

وبلغ المعتز في السنة ٢٥٢ عن أخيه المؤيّد ، أنّه يدبّر عليه ، فحبسه ،

وحبس شقيقه أبا أحمد الملقّب بالموفّق ، والمؤيّد والموفق شقيقان ، لأب وأمّ ، وطالب المعتزّ أخاه المؤيّد ، بأن يخلع نفسه من ولاية العهد ، وضربه أربعين عصا ، فأجاب ، وأشهد على نفسه بالخلع ، ثم بلغ المعتزّ ، أنّ قوماً من الأتراك يتعصّبون للمؤيد ، فأمر به فأدرج في لحاف ، وشدّ طرفاه حتى مات فيه . (ابن الأثير ١٧٢/٧ والطبري ٣٦٢/٩ ومروج الذهب ٤٥٥/٢) .

وروي صاحب العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ١٣٣ خبراً طريفاً عن موت المعتمد ، فذكر أنّ المعتضد دسّ إلى جواري عمّه المعتمد بقتله ، فوضعن سمكاً صغاراً في خابية كبيرة ، وقلن للمعتمد ـ وكان سليم القلب ـ انظر إلى هذا السمك ، فأشرف عليه ، وأدخل رأسه في الخابية ، فرفعن رجله ورمينه في الخابية ، فمات (العيون والحدائق ٤٥ ق ١ ص ١٣٣) .

ومن جملة ألوان العذاب التي كان يمارسها المعتضد ، أن يأمر بمن يعذّبه فتحفر له حفرة بحضرته ، ثم يدلّى رأسه فيها ، ويطرح عليه التراب ، ونصفه الاسفل ظاهر ، فوق التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (مروج الذهب ٤٩٦/٢) .

وذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٥٢ في القصة ٧٧/١ ووردت القصّة في مروج الذهب كذلك ٥٠٧/٢ ، أنّ المعتضد أمر برجل فسدّ بالقطن أنفه ، سدّاً محكماً ، وكذلك فمه ، وعيناه ، وأذناه ، وذكره ، ومنخراه ، وسوءته ، ثم كتّف وترك ، فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه ، ومات .

وذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٥١ في القصة رقم ٧٦/١ أنّ المعتضد عذّب وزيره اسماعيل بن بلبل بأن اتخذ له تغاراً كبيراً ، وملىء إسفيداجاً حيّاً ، وبلّه ، ثم جُعِلَ بالعجل رأس إسماعيل فيه ، إلى آخر عنقه ، وشيء من صدره ، وأمسك حتى جمد الاسفيداج ، فلم تزل روحه تخرج بالضراط حتى مات .

وزاد المسعودي في مروج الذهب ٢/٤٩٣ على ما تقدّم : بأنّ المعتضد عذّب وزيره إسماعيل بن بليل بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غلاً فيه رمانة حديد ، والغلّ والرمانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبّة صوف قد صيّرت في ودك الأكادع ، وعلّق معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

وفي اسنة ٣٠٩ صرف تكين عن مصر ، فبارحها ، فقال ابن مهران :

وليت ولايةً وعزلت عنها كما قد كنت تعزل من تولّي
رحمتك يا أبا منصور لما خرجت كذا بلا عَلَمٍ وطبل

فلما وليها تكين بعد ذلك ، أمر فرّاشاً ، فضم ابن مهران ضمّة كانت فيها نفسه (الولاة للكندي ٢٧٨) .

وفي السنة ٤٢٢ قتل أبو علي الحسن بن ماكولا بالأهواز ، قتله غلام له يعرف بعدنان ، كان يجتمع بامرأة من داره ، ففطن لهما ، فخافاه ، وساعدهما فرّاش كان في داره ، فاجتمعوا عليه وغمّوه بشيء ، وعصروا خصاه حتى مات ، وأظهروا أنّه مات فجأة ، ثم أخذوا ، فأقرّوا ، فصلب الرجلان وحبست المرأة . (النجوم الزاهرة ٤/٢٧٤) .

وفي السنة ٥٤٨ لما استولى الغزّ على نيسابور ، ودحروا السلطان سنجر السلجوقي ، أخذوا محي الدين أبا سعد النيسابوري ، ودسّوا في فمه التراب حتى مات . (وفيات الاعيان ٤/٢٢٤) .

وفي السنة ٥٤٨ قتل الغز ، لما دخلوا مرو ، الطبيب المروزي أبا علي الحسن بن علي القطّان ، قبضوا عليه ، فأخذ يشتمهم ، فألقوا في فمه التراب ، وحشوه به فمات . (الاعلام ٢/٢١٩) .

وفي السنة ٦٥٦ فتح هولاكو التتاري ، بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم وولده ، قيل خنقاً ، وقيل بالغمّ في بساط ، وقيل جعل ، هو وولده ، في عدلين ، ورفسا ، حتى ماتا . (النجوم الزاهرة ٧/٥٠ و٥١) .

وكان من جملة ألوان العذاب التي عذّب بها زبانية تيمورلنك الناس في دمشق، انّهم كانوا يشدّون يدي الرجل إلى ظهره ، ثم يربطون في عنقه حبلًا ، ويلونه ليّاً عنيفاً ، ثم يلقى على ظهره ، ويغّم بخرقة فيها رماد سخن (بدائع الزهور ١/ ٣٣٤) أو بخرقة فيها تراب ناعم ، فكلما تنفسّ المعذّب ، تخلّل التراب خياشيمه ، حتى إذا كادت نفسه أن تزهق ، خلّي عنه حتى يستريح ، ثم يعاد تعذيبه (النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٤٤ و٢٥٤) .

وفي السنة ١٠٤٣ قتل إبراهيم باشا بن عبد المنان الدفتر دار بدمشق ، وأحد كبرائها ، وسبب ذلك إنّ الوزير أحمد باشا المعروف بالكوجك لما قدم حاكماً بدمشق ، حصل بينه وبين إبراهيم باشا منافسة ، فعرض أمره إلى الأبواب السلطانية ، فجاء الأمر بمحاسبته ، فعيّن أحد خصومه لمحاسبته ، « فأطلع » في ذمّته أموالاً كثيرة ، وحبس ، وقبض جميع ما يملكه ، ثم أمر بقتله سراً ، فغمّ بالماء ، وقيل عصرت مذاكيره ، وقيل وضعت على وجهه الوسادة حتى مات ، وأشيع إنّه مات فجأة (خلاصة الأثر ١/ ٣٠) .

الفصل الرابع

التغريق

وهو اللون الرابع من ألوان العذاب بكتم النَفَس، ويتم بتغطيس المعذّب في الماء حتى يختنق .

وأوّل من مارس هذا العذاب، فيما بلغنا بسر بن أبي أرطأة العامري ، أحد أتباع معاوية ، بعث به معاوية بن أبي سفيان إلى الحجاز واليمن ، لقتل أنصار الإمام علي بن أبي طالب ، فقتل بها مقداراً عظيماً من المسلمين ، ووجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئر لهم ، فألقاهم في البئر (الطبري ١٧٦/٥) .

ومارس هذا اللون من العذاب ، من بعد ذلك ، أحد العمّال الظالمين ، وهو أسامة بن زيد التنوخي ، كان عاملاً على مصر للأمويين ، قبل ولاية عمر بن عبد العزيز ، وكان غاشماً، يقطع الأيدي ، ويشقّ اجواف الدوابّ ، ويدخل فيها القطّاع ويطرحهم للتماسيح ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الصالح ، كتب بعزله ، وأن يحبس ويقيّد ، وأن يحلّ عنه القيد عند كلّ صلاة ، ثم يردّ في القيد ، فحبس مدّة ولاية عمر ، فلما خلفه يزيد بن عبد الملك ، ردّ أسامة على مصر . (سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٤) .

ثم مارس هذا اللون من العذاب المهديّ العباسي ، فإنّه في السنة ١٦٦ طلب من سمّاهم : الزنادقة ، فقتل ، وسبى ، وغرّق خلقاً منهم . (العيون والحدائق ٣/ ٢٧٩) .

وروي أنّ المستعين العبّاسي ، غرّق ، بأن رُبِطَ في رجله حجر ، وألقي في دجلة (تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٩١) .

وكان أبو العبر الهاشمي ، المتكسّب بالسفاهة والرقاعة ، شديد البغض للإمام علي بن أبي طالب ، وله في العلويّين هجاء قبيح ، وكان سبب هلاكه إنّه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيّين ، يقول في الإمام قولاً قبيحاً ، استحلّ به دمه ، فغرّقه في بعض الآجام . (الأغاني ط بولاق ٢٠ /٩٣) .

وبلغ الحسن بن زيد العلوي ، أنّ الحسين بن أحمد الكوكبي ، وعبيدالله بن الحسن ، العلويّين ، يريدان الخلاف عليه ، فدعا بهما ، وأغلظ عليهما ، فردّا عليه ، فأمر بهما ، فديست بطناهما ثم ألقاهما في بركة ، فغرقهما، فماتا جميعاً ، ثم أخرجا ، فألقيا في سرداب ، فلم يزالا فيه ، حتى دخل الصفّار البلد ، فأخرجهما ودفنهما . (مقاتل الطالبيّين ٧١٢ـ ٧١٣) .

وفي السنة ٢٠٣ كان السريّ ، عامل مصر للمأمون ، يخاف قوماً من وجوه الجند ، فأجمع على التخلّص منهم ، فجمعهم وأخبرهم أنّ رسولاً قد قدم من طاهربن الحسين ، وأشار عليهم أن يتلقّوه ، فخرجوا في النيل ، وخرج معهم في مركب غير مركبهم ، وحمل معهم أخاه اسماعيل بن الحكم ، وجعل في باطن المركب غلاماً له ، وأمره أن يخرق المركب ، ففعل الغلام ذلك ، فغرقوا ، ومعهم أخوه ، وأخرجوا أمواتاً . (الولاة للكندي ١٧١) .

وحقّق المعتضد ، مع ملّاح اتّهم باغراق امرأة ، فاعترف بإغراقها، فأمر بتغريقه ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار الحاضرة للتنوخي ج ٤ ص ١٢٦ القصة رقم ٤/ ٥٩) .

وأوقع القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وزير المكتفي ، بثلاثة

من الكتّاب ، هم محمد بن غالب الأصبهاني ، صاحب ديوان الرسائل ، ومحمد بن بشار ، وابن منارة النصراني ، لشيء بلغه عنهم ، فأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم إلى البصرة ، وكان آخر العهد بهم ، وذكر أنّهم غرّقوا في الطريق ، وفي ذلك ، يقول علي بن بسّام :

عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المناريّ ما ذنبه؟ ودينكما واحد لم يزل

وقوله : دينكما واحد ، لأنّ آل وهب كانوا نصارى وأسلموا (مروج الذهب ٢/٥٢٨) .

وفي السنة ٣٢٩ استولى القائد التركي أبو شجاع كورنكيج ، على الأمور ببغداد ، ولقي الخليفة المتّقي ، فقلّده إمارة الأمراء ، وعقد له لواء ، وخلع عليه ، وقبض على تكينك، وغرّقه ليلاً (تجارب الأمم ٢/١٨ وابن الأثير ٨/٣٧٥) .

وفي السنة ٣٣٨ مات أبو جعفر النّحاس النحوي ، غرقاً في النيل ، جلس على درج المقياس بالنيل يقطع شعراً بالعروض ، فسمعه جاهل ، فقال : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ، فدفعه برجله في النيل ، فمات غرقاً . (الوافي بالوفيات ٧/٣٦٤) .

وكان أحد رجال معز الدولة ، تعهّد له أن يقتل خصمه ناصر الدولة الحمداني، غيلة ، وقصده ، ودخل إلى خيمته ليلاً ، فتأمّل موضع رأسه ، وأطفأ شمعة كانت مشعلة ، ثم طعن بخنجره رأس ناصر الدولة بأقصى قوته ، وخرج ، وصادف أنّ ناصر الدولة كان قد حوّل رأسه وهو نائم ، فغاصت الطعنة في الوسادة ، ونجا ناصر الدولة ، ولما عاد الرجل إلى معزّ الدولة ، يريد الجائزة، أسلمه إلى وزيره الصيمري ، وقال له : من يقدم على الملوك هذا الإقدام ، لا يجوز استبقاؤه ، فأخذه الصيمري ، وغرّقه (وفيات الأعيان ٢/١١٥) .

وذكر أنّ البريدي ، غرّق أبا نصر الخبزأرزي ، الشاعر البصري المشهور ، لأنّه هجاه ، وقيل : بل هرب من البصرة ولحق بالأحساء وهجر ، بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن ، صاحب البحرين (مروج الذهب ٥٨٣/٢).

وفي السنة ٣٤٥ عصى القائد الديلمي روزبهان ، على معزّ الدولة البويهي ، فحاربه ، وأسره ، وأخرجه ليلاً ، وغرّقه بنهر دجلة ببغداد ، أسفل دار الخليفة ، وكان روزبهان من قوّاد معز الدولة ، فاتّفق مع أخويه بلكا وأسفار ، وخرجوا سوية ، خرج أسفار بالأهواز ، ولحق به روزبهان ، وخرج أخوهما بلكا بشيراز ، وكان المهلّبي وزير معزّ الدولة بالأهواز ، فأراد محاربة اسفار ، فانحاز الديلم الذين معه إلى أسفار ، وبلغ الخبر معزّ الدولة ، فلم يصدّقه ، لكثرة إحسانه إلى روز بهان ، ولما تحقّق بأنّ الديلم بأجمعهم قد انحازوا إلى روزبهان ، ترك معزّ الدولة بغداد ، قاصداً الأهواز ، ثم تبعه الخليفة المطيع ، لأنّ ناصر الدولة الحمداني ، لما بلغه أنّ معزّ الدولة ترك بغداد ، انحدر يريد الإستيلاء عليها ، فأعاد معزّ الدولة قائده سبكتكين الحاجب لحفظ بغداد ، واستمرّ معزّ الدولة ، وجلّ اعتماده على جنده الأتراك ، ولما صافّ روزبهان وديلمه ، عبأ اصحابه كراديس، وتناوبت الحملات الى غروب الشمس ، وأحسّ معز الدولة بأنّ الأمور لا تجري وفق رغبته ، فبكى بين يدي أصحابه ، وذمرهم، وطلب منهم أن يجتمعوا كراديس، وأن يحملوا حملة رجل واحد ، وهو في أوّلهم ، فطالبوه بالنّشاب ، وقالوا له : قد بقي لدى صغار الغلمان بعض النشاب ، فأمرهم بأخذه، وأشار إلى الغلمان الصغار لكي يعطوهم النّشاب ، فظنّ الغلمان أنّ معزّ الدولة يأمرهم بالحملة، فحملوا وهم مستريحون، جامّون، فصدموا صفوف روزبهان فخرقوها ، وألقوا بعضهم على بعض ، وحمل معزّ الدولة فيمن معه ، فكانت الهزيمة على روزبهان وأصحابه ، وأسر روزبهان، وجماعة من

قواده ، وقتل منهم كثير ، وعاد معزّ الدولة إلى بغداد ظافراً ، ومعه روزبهان أسيراً ، فغرّقه ليلاً (ابن الأثير ٨/٥١٤ـ ٥١٦).

وفي السنة ٣٩٢ زاد أمر العيارين ببغداد ، وقتلوا النفوس ، وواصلوا الحملات ، وأشرف الناس منهم على خطّة صعبة ، فعوّل بهاء الدولة البويهي، على عميد الجيوش أبي علي الحسن بن استاذ هرمز ، فقدم بغداد ، وطلب العيّارين من العلويّين والعبّاسيّين ، فإذا قبض عليهم ، قرن العلويّ بالعباسّي ، وغرّقهما نهاراً بمشهد من الناس ، وقبض على جماعة من الحواشي الأتراك، والمتعلّقين بهم ، من المشتهرين بالتلصّص فغرّقهم أيضاً ، وتتبّع العيّارين في البلاد ، فكفى الله شرّهم ، وأزال عن الناس ضررهم . (المنتظم ٧/ ٢٢٠و تاريخ الصباي ٨/ ٤٣٩).

وفي السنة ٤٢٥ قبض معتمد الدولة قراوش بن المقلّد العقيلي ، صاحب الموصل والأنبار ، على البرجمي مقدّم العيارين ، وغرّقه (ابن الأثير ٩/٤٣٨ والمنتظم ٨/ ٧٩) أقول : البرجميّ ، عيّار بغدادي ، عظم شأنه ببغداد ، لاختلال الأمن فيها ، وضعف السلطة الرادعة ، فرأس جماعة من العيّارين ، وواصل الحملات والكبسات على الدور والمخازن ، وأهلك الناس ، وبلغ به الحال، أنّ جماعة من الأصفهسلارية المسؤولين عن الأمن ، خرجوا إليه، وواكلوه، وشاربوه، وأصبح اسمه عند البغداديّين : القائد أبو علي ، وفي إحدى الجمع ، ثار العوام في جامع الرصافة ، ومنعوا الخطيب من الخطبة ، ورجموه ، وقالوا : إن خطبتَ للبرجميّ، وإلاّ فلا تخطب لخليفة ولا لملك، وبلغ من سلطان البرجميّ، إنّه فرض على عامل المأصر ، بقطيعة الدقيق ، أن يؤدي إليه في كلّ شهر عشرة دنانير من الإرتفاع ، وأن يطلق له سميريتين كبيرتين بدون اعتراض ، وكان مع هذا ، فيه فتوّة، وله مروءة، لم يعرض لامرأة ، ولا إلى من يستسلم له ، وحدث في السنة ٤٢٥ أن قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلّد العقيلي ، صاحب الموصل والأنبار ، على

ابن القلعي، عامل عكبرا ، وكان صديقاً للبرجميّ ،فقصد البرجمي قرواشاً يخاطبه في أمره ، فقبض عليه قرواش وغرّقه بفم الدجيل (المنتظم ٨/٧٢، ٧٥، ٧٧، ٧٩).

وفي السنة ٤٣٣ شغب الجند الأتراك ببغداد ، وخطفوا ما يرد إلى البلد ، وأخذوا ثياب الناس ، وغرّقوا امرأتين من نساء أصحاب المسالح . (المنتظم ٨/١٠٨).

وفي السنة ٤٦٥كان شرف الدولة مسلم بن قريش ، في طريقه إلى السلطان ألب إرسلان، فلما بلغ الزاب ، وقف على ملطّفات (رسائل سرية) كتبها وزيره ابو جابر بن صقلاب ، فأخذه شرف الدولة، فغرّقه (ابن الأثير ١٠/٧٩).

وفي السنة ٤٧٢ أغرى خمارتكين ، وكوهرائين ، السلطان ملكشاه ، بقتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وكان ملتجئاً إلى نظام الملك ، وكان بينهما وبين نظام الملك عداوة ومشاحنة فأمر السلطان بتغريقه ، فغرّق فانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيّام ، وأغلق بابه ، ثم أشير عليه بالركوب ، فركب ، وعمل للسلطان دعوة عظيمة ، وعاتبه على فعله ، فاعتذر إليه (ابن الأثير ١٠/ ١١٦).

وفي السنة ٤٨٧ قتل السلطان بركيا روق عمّه تكش ، بأن غرّقه ، وقتل معه ولده ، وكان تكش قد خرج على أخيه ملكشاه والد بركياروق ، فاعتقله ، وكحله ، وحبسه بقلعة تكريت ، فلما ولي بركياروق ، أحضره إلى بغداد ، ثم ظفر بملطّفات ، أي رسائل سرية ، تدلّ على محاولته الخروج ، فغرّقه بسر من رأى وحمل إلى بغداد ، حيث دفن في مقبرة أبي حنيفة(ابن الأثير ١٠/٢٣٩) .

وفي السنة ٣٩٥ حدثت فتنة بين البغداديّين وعسكر شحنة بغداد ، الأمير

ايلغازي ، وسبب ذلك إنَّ جماعة من أتباع ايلغازي جاءوا إلى دجلة ، ونادوا ملّاحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشابة ، وقعت في مشعره، فمات ، فأخذ العامة القاتل إلى باب النوبي (من أبواب دار الخلافة)، فلقيهم ابن ايلغازي ، مع جماعة من أصحابه ، فأخذوا صاحبهم من يد العامة ، فرجمته العامة بسوق الثلاثاء ، فذهب إلى أبيه مستغيثاً ، فعبر ايلغازي الى محلّة الملّاحين (مربّعة القطّانين) فنهب أصحابه ما وجدوا ، فعطف عليهم العيّارون ، فقتلوا أكثرهم ، ونزل من سلم منهم إلى المشرعة ، ليعبروا دجلة ، فلما توسّطوا النهر ، ألقى الملّاحون أنفسهم في الماء ، وتركوهم ، فغرقوا ، وكان من غرق أكثر ممن قتل (ابن الأثير ١٠/٣٣٧-٣٣٨).

وفي السنة ٥٣٠ توتّرت الحال بين الخليفة الراشد والسلطان مسعود فكتب مسعود ملطّفات إلى أمراء الخليفة ، فأحضروها جميعاً ، إلّا شحنة بغداد فإنّه جحدها ، وكتب جوابها ، فأخذه زنكي وغرّقه (المنتظم ١٠/٥٧).

وفي السنة ٥٤٧ أقبل سلاركرد إلى الحلّة ، فهرب صامنها مهلهل إلى مشهد الإمام علي عليه السلام ، فكتب سلاركرد إلى مسعود الشحنة ، وكان بتكريت، فلحق به ، فلمّا اجتمعا ، قبض مسعود على سلاركرد ، وغرّقه . (المنتظم ١٠/١٤٨ ابن الأثير ١١/١٦٢).

وفي السنة ٥٥٣ قبض ببغداد على رجل غرّق بنتاً له صغيرة ، فأخذ ، وحبس . (المنظم ١٠/١٨٢).

وفي السنة ٥٥٥ مرض المقتفي ، وأيس منه ، فأرادت حظيّته أمّ ولده أبي علي ، أن ينفرد ولدها بالخلافة ، وتآمرت مع أبي المعالي الكيا الهراسي على قتل يوسف ولي العهد (المستنجد فيما بعد) ، وأحضرت عدّة من الجواري واعطتهنّ السكاكين ، وأمرتهنّ بقتل ولي العهد ، وكان لولي العهد

خصيّ صغير يرسله بين حين وآخر يتعرّف أخبار والده ، فرأى الجواري بأيديهنّ السكاكين ،ورأى بيد أبي علي سيفاً ، وبيد أمّه سيفاً ، فعاد إلى المستنجد ، وأخبره ، وأرسلت أم علي الى المستنجد ، تقول أن والده قد حضره الموت ، وطلبت منه أن يحضر فلبس درعاً وأخذ بيده سيفاً ، ودخل الى القصر ومعه جماعة من الفراشين ومعه أستاذ الدار ، فلما دخل ثار به الجواري ، فضرب واحدة منهنّ فجرحها ، وكذلك أخرى ، وصاح ، فدخل استاذ الدار والفراشون ، فهرب الجواري ، فأخذ أخاه أبا علي ، وأمّه فسجنهما ، وأخذ الجواري ، فقتل منهنّ وغرّق منهنّ . (ابن الأثير ١١/ ٢٥٧) .

وفي السنة ٦٨٠ تآمر بعض امراء المماليك ، على السلطان المنصور قلاوون ، وكان رأسهم في ذلك الأمير سيف الدين كوندك ، وبلغ السلطان الخبر ، فاعتقله ، واعتقل رفاقه ، ووبخّهم ، فاعترفوا بما نووه ، فأمر السلطان بقتلهم ، فأخذ الأمير طرنطاي ، نائب السلطنة ، الأمير كوندك ، وذهب به إلى بحيرة طبرية ، وغرقه هناك (تاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٠٧) .

وفي السنة ٧٠١ حقد بواب الظاهرية بدمشق على الفقيه ولي الدين الحنفي السمرقندي فرماه في الفسقية ، فأغرقه وقرّر فاعترف ، فشنق على باب المدرسة (الدرر الكامنة ٣/ ٤٧) .

وفي السنة ٧١٠ مرض نصر بن محمد الفقيه النصري ، ملك غرناطة ، وأغمي عليه ، فأحضر الجند أخاه محمد ، الذي كان قد خلعه وأودعه السجن في السنة ٧٠٨ لنصبه ملكاً إذا مات نصر ، فلما أفاق نصر ، أمر بتغريق أخيه ، فأغرق في بركة بغرناطة . (الأعلام ٧/ ٢٦٢) .

وفي السنة ٧٢٦ قتل تغريقاً أكرم بن خطيرة القبطي ، الملقّب كريم الدين الصغير ولما أسلم تسمّى : عبد الكريم ، وهو ابن اخت كريم الدين الكبير ، وكان اليه نظر الدولة في أيّام خاله ، ثم تمكّن في المملكة جدّاً ،

وكان كبار الأمراء بمصر يكرهونه لتشدّده وتصلّبه ، وهو أوّل من ضرب « الضرب المقترح » وكان آخر أمره ، أن نفي إلى أسوان وأغرق في البحر (الدرر الكامنة ١/٤٢٨، ٤٢٩).

وفي السنة ٧٢٨ زحف المجاهد ، صاحب اليمن ، على عدن ، فدخلها ، وأمر بقتل جماعة من المماليك والشفاليت ، وأخذ الوالي والناظر والرهائن ، في سلسلة من حديد ، فشنق الوالي والناظر ، وغرّق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢/٤٨).

وفي السنة ٧٤١ أفسد المعازبة، بالتهائم في اليمن ، فهاجمهم السلطان المجاهد صاحب اليمن ، وقتل منهم عدّة مستكثرة ، ورمى بعضهم للفيلة ، وغرّق الباقين في البحر ، ثم آل أمرهم إلى أن شيّخ عليهم امرأة يقال لها : بنت العاطف ، وكساها ، فكانت تركب دابة من الحمر ، أو ناقة ، وتقود المعازبة بأسرهم (العقود اللؤلؤية ٢/ ٦٩).

وفي السنة ٧٤٢ تحرّك الأمير قوصون على السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد فاعتقله، واعتقل معه الأمير طاجار ، اتهمه بأنّه هو الذي حرض السلطان على أن يقبض عليه (على قوصون)، وأمر قوصون بالأمير طاجار ، فقتل تغريقاً (الدرر الكامنة ١/ ٤٩٤).

وفي السنة ٧٤٧ بلغ سلطان اليمن ، انّ جماعة من المماليك الغرباء ، على وشك المناداة بابن أخيه ، الملك الفائز أبي بكر بن حسن ، سلطاناً بدله ، فاعتقل ابن أخيه في تعز ، حيث مات في سجنه بعد قليل ، ثم اعتقل جماعة من المماليك الغرباء ، وأتلفهم قتلاً ، وشنقاً ، وتغريقاً (العقود اللؤلؤية ٢/ ٧٩/ ٨٠).

وفي السنة ٧٤٩ بويع لعثمان بن عبد الرحمن ، من بني الواد، بالسلطنة بتونس ، فانتقض عليه عثمان بن جرار ، واستولى على تلمسان ، وأعلن

سلطنتـه، ثم سقط أسيـراً في يـد السلطان عثمـان، فـاعتقله في المـطبق، ثم سرّب اليه الماء ، فقتله غرقاً (ابن خلدون ٧/٢٨١).

ولمـا مات أبـو عنان المـريني ، سلطان المغرب في السنـة ٧٥٩ تحرّك أخوه أبو سـالم ، وكان منفيّاً بالأنـدلس ، لكي يحلّ محلّه ، فـامتنع صـاحب غرناطة من إعانته على ما يريد ، فـالتجأ إلى ملك قشتـالة ، فـاشترط عليـه أن نجح ، شروطاً ، وافق عليها ، فأمدّه بأسطول في طنجة ، وتحرّك إلى حاضرة المملكـة ، وخلع السعيـد الـطفـل الـذي ولي السلطنـة ، وتمت البيعـة لأبي سـالم ، فقبض على بعض خصومـه وقتلهم قعصاً بـالرمـاح ، ثم جمع إخـوته وأقاربه من المرشحين للسلطنة ، فـأركبهم السفن على أن تنقلهم إلى المشرق (مصـر) ولكنّه أعـطى أمراً سـرّياً بـإغراقهم ، فـأغرقـوا جميعـاً (ابن خلدون ٧/٣٠٥-٣٠٦).

وفي السنة ٧٨٣ رسم الأتابكي برقوق ، بتغريق الوزيـر كريم الـدين بن مكانس، فتوجّهوا به إلى الجزيرة الوسطى ووضعوه في البحر ، وهو مكتّف من يديه ورجليه بحبل ، فأقام في الماءنهاراً كاملاً ، حتى شفـع فيه بعض الأمـراء من التغريق . (بدائع الزهور ١/٢/٢٩١).

وفي السنة ٧٨٤ اتّهم الأتابكي برقوق ، بالقاهرة ، جماعة من المماليك السلطانية بالتآمر عليه، فاعتقلهم وغرّق منهم جماعة في البحر، وحبس آخرين (بدائع الزهور ١/٢/ ٣٠٩).

وفي السنـة ٧٩٢ كبس والي القاهـرة، حسين بن الكوراني، المـدرسـة البرقوقية ، وصار يتطلّب المماليك البرقوقية ، ومن ظفر به منهم غرّقه في البحر (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٤٣٢).

وفي السنـة ٧٩١ أحضر من الصعيـد جماعـة ممن خرج عن الـطاعة ، فـرسم بتغـريق جمـاعـة منهم في البحـر ، وخنق ستّـة في الجبّ. (نـزهـة النفـوس ٢٦٩).

وفي السنة ٧٩٣ رسم السلطان بتغريق بعض الأمراء المسجونين وبتسمير آخرين ، وتوسيطهم ، ففعل بهم ذلك . (نزهة النفوس ٣٣٢) .

وفي السنة ٨٠٢ اتّهم الأمير نوروز ، جماعة من مماليكه ، بالأتفاق على قتله ، فقبض عليهم وغرّق منهم جماعة . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٩١) .

وفي السنة ٨٠٣ ذكر أنّ تيمورلنك، كان قد أخذ قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي ، أسيراً معه ، ووضعه في زكيبة ، وأغرقه، في نهر الزاب (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٦٤٥) .

وفي السنة ٨٣٦ كان السلطان الملك الأشرف برسباي ، سلطان مصر والشام ، يحاصر مدينة آمد ، وكان قد استولى عليها عثمان قرا يلك ، فأسر السلطان حماعة من أصحاب ابن قرايلك ، كانوا يعبرون في الفرات ، يريدون حلب ، فأمر بهم فغرّق منهم جماعة، وضرب أعناق الآخرين (حوليات دمشقية ٦٦) .

وفي السنة ٩٢٠ لما ظهر البرتقال في بنادر الهند ، وسواحل الجزيرة العربية ، جهز السلطان الغوري خمسين غراباً (نوع من السفن) مع الأمير حسين الكردي ، وأرسل معه عسكراً عظيماً ، من الترك والمغاربة واللاوند ، وجعل له جدّة أقطاعاً ، فوصل الأمير حسين إلى جدّة ، وعسف النّاس عسفاً عظيماً ، ثم توجّه إلى الهند في السنة ٩٢١ ، فاجتمع بسلطان كجرات خليل شاه، فأكرمه، وعظّمه، وهرب الفرنج عن البنادر لما سمعوا بوصوله، ثم عاد الأمير حسين الكردي إلى اليمن ، فقتل ملوكها وسلاطينها ، وترك بها نائباً اسمه برسباي الجركسي ، ثم عاد حسين الى جدّة ، فبلغه زوال دولة الغوري ، فذهب إلى مكّة ، فورد على شريف مكّة ، أمر السلطان سليم بقتل الأمير حسين الكردي ، فأخذه شريف مكة بغتة ، وقيده ، وأرسله إلى بحر جدّة ، فغرّقه فيه (شذرات الذهب ٨/ ١١٥) .

أقول : روى صاحب البرق اليماني ، قصّة إعدام الأمير حسين الكردي ، كما يلي : ولّى السلطان قانصوه الغوري ، الأمير حسين الكردي نيابة جدّة ، وكان هذا الأمير ظالماً ، فاتكاً ، فكان لا يخلو في كلّ يوم من شنق ، أو توسيط ، أو شنكلة ، وكلّما نزل مكاناً يوضع له فيه المشنقة ، ومحّل الشنكلة وآلاتها ، فلما استولى السلطان سليم العثماني على مصر ، بعث بمرسوم إلى شريف مكة أبي نمي باعدامه تغريقاً ، فبعث الشريف إلى الأمير حسين من أحضره ، وقال له : ورد حكم السلطان أن نجهزك إلى مصر ، ثم أمر فأنزلوه إلى البحر من جدّة ، وأركبوه في جلبة ، فلما وصلوا به إلى بين العلمين ، غرّقوه في البحر . (البرق اليماني ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦) .

وفي السنة ٩٦٨ عيّن محمود باشا ، عتيق محمد باشا ، نائب الشام ، والياً (بكلربكي) على اليمن، وكان سفّاكاً ، نهّاباً ، فلما وصل إلى جدّة ، أمر بقتل كتخداه ، وكلا رجيّه ، وجاشنكيره ، غرقاً في البحر ، فأغرق الثلاثة ، ولكنّ الجاشنكير ، استطاع أن يغوص في البحر ، ويفلت بأعجوبة ، لأنّ الثلاثة رموا في البحر ، وهم مكتّفون ، وفي عنق كلّ واحد مهم حجر ، فصادف أن أنحلّ كتاف الجاشنكير لما رمي إلى الماء ، فسبح ، وكان عوّاماً ، وتعلّق ليلة كاملة بسكان المركب ، حتى تخلّص . (البرق اليماني ١٢٧) .

وروي لنا الرّحالة نيبور ، أنّ الميرمهنا ، حاكم بندريق ، على الساحل الشرقي لخليج البصرة (ت ١١٨٣) ، أمر باغراق أختيه ، فأغرقتا ، لأنّ أميراً من جيرانه خطب إحداهن لتكون زوجة له (رحلة نيبور ٢/١٤٧) .

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية ، في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصلات ، ونشطت حركة الإعدام ، كان المدعو (كاريه) يحمل ضحاياه على حفر قبورهم بأيديهم ، ليدفنهم فيها أحياء ، أمّا النساء والاطفال ، فكان يأمر بإغراقهم . (قصّة الاضطهاد الديني ٢٦ و٢٧).

وفي السنة ١٢٠٥ قبض الامير اسماعيل بك ، شيخ البلد ، بالديار المصرية ، على المعلم يوسف كساب معلّم الدواوين ، وأمر بتغريقه في بحر النيل ، فأغرق (الجبرتي ٢/٩١) .

وفي السنة ١٢١٩ لما احتضر أحمد باشا الجزار ، أمر أتباعه بأن يغرقوا جميع من في سجنه ، فنفذوا أوامره ، وأغرقوهم جميعاً (خطط الشام ٣/٢٢) .

وفي السنة ١٢٢٨ بلغ الكتخدا أنّ تركيّاً في القاهرة اسمه حسن لبلبي ، وهو رجل درويش ، يدخل إلى بيوت الأعيان والأكابر من الأتراك وغيرهم ، وفي جيوبه الحمص المجوهر ويسمونه بالتركية لبلبي ، فيفرّق على أهل المجلس منه ، ويلاطفهم ، ويضاحكهم ، فمن أعطاه شيئاً أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئاً ، وربما قال له بعضهم : انظر لي ضميري ، أو فألي ، فيعد على سبحته أزواجاً وأفراداً ، ثم يقول : ضميرك كذا وكذا ، فيضحكون منه ، فوشي بحسن أفندي هذا إلى الكتخدا بأنّه كان يقول للطيف باشا إنّه سيلي سيادة مصر،فلما أرسل الكتخدا العساكر لاعتقال لطيف باشا ، أحضر حسن لبلبي ، وقال له : أين لطيف باشا ؟ فقال : لا أدري ، فقال له : انظر في حسابك ، هل نجده أم لا ، فأمسك سبحته ، وعدّها كعادته فقال : إنّكم تجدونه وتقتلونه ، فأشار الكتخدا إلى أعوانه ، فأخذوه ، ونزلوا به ، وأركبوه على حماره ، وذهبوا به إلى بولاق ، فأنزلوه في مركب ، وانحدروا به إلى شلقان ، وشلحوه من ثيابه ، وأغرقوه في البحر (الجبرتي ٣/٤١٣ و ٤١٤).



الفصل الخامس

التدخين

وهو اللون الخامس ، من ألوان العذاب بكتم النفس ، ويتّم بامساك المعذّب في حجرة ، أو موضع ، وإرسال الدخان عليه .

وأوّل ما بلغنا من ألوان هذا العذاب ، ما حصل على الأقيشر الشاعر ، فإنّه هجا قيس بن محمد بن الأشعث الكندي ، فأمسك به موالي قيس ، ودخّنواعليه حتى مات (اسماء المغتالين ٢٤٩) .

وفي السنة ١٧٣ في أيّام الرشيد ، ثار الجند الذين يقال لهم : القديدية بصاحب خراج مصر عمر بن غيلان في أعطياتهم ، فصلبوه ، ودخّنوا عليه ، حتى دفع إليهم أعطياتهم . (الولاة للكندي ١٣٣) .

وقتل القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، محمد بن غالب الأصبهاني ، المعداني الكاتب ، لأنّه ترشّح للوزارة ، فأخرجه إلى أصبهان ، وكتب إلى المسمعي بإهلاكه فأحضره مائدته ، وأطعمه كوامخ وسمكاً مالحاً ، ثم أدخله بيتاً ، وأغلقه ، فمات عطشاً ، وقال أحمد بن أبي طاهر ، في كتاب بغداد : هلك بأصبهان بالجوع والتدخين ثلاثة أيام ، في خلافة المكتفي . (الوافي بالوفيات ٤/٣٠٨) .

أقول : ذكر صاحب مروج الذهب ٢/٥٢٨ أن القاسم وزير المكتفي أمر بمحمد بن غالب الاصبهاني ، فاحدر إلى البصرة وغرّق في الطريق ، وقد

أشرنا إلى ذلك في الفصل الرابع « التغريق » من الباب الثاني عشر « القتل بكتم النفس »

وفي السنة ٢٦٧ قتل عامل نيسابور عليّ بن الحسن الهلالي من علماء نيسابور ، بأن أدخله بيتاً ، وأوقد فيه النار في التبن ، فمات من الدخان (المنتظم ٥/٦٠) .

وفي السنة ٥٣٢ قصد ملك الروم مدينة بزاعة ، على ستّة فراسخ من حلب ، وفتحها بالأمان ، ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبى ، وبلغه أنّ جمعاً مهم قد نزلوا الى مغارات ، فأمر فدخّنوا عليهم في المغاور ، فهلكوا . (ابن الأثير ١١/٥٦) .

وفي السنة ٥٧٣ قتل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي ، كمشتكين الخادم ، بأن علّقه منكّساً ، ودخن تحت أنفه حتى مات . (النجوم الزاهرة ٦/٨١) .

وذكر الجبرتي في تاريخه ٢/٣٩٣ إنّ العذاب بالتدخين مارسه في مصر في السنة ١٢١٥ قبطي اسمه شكر الله ، كان ببولاق يحبس الرجال مع النساء ويدخّن عليهم بالقطن والمشاق ، وينّوع عليهم العذاب .

وحدّثني والدي رحمه الله قال : انّ بعض الموظّفين الأتراك ببغداد ، في القرن التاسع عشر كانوا يقبضون على الناس من التجّار وأرباب المهن ، ويفرضون عليهم أداء مال لهم ، ومن لم يؤدّ مهم ، حبس في حجرة ، ودخن عليه بدخان التبن ، فيضطر للأداء .

وقال ابن المعتز ، في أرجوزته ، يصف التعذيب بالدخان : (ديوان ابن المعتز ١٣٢) .

وتاجرٍ ذي جوهر ومال كان من الله بحسن حال

قيل له : عندك للسلطان ... ودائع غالية الأثمان

فقال : لا والله ما عندي له ... صغيرة من ذا ولا جليله

وإنّما أربحت في التجارة ... ولم أكن في المال ذا خسارة

فدخّنوه بدخان التبن ... وأوقروه بثقال اللبن

حتى إذا ملّ الحياة وضجر ... وقال : ليت المال جمعاً في سقر

أعطاهم ما طلبوا فأطلقا ... يستعجل المشي ويمشي العنقا

الفصل السادس

دفن الانسان حيّاً

وهو اللون السادس من ألوان العذاب بكتم النَفَس ، وتدلّ ممارسته على قسوة في قلب من يمارسه .

وأوّل من مارس هذا الون من العذاب ، زياد بن أبيه ، بناء على أمر من معاوية بن أبي سفيان ، حيث أمره في السنة ٥١ بقتل فتى أبى أن يبرأ من الامام عليّ ، إذ طلب معاوية من عبد الرحمن بن حسّان ، أن يبرأ من عليّ ، فأبى ، فبعث به إلى زياد ، وطلب من أن يقتله شرقتلة ، فدفنه زياد حيًّا . (الطبري ٥/٢٥ ـ ٢٧٧ والاغاني ١٧/١٥٢ و١٥٣ ابن الاثير ٣/٤٧٢) .

وفي السنة ٦٤ لما هلك يزيد بن معاوية ، وتولّى بعده معاويه ، خطب الناس ، وأخبرهم بأنّه قد ضعف عن أمرهم ، وإنّه آبتغى لهم رجلاً مثل عمر بن الخطاب فلم يجد ، وابتغى لهم ستّة في الشورى مثل ستّة عمر، فلم يجد ، وقال لهم : أنتم أولي بأمركم ،فآختاروا له من أحببتم ، فوثب بنو أمّية على عمر المقصوص ، وكان معاوية يستشيره ، وقالوا له : أنت أفسدته ، ودفنوه حيًّا (خطط الشام ١/١٤٦) .

وقال الشعبي : ما رأيت في العمّال مثل عبد الله التميمي ، كان لا يعاقب إلّا في دين الله ، وكان إذا أتي برجل نباش ، حفر له قبراً ، ودفنه فيه حيًّا ، وإذا أتي برجل نقب على قوم ، جعل منقبته في صدره حتى تخرج من

ظهره ، وإذا أتي برجل شهر سلاحا ، قطع يده ، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى إليه بجانٍ خوفاً من سطواته (الغرر للوطواط ٤٠١) .

وبلغ الوليد بن عبد الملك ، تشبيب وضّاح بزوجته أمّ البنين ، فهمّ بقتله ، فسأله عبد العزيز ابنه من أمّ البنين ، أن لا يقتله ، وقال له : إن قتلته حقّقت قوله ، وتوهّم الناس أنّ بينه وبين أمّي ريبة ، فأمسك عنه على غيظ وحنق ، حتى بلغ الوليد أنّه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز ، فشبّب بها . فاشتّد غيظه ، وقال : أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب . ثم دعا به فأحضر ، وأمر ببئر فحفرت ، ودفنه فيها حيّاً . (الاغاني ٦/٢٢٧) .

وكان الشاعر سديف من أشدّ المحرّضين للسفّاح على قتل بني أمّية ، دخل عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحت الضلوع داءً دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأمر السفّاح بسليمان ، فأخذ وقتل ، ودخل سديف على عبد الله بن علي وعنده نحو تسعين رجلاً من بني أميّة على الطعام ، فأنشده :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمان وباس
لا تقيلنّ عبد شمس عثاراً ... واقطعن كلّ رقلة وغراس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً ... وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحرّان أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناسي

فأمر بهم عبد الله ، فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، فأكل الطعام عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم ، حتى ماتوا جميعاً (ابن الاثير ٥/٤٢٩ - ٤٣١) ، ثم أخذ سديف يحضّ العلويّين من آل

الحسن ، على العبّاسيين ، فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة ، وخرج أخوه ابراهيم بالبصرة ، قال سديف :

إنّا لنأمل أن ترتدّ إلفتنا	بعد التباعد والشحناء والإحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها	فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا	إن الخلافة فيكم يا بني حسن

فبلغت الأبيات ، أبا جعفر المنصور ، فكتب إلى عبد الصمد بن علي ، عامله بالحجاز ، أن يأخذ سديفاً ، فيدفنه حيّاً ، ففعل . (العقد الفريد ٥/٨٧ و٨٨) .

أقول : في الغرر للوطواط ١٠٧ و١٠٨ إنّ عبد الصمد أخذ سديفاً ، وقطع يديه ورجليه ، وجدع أنفه ، فلم يمت ، فدفنه حيًّا .

وذكر صاحب مقاتل الطالبيين ٢٢٨ إنّ المنصور قتل يعقوب وإسحاق ومحمداً وابراهيم بني الحسن ، في الحبس ، بضروب من القتل ، وإنّ ابراهيم بن الحسن دفن حيّاً .

وفي السنة ٢٢٣ تآمر بعض القوّاد على المعتصم ، وبايعوا العبّاس بن المأمون ، وكان منهم عمرو الفرغاني ، فلما نزل المعتصم بنصيبين ، في بستان ، دعا صاحب البستان ، وأمره فحفر بئراً بقدر قامة ، ثم دعا بعمرو ، وقال جرّدوه ، فجرّد ، وضربوه بالسياط ، والبئر تحفر ، حتى إذا فرغ من حفرها ، أمر المعتصم فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب ، فلم يزل يضرب حتى سقط ، ثم قال : جرّوه إلى البئر فاطرحوه فيها ، فطرح في البئر ، وطمّت عليه . (ابن خلدون ٣/٢٦٥ وتجارب الامم ٦/٥٠١ والطبري ٩/٧٧) .

ولما ولي سيما الطويل أنطاكية في السنة ٢٥٨ قبض على الفضل بن صالح العباسي وعلى ولده ، ودفنهما حيّين في صندوقين ، وبصر رجل

بالصندوق الذين دفن فيه الفضل ، فظنّ أنّ فيه مالاً ، فلما خلا الموضع ، عمد إلى الصندوق فآستخرجه ، وبالفضل رمق ، فعاش الفضل بعد ذلك عشرين سنة ، وصار إلى مصر ، واتّصل بأحمد بن طولون ، وحرّكه على احتلال أنطاكية ، فقصدها في السنة ٢٦٥ واستولى عليها ، وقتل سيما في المعركة (اعلام النبلاء ١/٢١٣) .

وكان المعتضد قليل الرحمة ، إذا غضب على قائد ، أمر بأن يلقي في حفرة ويطمّ عليه . (تاريخ الخلفاء ٣٦٨) .

وكان المعتضد إذا غضب على القائد النبيل أو من يختصّه من غلمانه ، أمر أن تحفر له حفرة ، بحضرته ، ثم يدلّى رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك ، حتى تخرج روحه من دبره (مروج الذهب ٢/٤٩٦) .

وفي السنة ٣٢٢ قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل النوبختي ، وكان سبب قتله إنّه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة ، قبل الخلافة ، وكانت موصوفة بالجمال والغناء ، فزايده إسحاق فيها وآشتراها ، فلما استخلف القاهر اعتقل إسحاق ، وأحضره وهو مقيّد ، فأمر بطرحه في بئر في الدار ، فرمي فيها بقيده ، وهو حيّ ، ثم أمر بطمّ البئر عليه (ابن الاثير ٨/٢٩٥ و٢٩٦ وتجارب الامم ١/٢٨٤ وتاريخ الخلفاء ٣٨٧) .

وكذلك قتل القاهر في السنة ٣٢٢ أبا السرايا الحمداني ، لأنّه كان قبل الخلافة أراد شراء جارية ، فاشتراها أبو السرايا ، فاعتقله لما استخلف ، وأحضره وهو مقيّد ، وأمر برميه في بئر هناك ، فما زال أبو السرايا يتضرّع إليه ، ويسأله العفو، وهو لا يلتفت إليه ، وتعلّق بسعف نخلة كانت بقرب البئر ، فأمر القاهر ، بضرب يده ، فضربت، فخلّى عن السعفة ، ودفع في البئر ، ثم أمر بطمّ البئر ، فطمّت (تجارب الأمم ١/٢٨٤ـ ٢٨٥) .

وأمر اسد الدولة صالح بن مرداس ، في السنة ٤١٥ بقاضي حلب احمد بن عبيدالله ، فدفن حيّاً . (اعلام النبلاء ٥١٢/٣).

وفي السنة ٤٣٢ خلع السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وتسلطن اخوه محمد ، وأغراه ولده أحمد بقتل مسعود ، فأمر بذلك ، فألقي في بئر حياً وسدّ رأسها ، فمات . (ابن الأثير ٤٨٦/٩).

وفي السنة ٤٤٧ قبض الملك الرحيم البويهي ،على الوزير أبي عبد الله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم ، وأمر به فطرح في بئر في دار المملكة ، وطمّ عليه ، وكان وزيراً متحكّماً في دولته (المنتظم ١٦٦/٨ وابن الأثير ٦١٥/٩) .

وفي السنة ٤٧٨ تآمر ابن بدر الجمالي مع آخرين ، على والده بدر ، ففطن بدر لهم ، فقتل الجماعة ، وعفّى أثر ولده ، فقيل إنّه دفنه حياً ، وقيل غرّقه ، وقيل جوّعه حتى مات ، (النجوم الزاهرة ٥ / ١٢٠).

وذكر أنّ تيمورلنك حلف لأهالي سيواس ، أن لا يضع فيهم السيف ، إذا استسلموا ، فلما استسلموا أمر بدفنهم أحياء ، وكانوا ثلاثة آلاف (أعلام النبلاء ٢/٤٩٢- ٤٩٣) (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٩٣ النجوم الزاهرة ٢٦٥/١٢).

وكان من جملة مظالم الأمير يشبك الدوادار في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر ، أن دفن جماعة من العربان في التراب وهم أحياء . (بدائع الزهور ١١٦/٢).

وفي السنة٧٣٨ أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمل مواضع لتربية البقر والضأن بقلعة الجبل ، ورسم لوالي القاهرة بتسخير العامّة ، وكان المشرف على العمل الأمير أقبغا وكان ظالماً غشوماً فعسف

بالرجال ، وكلّفهم السرعة في اعمالهم من غير رخصة ، ولم يمكّنهم من الاستراحة ، وكان الوقت صيفاً حارّاً ، فهلك جماعة كثيرة منهم في العمل لعجز قدرتهم عما كلّفوه ، وكان أحدهم إذا عجز القى بنفسه الى الأرض ، فيرمي أصحابه عليه التراب ، فيموت لوقته (بدائع الزهور ٩/ ١٢٠)، وكذلك حصل الأمر لما أراد السلطان حفر الخليج ، فإنّه رسم لوالي القاهرة بتسخير العامّة للعمل ، فقبض على عدّة كثيرة منهم ، وأخذ الناس من المساجد والجوامع والأسواق ، حتى تستر الناس في بيوتهم خوفاً من السخرة ، حتى أنّ الرجل منهم كان يخرّ إلى الأرض ، وهو يعمل ، لعجزه عن الحركة ، فيردم رفاقه عليه الرمل فيموت من ساعته ، واتفق ذلك لخلائق كثيرة (النجوم الزاهرة ٩/١٢٧) .

وفي السنة ١١٨٤ بعث علي بك ، أمير مصر ، جيشاً على رأسه محمد بك أبو الذهب ، للإستيلاء على الشام ، فلما حاصر دمشق ، أرسل إلى أهلها كتاباً يذكر فيه ما فعله عثمان باشا ، والي دمشق ، في السنة الماضية بعلماء غزّة ، حيث أنّه دفنهم وهم أحياء . (خطط الشام ٢/ ٣٠٤) .

ولما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية ، في السنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وأقيمت المقصلات ، ونشطت حركة الإعدام ، كان الجلّاد يلقي بجثث الضحايا ، في أوضاع يثير بها ضحك المشاهدين ، وكان (كاريه) يحمل ضحاياه على أن يحفروا قبورهم بأيديهم ، ليدفنهم فيها أحياء ، أما النساء والأطفال ، فكان يأمر باغراقهم ، وقال : أنه كان يضحك من منظر وجوه رجال الدين ، وهي تتقلّص وتنقبض عندما تحين ساعتهم . (قصة الاضطهاد الديني ٢٦ـ ٢٧) .

وروى لنا الرحالة نيبور ، أنّ المير مهنا ، حاكم بندر ريق ، على الساحل الشرقي لخليج البصرة (ت ١١٨٣) كان يئد بناته (يدفنهن وهنّ على قيد الحياة) (رحلة نيبور ٢/ ١٤٧) .

الفصـل السابع

البناء على المعذّب

وهـو اللون السـابـع ، من ألـوان العـذاب بكتم النَفَس ، ويتمّ بتقييـد المعذّب أو تسميره ، وبناء حائط أو اسطوانة عليه .

وأوّل من مـارس هذا اللون من العـذاب ، عبيدالله بن زيـاد ، فإنّـه لما بنى داره بالبصرة ، مرّ بها رجـل ، فتلا آيـة من القرآن : ﴿ وتتّخـذون مصانـع لعلّكم تخلدون ﴾ (١٢٩ ك الشعراء ٢٦). فأحضره عبيدالله ، وأمر فبني عليه ركن من أركان القصر (الهفـوات النادرة ١١٧- ١١٨ ، والمحـاسن والمساوىء ٢/ ١٦٥).

وفي السنـة ١٢٧ لحق رفاعـة بن ثابت بن نعيم الجـذامي ، بمنصور بن جمهـور ، بالسنـد ، فأكرمه ، وولاّه، وخلّفه مع أخ له اسمه منظور بن جمهور بالمنصورة ، فوثب رفاعـة على منظور فقتله ، فبلغ ذلـك منصوراً، فعـاد وأخذ رفاعة ، وبنى لـه اسطوانـة من آجرّ مجـوّفة ، وأدخله فيهـا ، ثم سمّره إليهـا ، وبنى عليه (الطبري ٧/ ٣١٤).

أقـول : لرفـاعة هـذا ، ولأخوتـه نعيم وبكر وعمـران ، ولأبيهم ثابت بن نعيم الجـذامي ، تاريـخ عريق في الفسـاد وإثـارة الفتن ، وكـان رفـاعـة هـذا أخبثهم ، راجع ما صنعـوه من أصناف الفسـاد ، وكيف كان مصيـرهم ، في هذا الكتاب ، في الباب التاسع (التعذيب بالعرّض للجوارح) ، القسم الأوّل من الفصل الثاني (قطع الأطراف) .

ولما اعتقل المنصور بني الحسن في السنة ١٤٤ نظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان من أجمل الناس صورة ، فقال له : أنت الديباج الأصفر ؟ قال : نعم قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنيّة ، ففرقت ، ثم أدخل فيها ، فبنى عليه وهو حيّ (الفخري ١٦٤ وابن الأثير ٥/٥٢٦ والطبري ٧/٥٤٦).

ويروى أنّ الرشيد ، أمر بيحيى بن عبدالله بن الحسن ، فشدّ الى جدار ، وسمّر على يديه ورجليه ، وسدّ عليه المنافذ بأن بنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حيّ . (مروج الذهب ٢/٢٧١ وشذرات الذهب ١/٣٣٩).

وفي السنة ٢٠٢ أخذ علي بن الحسين الهمداني ، المتغلّب على الموصل ، رجلاً من الأزد ، فبنى عليه حائطاً ، فهاج الأزد ، وركب السيّد بن أنس في الأزد ، وحاربوا علي بن الحسين فطردوه من الموصل ، إلى الحديثة ، وحاربوه هناك ، فقتلوه ، وقتلوا أخاه أحمد ، وجماعة من أهل بيته ، وغلب السيد بن أنس على الموصل ، وخطب للمأمون ، (ابن الأثير ٦/٣٤٩).

ولما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ أحضر مؤنس ، محمد بن المعتضد (القاهر) وأبا أحمد محمد بن المكتفي ، وابتدأ بخطاب محمدبن المكتفي ، فامتنع من قبول الخلافة ، وقال : عمّي أحقّ بالأمر ، فاستخلف محمد بن المعتضد ، وصرف محمدبن المكتفي الى داره (تجارب الأمم ١/٢٤٢) وكان لترجيح محمد بن المكتفي عليه ، أثر عظيم في نفسه ، ولذلك فقد أمر في السنة ٣٢١ باعتقاله ، فلما أحضر أمامه أمر بأن يقام في فتح باب، ويسدّ عليه بالجصّ والآجر ، وهو حيّ (تجارب الأمم ١/٢٦٦ وابن الأثير ٨/٢٦٠ والمنتظم ٦/٢٥٠).

وفي السنة ٤٠٧ انقرضت باليمن دولة بني زياد ، على يد عبد يقال له قيس ، مولى مرجان ، ذلك إنَّ قيساً اتّهم عمّة ابن زياد ، وزياداً، فبنى عليهما حائطين وهما قائمين بالحياة يناشدانه الله أن لا يفعل، حتى ماتا ، فظفر نجاح بقيس وقتله ، وأخذ مولاه مرجان ، فقال له : أين مواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجهما ، وصلّى عليهما ودفنهما ، وجعل مرجان في موضعهما، وبنى عليه الحائط حتى هلك (المستبصر ٧١- ٧٢ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٢).

وفي السنة ٤٢٩ ظفر بنونمير بأصفر الغازي ، وكان قد أوغل في بلاد الروم ، فسلّم إلى ابن مروان ، فسدّ عليه برجاً من أبراج آمد . (المنتظم ٨/ ١٣٢).

ولما توفّي المستنصر الفاطمي ، سنة ٤٨٧ ، خلفه ولده أحمد ، ولقّب بالمستعلي ، بسعي الوزير الأفضل ، وكان نزار أكبر منه سناً ، فامتنع من مبايعته، وتوجّه نزار الى الإسكندرية ، واتّفق مع أميرها افتكين ، فبايعه، وأعلن نزار خلافته هناك ، فنهد الأفضل إلى الإسكندرية ، وحاصرها ، فاستسلم نزار وافتكين ، فاعتقلهما ، وبعث بهما إلى القاهرة ، فأمّا نزار فإنّه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه ، وأمّا أفتكين فإنَّ الأفضل قتله بعد قدومه . (خطط المقريزي ١/ ٤٢٣ وابن الأثير ١٠/ ٢٣٨ ووفيات الأعيان ١/ ٤٠٧ وشذرات الذهب ٣/ ٤٠٢ والنجوم الزاهرة ٨١).

وفي السنة ٧٠٦ حصل الأمير أقوش الأفرم ، نائب دمشق ، على فتوى من بعض الفقهاء ، بإباحة دماء وأموال اهالي كسروان من لبنان ، وجنّد لهم خمسين ألفاً ، وواقعهم عند صوفر ، فهرب أمراؤهم بحرمهم وأولادهم ، ونحو ثلثمائة نفس من رجالهم ، واجتمعوا في غار تيبة ، فوق انطلياس ، فلم يتمكّن منهم أحد وهم في داخل الغار ، وبذل لهم الأمان فلم يخرجوا ، فأمر نائب دمشق ، فبني على باب الغار سدٌّ من الحجر والكلس ، وهالوا عليه تلاً

من التراب ، وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً ، حتى هلكوا داخل الغار (خطط الشام ٢ /١٤٣- ١٤٤) .

ولما تسلطن السلطان قانصوه الغوري ، في السنة ٩٠٥ ارتاب من الأمير قصروه نائب السلطنة بدمشق ، فنقله إلى مصر أميراً كبيراً ، وخشي أن يزاحمه على السلطنة فقبض عليه بعد أن حلف أنّه لا يقتله ، ثم وضعه في حائط مجوّف ، وسدّ عليه ، فقتله (إعلام النبلاء ، ٥ /٤٦٧) .

الفصل الثامن

هدم البناء على المعذّب

وهو اللون الثامن ، من ألوان العذاب بكتم النَفَس ، ويتمّ بإسكان المعذّب في بناء متداع ، أو مبني على أساس من الرمل أو الملح ، وتسليط الماء عليه على حين غفلة ، لينهدّ على ساكنه ، فيقتله .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب، على ما بلغنا ، المنصور العباسي ، إذ قبض في السنة ١٣٩ على عمّه عبدالله بن عليّ ، وكان قد أمّنه، فوضعه في بيتٍ أساسه من الملح ، وأجرى عليه الماء ، فسقط عليه وقتله (الطبري ٨/٧ـ ٩ والعيون والحدائق ٣/٢٢٧) .

ولما اعتقل المنصور في السنة ١٤٤ بني الحسن ، قتلهم بضروب من القتل ،وقتل عبدالله بن الحسن بن الحسن ، بأن طرح عليه بيتٌ ، فقتله (مقاتل الطالبيّين ٢٢٨) .

وفي السنة ٣٨٧ قتل حسن بن عمّار ، أمين دولة الحاكم بمصر ، عيسى بن نسطورس ، بأن رمى عليه حائطاً ، وعذّب اصحابه وقتلهم (النجوم الزاهرة ٥٥)

وفي السنة ٧٩٢ ورد من الفيوم محضر مفتعل ، مضمونه : إنَّ الأمراء المسجونين بالفيّوم سقط عليهم حائط فقتلهم ، وعددهم ثمانية (نزهة النفوس ٢٨٧) .

أقول: في السنة ٨٠٢ قبض على أمير حاج بن بيدمر ، وسجن، لأنّه

كان يلي الفيّوم ، وحبس عنده بعض الأمراء ، فقتلهم وأحضر قاضي الفيوم ، وعمل محضراً بأنّ حائط السجن وقع عليهم، وماتوا تحت الردم (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٥٥٢).

وفي السنة ٧٩٦ حاصر تيمورلنك تكريت ، وكان متولّيها حسن بن بولتمور ، فاستسلم بعد أن عاهده تيمورلنك أن لا يريق دمه ، فلما استسلم بعث به إلى دار ، ودسّ له من هدمها عليه (تاريخ العراق للعزاوي ٢/ ٢١٠-٢١١).

وفي السنة ٨٣٤ حاصر الأمير أسبان بن قره يوسف ، مدينة الحلّة ، وفيها السلطان حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس ، وكان أمراؤه قد ضجروا منه لفساده ، وتعرّضه لنسائهم وأولادهم ، فكاتبوا الأمير أسبان ، فلما وصل وحصر الحلّة ، أشار عليه الأمراء أن يخرج ويصالحه، على أن يستحلفه أن لا يقتله ، ففعل ذلك ، وسلّم المدينة إلى أسبان فتلقّاه بالإبتهاج ، وسار راجلاً في ركابه ، ثم وكل به اثنين من أصحابه ، وعلّمهما أن يحسّنا له الهروب ، وأن يهربوا معه ، فلما فعلوا ، أدركوهم ، وقبضوا السلطان حسين ، وقيدوه وطرحوه تحت حائط ، ثم طرحوا الحائط عليه ، فقتلوه، وكان ذلك في السنة ٨٣٥ (تاريخ الغياثي ٢٦٢-٢٦٤).

أقول : ورد في تاريخ العراق للعزاوي ٣/ ٨١ وفي شذرات الذهب ، ان الأمير أسبان قتل السلطان حسين خنقاً ، وقد اثبتنا ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

وبعد أسر الأمير فخر الدين بن معن ، في السنة ١٠٤٣ وسّدت الدولة حكم لبنان إلى الأمير علي بن علم الدين اليمني ، فضبط جميع ارزاق بيت معن ، وقتل بعض تابعيهم ثم باغت الأمراء بني تنوخ ، وكانوا في الحمّام في السراي التي تحت القرية ، فقتلهم ، وردم البرج على أولادهم الصغار ، ولم يترك من بني تنوخ ذكراً يخلفهم . (خطط الشام ٢/ ٢٦٣).

الباب الثالث عشر

القتل بالسم

طعاماً ، وشراباً ، ودواء ، أو بتسميم آلة الفتك

ومن ألوان التعذيب ، القتل بالسمّ ، ويستعمل في الأحوال التي لا يريد القاتل فيها أن يعرف ، أو إذا لم يكن في إمكان القاتل ، الوصول إلى من يريد قتله ، إلاّ بهذه الطريقة .

ولما كانت حوادث التسميم ، الغالب عليها التكتّم ، والتصرّف الخفيّ ، لذلك فإنّ كثيراً من حوادث الوفاة الإعتيادية ، زعم الناس أنّ المتوفّى فيها قد دسّ له السمّ ، وتنّوعوا في وصف الطريقة التي دسّ له السمّ بها ، ومثل هذه الأخبار تجد أذناً صاغية ، إذا كان المتوفّى شخصاً مرموقاً ، وخاصّة إذا كان شابّاً ، وكان له خصوم يتمنّون له الموت .

ذكر بعض المؤرخين ، أنّ أبا بكر الصديق ، مات مسموماً ، وأنّ يهوديّة سمّته (وفيات الاعيان ٣/٦٨) وأنّ معاوية بن يزيد بن معاوية ، مات مسموماً (ابن الأثير ٤/١٣٠ والطبري ٥/٥٣٠ و٥٣١)، وأنّ مروان بن الحكم مات مسموماً ، وأنّ امرأته أمّ خالد ، سقته شربة لبن مسموم فقتله ، وأنّ سبب ذلك ، إنّ مروان أهان ولدها خالداً ، وتعرّض بأمّه في الشتيمة ، فقال له : يا ابن الرطبة ، فأخبر خالد أمّه بذلك (انساب الاشراف ٥/١٤٥) وفي السنة ٩١ طلب قتيبة بن مسلم ، أمير خراسان ، ملك الجوزجان ، وكان قد هرب

منه ، فأرسل يطلب الأمان ، فأمنّه قتيبة على أن يطأ بساطه ، فطلب رهناً يكون في يده ، ويعطي مقابله رهائن ، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، وخلّف ملك الجوزجان حبيباً في بعض حصونه ، وقدم على قتيبة ، وصالحه ، ثم عاد ، فمات بالطاعون ، فقال أهل الجوزجان : سمّوه ، وقتلوا حبيب الباهلي ، فقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده (الطبري ٦/ ٤٦٠) ولما توفّي الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، قال بعض المؤرخين إنّه مات مسموماً (تاريخ الخلفاء ٢٤٥) ولما مات المهدي العباسي ، على أثر إصابته في حادثة من حوادث الصيد بماسبذان ، ذكر بعض المؤرخين إنّه مات مسموماً ، وعينوا طريقة سمّه ، بأنّه أكل كمثراة مسمومة ، (الطبري ٨/ ١٦٩) ولما مات الهادي العباسي في السنة ١٧٠ وهو شاب ابن ٢٦ عاماً ، اتهمت أمّه الخيزران بأنّها دسّت له السمّ (الطبري ٨/ ٢٠٥ و٢٠٦) وذكروا لذلك سبباً ، وهو إنّه حال بين أمّه وبين التدخل في أمور الدولة ، وهذه أقوال تخالفها الطبيعة الإنسانية في محبّة الأمّ ولدها ، فضلاً عن كون هذا الأتّهام لا يخرج عن دائرة التكهنّ ، في حين أنّ الثابت إصابة الهادي بالحمى ، ومن مرض كان آحتمال موته أقوى من إحتمال قتله ، ولما توفّي الشاعر دعبل الخزاعي ، في السنة ٢٤٦ ، وهو ابن ثمان وتسعين سنة ، عموا أنّه قتل مسموماً ، ورتّبوا له قاتلاً ، فقالوا إنّه مالك بن طوق التغلبي ، وذكروا لقتله سبباً ، فقالوا لأنّه هجاه ، وحاكوا لمقتله قصّة ، وهي أنّ مالكاً أعدّ لقتله رجلاً حصيفاً مقداماً ، وأعطاه سمّاً ، وأمره أن يغتاله ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس ، فاغتاله بعد صلاة العتمة ، بأن ضرب ظهر قدمه بعكّاز لهازجّ مسموم ، فمات من غد (الاغاني ٢/ ١٨٤ و١٨٦) ، مع أنّ الثمانية والتسعين عاماً التي بلغها دعبل لا يحتاج معها إلى زجّ مسموم ، ولما توفّي المنتصر ، وهو شاب اتّهم الطبيب بأنّه سمّه ، بأن فصده بمبضع مسموم ، وزعم آخرون بأنّه سمّ في كمثراة

(الطبري ٩/٢٥١ و٢٥٣) ، مع أنّ المعروف أنّ المنتصر أصيب بالذبحة ، ومات متأثراً بهذا المرض (الطبري ٩/٢٥١) ، أما صاحب مروج الذهب ، فقد ذكر سبباً لمرض المنتصر ، غير الذبحة ، ونسب وفاته ألى أنّه خرج من حمّام حارّ ، ونام في مجرى هواء بادهنج بارد ، فحمّ ، ومات (مروج الذهب ٢/٤٢٥) ، ولما توفّي أبو القاسم أنوجور، بن أبي بكر الإخشيد صاحب مصر ، في السنة ٣٤٩ ، وكان قد تباعد ما بينه وبين كافور مولاه ، اتّهم كافور بأنّه سمّه (خطط المقريزي ٢/٢٧ وابن الاثير ٨/٥٣٣) .

وفي السنة ٣٥٢ توفّي الوزير المهلّبي، أبو محمد الحسن بن محمد ، وزير معز الدولة ، وكان قد خرج في الصيف مع جيش لفتح عمان ، فلما وصل إلى هلثا ، من أعمال البصرة ، مما يلي البحر ، اعتلّ ، وثقل ، فردّ إلى الأبلّة زائل العقل ، مسبوتاً ، وعملت له محفّة يحملها أربعون ، يتناوبون عليها ، فلما بلغ زاوطا ، ما بين واسط وخوزستان والبصرة ، مات ، فاتّهم الناس أستاذ داره فرج الخادم بأنّه سمّه ، لأنّه خرج من راحة وخيش وتنعّم ، إلى قيظ شديد ، وشقاء كثير ، مع أنّ خروج المهلّبيّ في الصيف ، إلى جنوبي العراق ، وكان مفرط السمن ، ومصاباً بحصر البول ، وقد عبر الستين ، ترجّح موته من آنفجار دماغي ، راجع تجارب الأمم ٢/١٩٦ و١٩٧ .

وفي السنة ٣٧٣ أولم علي بن كامه ، من زعماء الديلم ، وليمة للأمير فخر الدولة بن بويه، وقوّاده، وحاشيته، وجنده، وأجهد نفسه في إتقانها، فبان عليه في خلال الحفل أثر الجهد ، فأوى إلى موضع طرح نفسه فيه ، وألقى عليه كساءه ، وحسبه أصحابه نائماً ، فأبقوه على حاله ، وآشتغلوا بإقامة الوليمة ، ولما أرادوا إيقاظه في صباح اليوم التالي ، وجدوه ميتاً ، فاتّهموا الأمير فخر الدولة بأنّه دسّ له السم ، بلا دليل ولا حجّة ، راجع القصّة في ذيل تجارب الأمم ٩٥ وراجع نشوار المحاضرة للتنوخي ، القصة المرقمة ٤/٢٣ ج ٤ ص ٤٩ - ٥١ .

وفي السنة ٣٧٨ توفي الرئيس أبو عبد الله محمد بن العباس الهروي الضبّي ، وكان قد دخل الحمّام ، ومات لما خرج منه ، فقال الناس عنه : إنّه لما خرج من الحّمام ألبس قميصاً ملطّخاً (يريد ملطخاً بالسمّ) فانتفخ ، ومات شهيداً (الوافي بالوفيات ٣/١٩١) .

وبلغ من تعارف الناس على دسّ السم في الطعام ، أنّ شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي ، صاحب الموصل (ت ٤٨٧) مات أحد الناس على مائدته وهو يتناول الطعام ، فخاف شرف الدولة أن يظن من حضر إنّه تناول طعاماً مسموماً ، قصد به غيره ، فقال : يا معشر العرب ، لا يبرح منكم أحد ، وجلس مكان الطاعم المتوفّى ، وأخذ يأكل من ذلك الطعام الذي كان بين يديه ، فآستحسن الجماعة فعله (ابن الاثير ١٠/٢٧) .

ولما توفّي عبيد بن صالح بن عبد الملك ، ورثه أخوه الفضل ، وتزّوج بجاريته ، فآتهمه الناس بأنّه كان يهوي جارية أخيه ، وإنّه سقى أخاه السمّ ، فقتله ، وتزوّج بجاريته ، وقال فيه أحمد بن الوليد الأنطاكي ، وكان الفضل قد ظلمه في أرض : (الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٠) .

لئن كان فضل بزّني الأرض ظالماً فقبلي ما أودى عبيد بن صالح
سقاه نسوعيّاً من السمّ ناقعاً ولم يتّئب من مخزيات الفضائح
حوى عرسه من بعده وتراثه وغادره رهن الثرى والصفائح

وفي السنة ٤١٤ توفّي الناجحون الأعمى ، وكان يؤدّب الصبيان ، أطعم طعاماً فمات منه مبطوناً ، وكان هجاءً ، فقال الناس إنّه سمّ ، وآتّهم بقتله جماعة ممن هجاهم (الوافي بالوفيات ٣/٣٤٢) .

وفي السنة ٤٥٥ توفّي صاحب آمد سعيد بن مروان ولما احتضر اتّهم أبا الفرج الخازن ، بأنّه دسّ له السمّ بآتّفاق مع نصر بن سعيد صاحب ميا فارقين ، فأمر بابي الفرج فقطع قطعاً (المنتظم ٨/٢٣٢) .

ولما توفي جمال الملك ، ابن الوزيـر نظام الملك ، في السنـة ٤٧٥ ، اتّهموا السلطان ملكشاه بـأنّه دسّ لـه السمّ ، وعينوا الـطريقة التي دسّ بهـا له السمّ ، بأنّه دُسّ له في كوز فقاع (ابن الاثير ١٠/١٢٤) .

ولما توفّي شمس الملك أبو نصر دقـاق بن تتش السلجوقي ، في السنـة ٤٩٧ ذكروا أنّ أمّه سمّتـه في عنقود عنب (وفيـات الاعيان ١/٢٩٦) ، ويـرد في الأعتراض على هذا الخبر ، ما ورد في الاعتراض على الخبر القـائل بـأنّ الخيزران دسّت السمّ لولدها الهادي العباسي .

ولمـا توفّي أميـر الجيـوش يـأنس الحـافـظي ، وزيـر الحـافظ الفـاطمي بمصر ، قالـوا إنّ الحافظ سمّـه ، ثم وصفوا طـريقه عجيبـةفي دسّ السمّ له ، فقالوا : إنّ الحافظ سمّه في ماء الإستنجاء (النجوم الزاهرة ٥/٢٤٠) .

ولمـا مات السلطان ملكشـاه في السنة ٤٨٥ ببغـداد ، زعموا إنّـه مـات مسموماً ، وأنّ السم دسّ له في خلالٍ تخلّل به .

ولما مات أسد الدين شـيركوه ، بمصـر ، على أثر تـولّيه وزارة العـاضد الفــاطمي ، في السنة٥٦٤ ذكـروا أنّـه سمّ ، وإنّ السمّ دسّ لـــه في حنـك الوزارة ، لما خلع عليه (وفيات الاعيان ٧/١٥١) .

وفي السنة ٥٧٧ توفيّ الملك الصالح اسماعيل بن نـور الدين محمـود ، صاحب حلب ، ولـم يبلغ العشرين ، وكانت علّته القولنج ، فـأدّى موتـه شابـاً إلى آتّهام الأمير علم الدين سليمان بن جندر ، بأنّـه سمّه ، وإنّـه دسّ له السمّ في عنقـود عنب ، وهـو في الصيــد ، وقـال آخــرون : إن السم دسّ لـه في خشكنانجة ، وهو في الصيد (اعلام النبلاء ٢/١١٦) .

ولما توفّي الصاحب كمال الدين محمد بن علي بن مهـاجر ، في السنـة ٦٣٤ قال الناس أنّ الملك الأشرف بعث إليه جرزة بنفسج ، وقال : هذه بركة السنـة ، فأخـذها وشمّهـا ، فأصبـح ميتاً ، يعني إنّـه وضع لـه السم في جرزة البنفسج فلما شمّها قتلته (الوافي بالوفيات ٤/١٧٢) .

ولمـا توفي الملك السعيـد بركـة بن السلطان الملك الـظاهـر بيبـرس ، بالكرك ، وهو في العشرين من عمـره ، في السنة ٦٧٨ قـال الناس إنّـه سمّ ، مع إنّه تقطّر به فرسه وهو يلعب الكرة ، فمات (الوافي بالوفيات ٢٧٤/٢) .

وفي السنـة ٧٠٣ مات القـان غازان بن أرغـون ، ملك التتار ، وكـان ما يزال شاباً فاشتهر بين الناس ، إنّه قد سّم في منديل تمسّـح به بعـد الجماع ، وكان ابن بضع وعشرين سنة لما تسلطن في السنة ٦٩٣ وأسلم في السنة ٦٩٤ وكـان يحكم على العراقين ، وفـارس ، والـروم ، وأذربيجـان ، والجـزيـرة ، وخراسان بأسرها ، وخرج عليه أخوه نـوروز ، فأسـره ، وقتله ، ثم قصد بـلاد الشام في السنة ٦٩٩ ففتـح دمشق ، ونهب وسبى وعذّب ، فهلك خـلائق من العذاب والجوع ، وعاد في السنة ٧٠٠ فـأوقع ببـلاد حلب ، وجهز قـطلو شاه بـالعساكـر ليغز وحلب ، فامتـدّ يريـد مصـر ، فكـانت الكسـرة عليـه في وقعـة شقحب في السنـة ٧٠٢ ومـات غـازان في السنـة ٧٠٣ (الـدرر الكـامنـة ٢٩٢/٣ ـ ٢٩٤) .

وفي السنة ٧١٢ مات المنصور غازي الأرتقي ، صاحب ماردين ، على حين فجأة بعد أن مرّ به الأفـرم وقراسنقـر ، فقال النـاس إنّهما سقيـاه السـمّ ، وخلفه ولده الملك العادل علي ، فاستقرّ في السلطنة سبعة عشر يوماً ومـات ، فقالوا إنّه سمّ أيضاً كما سمّ أبوه (الدرر الكامنة ٢٦/٣) .

وفي السنة ٧١٦ توفّي الأمير كستـاي ، نـائب السلطنة بـطرابلس ، وكان شـديد البـأس قويّ البـدن ، بحيث إنّه كـان يأخـذ العظم الكبيـر من الشـاة ، فيكسره بيده قطعتين ، فلما مات قالـوا إنّ السلطان الناصـر محمد بن قـلاوون سمّه في رمّانة (الدرر الكامنة ٣٥٤/٣) .

وفي السنة ٧٢٧ مات كمال الدين محمد بن علي الزملكـاني ، بمدينـة

بلبيس ، فجأة ، وكان قد تأهّب لموافاة الشام ، لتولّي القضاء بها ، فقالوا إنّـه مـات مسموماً ، لأنّه لم يكن قـد تجاوز الخمسين من عمـره (الدرر الكـامنـة ١٩٤/٤)

وفي السنة ٧٣٦ توفّي السلطان أبو سعيد بهادر ، سلطان العراق ، لمـدّة عشـرين سنة (٧١٦ - ٧٣٦) ، وكـان شابـاً لم يتجـاوز السـابعـة والثـلاثين ، فذكروا أنه سمّ في منديـل تمسّح بـه بعد الجمـاع ، وكانت هـذه التهمة سببـاً لقتل زوجته بغداد خاتون بنت الأمير جوبان .

وفي السنة ٧٣٨ مات الأمير العباسي محمد بن سليمان ، بمـدينة قوص منفيّاً ، وكان ولي عهد والده المستكفي ، فلما أمر السلطان النـاصر محمـد بن قلاوون بنفيهم إلى قوص ، مات الأمير محمـد بن سليمان بهـا وكان أبـوه لقبه القائم بأمر الله ، وكانت سنّه لما مـات ٢٤ سنة ، قيـل إنّهم دسّوا على القـائم من سمّه فمات (الدرر الكامنة ٤ /٦٧) .

وفي السنـة ٧٤٣ مـات الأميـر ايـدغمش النـاصـري ، نـائب السلطنـة بـدمشق ، فإنّـه بعد أن حضـر الموكب ، وعلّم على القصص ، وتحـادث مع بعض خواصّـه ، ثم سمع بعض الجواري يتخاصمن ، فدخـل وضرب واحـدة منهن ضربتين ، ورفع يده ليضربهـا الثالثـة فسقط ميتاً ، فقـال الناس إنّـه مات مسمـوماً ، ولمـا كان قـد لبس خلعة من السلطان قبـل موتـه بيـوم ، قـالـوا أنّ الخلعة كانت مسمومة ، وأنّه لما لبسها سرى السمّ إلى بدنه ، فمـات من ذلك (الدرر الكامنة ١ /٤٥٦) .

ولما توفّي الأميـر محمد بن الأميـر الكبيير الـطنبغا ، وكـان محمد شـابـاً جميل الصورة ، قال الناس إنّه توفّي مسمـوماً ، مـع إنّه مـات مسلولاً (الضوء اللامع ٧/١٤٧) .

وذكر صاحب الضـوء اللامـع ١ /٥٣ أن الأمير صـارم الدين ابـراهيم بن

الملك المؤيد شيخ سلطان مصر ، توفّي في السنة ٨٢٣ ، وهو في العشرين من عمره ، وكان قد فتح فتوحاً وظفر في معارك ، فاتّهم الناس أباه بأنّه هو الذي دسّ له السمّ ، مع أنّهم يذكرون أنّ الأب شدّد على الأطباء في معالجة ابنه ، وإنّه حزن عليه لما مات أشدّ حزن وجزع جزعاً عظيماً ، ولم يعش الأب بعد ابنه سوى ستّة أشهر .

وفي السنة ٨٣١ مات مريضاً بالقولنج الأمير جانبك الاشرفي ، وكان في الخامسة والعشرين من عمره ، فشاع بين الناس إنّه سقي سمّاً ، ولحقت به زوجته بعد ستّة أيّام (الضوء اللامع ٣/٥٥) .

ولما توفّي ابراهيم بن عبد الكريم القبطي المصري ، في السنة ٨٤١ وكان من رجال الدولة بمصر ، وكان شابّاً لم يبلغ الثلاثين ، إتّهم الناس طبيبه بأنّه دسّ له سمّاً (الضوء اللامع ١/٦٩) .

وفي السنة ٨٧١ مات الأمير قانم الجركسي بالقاهرة ، حين دخوله الخلاء ، وتحدّث الناس في كونه مات مسموماً ، مع إنّه قارب السبعين (الضوء اللامع ٦/٢٠١) .

وفي السنة ٩٠١ مات الأمير العثماني جم ، ابن السلطان محمد الفاتح ، وكان قد نازع أخاه السلطان بايزيد الملك ، وحاربه مرتين ، فلم يوفّق، وفرّ إلى إيطاليا ، ومات في مدينة نابولي شاباً ، فزعموا أنّ أخاه بايزيد أرسل إليه من سمّه ، بأن حلق رأسه بموسى مسموم ، فمات (شذرات الذهب ٨/٨٦ وهدية العارفين ١/٢٥٧) .

وكان الأمير خاير بك ، كافل حلب ، المتوفى سنة ٩٢٨ ، إذا آستقر بمقصورته في الجامع الأعظم ، حيث يجلس بعد صلاة الجمعة ، يتقدّم إليه الشربدار ، ومعه طبق نفيس ، مغطّى بغطاء نفيس ، يشتمل على أشربة سكّرية متنوعة ، فإذا رفع إليه شيء منها ، أخذ الشربدار قليلاً منه في وعاء

صغير ، وهو يراه ، فيشربه ، ويسمّى هذا الوعاء : **الششني** ، والمقصود بشربه الأمان من دسّ السمّ إلى ذلك المخدوم ، ومع كلّ هذا التحفّظ ، فقد روي أنّ السلطان الغوري ، دسّ لخاير بك السمّ مرّة ، على يد طبيب يهودي ، فمرض ثم عوفي (اعلام النبلاء ٥/ ٤٣٠ و٤٣١) .

وكان عيسى باشا ، بكلربكي المملكة الدمشقية ، في زمن آل عثمان ، مولعاً بدسّ السمّ للناس ، وذكر إنّه جاء مرّة إلى حلب للتفتيش ، وحاسب حسن بن عمر النصيبي ، وأراد أن يسقيه شراباً ، فامتنع من تناوله ، لاشتهار عيسى باشا بدسّ السمّ ، وقيل « وعاد بدر الدين من عنده سليماً بإذن الله تعالى » (اعلام النبلاء ٥/٥٦٥) .

ولما توفي الامير محمد بن علي بن سيفا ، حاكم طرابلس ، بمدينة قونية ، وكان شاباً ، قالوا إنّه مات مسموماً (خلاصة الاثر ٤/ ٤٨) .

وبلغ من لهج الناس بالسمّ ، إنّ داود الانطاكي ، الطبيب المشهور صاحب التذكرة توفّي بمكة في السنة ١٠٠٨ وهو شيخ ضرير على أثر تناوله عنباً أصيب من بعده بالاسهال ، فزعم بعض الناس أنّه مات من السمّ (خلاصة الأثر ٢/ ١٤٩) .

وفي السنة ١٠١٣ لما عينت الدولة العثمانية ، حسين باشا جانبولاد ، لإمارة حلب ، غضب نصوح باشا ، أمير حلب ، لأنّ حسين باشا كان خصماً شخصياً له ، وآمتنع عن تسليم ولاية حلب إليه ، وقال : أسلمها إلى عبد أسود ، ولا أسلمها إلى حسين جانبولاد ، ثم أنّ قاضي حلب سعى في الصلح بينهما ، فخرج نصوح باشا ، وزار حسين باشا في مضاربه ، فقدّم لنصوح باشا شربة سكر ، فامتنع من تناوله ، خشية أن يكون مسموماً ، فتناول حسين باشا القدح وشرب منه قليلا ، ثم قدّمه لنصوح باشا ، فشربه (اعلام النبلاء ٣/ ٢٢٩) .

ولما مات الأمير محمد أبو الذهب ، في السنة ١١٨٩ ثاني يوم انتصاره في المعركة على عمر الظاهر صاحب عكّا ، قال الناس أنّه مات مسموماً ، وإنّ الذي سمّه عمر الظاهر ، وإنّه أعطى لمن دسّ له السمّ خمسة آلاف دينار (سلك الدرر ١/٥٧) .

وفي السنة ١٢٠٦ (١٧٩١ م) قدم الباي محمد ، باي وهران ، على الأمير حسن باشا صاحب الجزائر ، فأضافه ثمانية أيّام ، وبارح الجزائر قاصداً وهران على أحسن حال ، ولكنّه مات في الطريق ، فاتّهم الأمير حسن باشا بأنّه قد دسّ له من سمّه في الطريق لأنّ الباي كان شاباً ولم يشك من مرض (مذكرات الزهار رقم ٦٣) .

وفي السنة ١٢٤٨ استولى ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ، على مدينة قونيه ، وآشتبك عندها في معركة عنيفة مع الجيش العثماني ، فكسره وأسر قائده الصدر الأعظم محمد رشيد باشا ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأعطاه صدر المجلس ليجلس فيه ، وجلس هوبقربه ، ثم أمر إبراهيم باشا بالقهوة أن تحضر ، فأبى الصدر أن يشربها ، وخشي أن تكون مسمومة ، وطلب شربة من ماء ، فأحضرت ، ولما ملأ الساقي الكأس ، تردّد في أخذها ، فمدّ ابراهيم باشا يده بسرعة ، وأخذ الكاس ، وشرب قسماً منها ، ثم قال لمحمد رشيد باشا : خذ وآشرب ولا تسيء الظنّ بنا (اعلام النبلاء ٣/٤٢٢ و٤٢٣) .

وفي السنة ١٢٦٧ أمر والي حلب بنفي عبد الله البابنسي ، وابن أخيه ، وآخرين ، إلى الأستانة ، فتوفي عبد الله في جناق قلعة ، فاتّهم الناس ابن أخيه محمد اغا ، بأنّه دسّ له السم (اعلام النبلاء ٣/٤٤٠) .

أقول : عبد الله بك البابنسي رجل أمّي ، كان شوباصيّاً عند آل الجابري ، ولما دخل ابراهيم باشا حلب ، حظي عنده ، وتقدّم لديه ، إلى أن جعله متسلّماً لمدينة حلب ، ووشوا به مرّة عند ابراهيم باشا ، فأحضره ، وسأله عن ذلك ، فقال له : أنّي دخلت خدمتك ، وليس عندي سوى أم

حمدان (زوجته) وأم عرقوب (فرسه) فهـذان لي ، وخذ البـاقي ، فضحك منه إبـراهيم باشا ، ولم يأخذ منه شيئاً ، وظل معوّلاً عليه ، ألى أن ترك حلب .

وكذلك كـان الحال، في وفـاة جمال الـدين الأفغاني في اصـطنبول في السنـة ١٣١٥ (١٨٩٧ م) فقـد زعم قـوم إنّـه سمّ ، واتّهمـوا السلطان عبـد الحميد ، بأنّه سمّه ، وعلّلوا سبب ذلك بأنّه أتّهمه بـأنّه كـان وراء مقتل نـاصر الدين شاه ، سلطان العجم ، وخشي إن بقي أن يسلبه عرشـه ، وزعم آخرون إنّه أوعز إلى الطبيب ، بأن يشخّص مرض السيد في بلعومه بأنّه سرطان ، وأمر طبيبـه الخاص ، بـأن يجري لـه جـراحـة لم تكن لهـا ضـرورة فقتله، وادّعى آخرون بأنّ السلطان أوعز إلى طبيب الأسنان الذي كان يرعى أسنان السيّد بأن يزرع في فمه السرطان ، هذا ، مع أنّ المؤرّخين أجمعوا على أنّ السيّد رحمه الله كان مسرفاً في التدخين ، مكثـراً من تناول الشـاي ، وكان قـد عبر الستين من سنيـه ، ومن كان في هـذه السنّ ، وفي مثل حـاله من الإكثـار من الشـاي والدخان ، لم يكن في إصابته بالسرطان في البلعوم ، ما يوجب العجب ، كما أنّ فشل الجراحة لم يكن بالأمر الغريب ، بل إنّه يكون غريباً حقاً لو نجحت، وعوفي من مرضه .

ولما توفّي عبد الرحمن الكواكبي بالقاهرة، في السنـة ١٣٢٠ عن خمس وخمسين سنة ، اتّهم الناس السلطان عبد الحميد بأنّه دسّ لـه السمّ، بواسـطة صحفي مصري معمّم ، ناوله إيّاه في أحـد مقاهي القـاهرة ، وعلّلوا ذلـك بأن السلطان كان قد نقم على الكواكبي تأليفه كتاب طبائع الإستبداد .

ويحصل القتل بـالسمّ ، إمّا بـدسّ السمّ في الطعـام أو الشراب ، وإمّـا بتسميم آلة القتل ، وأكثر ما يحصل ذلك في المشـرط الذي يستعمله الـطبيب للفصـد ، وقد يسمّم السيف أو الحـربة ، ليكـون مفعولهمـا أقـوى ، وعـاقبـة إصابتهما أوكد .

وكان الآيين أن يقوم صـاحب المطبـخ بين يدي ذي السلطان ، قـائماً ،

متشحاً بمناديل الغمر ، وأن يقدّم الغضائر بيده ، وأن يذوق الألوان عند تقديمه إيّاها (تجارب الأمم ٢/٣١٣)، ولا شكّ أنّ التزام صاحب المطبخ بـأن يذوق الألــوان بنفسـه ، إنّمـا يحصــل تحــرّزاً من دسّ السمّ إلى ذي السلطان في الطعام .

وأوّل من مـارس دسّ السمّ في الإسـلام، على مـا ذكـر المؤرّخــون ، معاوية بن أبي سفيان ، فإنّه لما بلغه ، أنّ الإمام عليّاً ، ولّى مالك الأشتر على مصـر ، كتب إلى دهقان القلزم ، أنّ الأشتـر قد ولي مصـر ، فإن أنت كفيتني إيّاه ، لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فلما وصل الأشتـر ، استقبله الدهقـان ، وأنزله ، وسقاه شربـة عسل جعـل فيها سمّـاً ، فلما شعـر به مـات ، فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر ، قـال عمرو بن العـاص : إنّ لله جنوداً من عسل (دائرة المعارف الإسلامية ٢/٢١١ ومروج الذهب ١/٦٠٥ والنجوم الزاهرة ١/١٠٣ـ ١٠٤ ، وأسماء المغتالين ١٥٩ـ ١٦٠ والطبري ٥/٩٥ و٩٦).

وكان معاوية دسّ إلى خالد بن المعمر السـدوسي ، بالعـراق، أن يدعـو ربيعة إلى الوثوب بعليّ بن أبي طالب ، ووعده ـ إن فعل ـ أن يولّيه خـراسان، ففعل خالد ذلك ، فلما قتل علي ، طالب خالد معاوية بخراسان ، فاضـطر أن يكتب له بعهده على خراسان ، ودسّ إليه رجلاً ، فسقاه شربةً بظهر الكوفـة ، بقصر بني مقاتل ، فقتلته (كتاب المغتالين ١٦٤).

ولما أراد معاوية الناس على البيعة ليزيـد ، ورأى أنّ اشخاصـاً لا يمكن أن يشايعوه على ما يريد ، قرّر إزاحتهم من الـطريق، وعلى ذلك ، قيـل ، أنّه دسّ السمّ لـلإمام الحسن ، ولسعـد بن أبي وقاص ، فمـاتا في أيّـام متقـاربـة (مقاتل الطالبين ٥٠ ومروج الذهب ١/٦١٩ والإمامة والسياسة ١/١٤٠).

وكان الصلح بين الحسن ومعاوية ، قد تمّ أن لمعاوية الخلافة ، مـا كان حيّاً ، فإذا مات ، فالأمر للحسن (الإمامـة والسياسـة ١/١٤٠ وتاريـخ الخلفاء

١٩١، ١٩٢)، فلما أراد أن يبايع بالعهد ليزيد من بعده، عرف أنّ ذلك لا يتمّ له ما دام الحسن حيّاً، فأرسل إلى جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي، امرأة الحسن: إنّك إن احتلت في قتل الحسن، زوّجتك من يزيد، فبعثها ذلك على سمّه (مروج الذهب ١/٦١٩).

وذكر ابن أبي الحديد، في شرح نهج البلاغة ١٦/١١ و٤٩ إنَّ الحسن توفّي في السنة ٤٩ عن سبع وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية بن أبي سفيان سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلته بالسمّ، فلك مائة ألف، وأزوّجك بيزيد، فلما مات وفى لها بالمال، ولم يزوّجها من يزيد، فخلف عليها رجل من آل طلحة، فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيّروهم، وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج.

ولما حسب معاوية، أنّه قد أمن جانب المعارضة، خطب في أهل الشام، وقال لهم: إنَّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه، ورقّ جلده، ودقّ عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت، ثم دسّ ابن أثال الطبيب، إلى عبد الرحمن، فسقاه سمّاً، فمات (كتاب المغتالين ١٦٨- ١٦٩، الأغاني ١٦/١٩٧ والطبري ٥/٢٢٧- ٢٢٨).

وفي السنة ٧٣ توفّي عبدالله بن عمر، وكان سبب موته أنّ الحجّاج أمر بعض أصحابه، فضرب ظهر قدمه بزجّ مسموم، فمات منها (الكامل لابن الأثير ٤/٣٦٣).

وممن قتل بالسم، عبيدالله بن زياد بن ظبيان، أحد فتاك العرب، سمّه سليمان بن سعيد، صاحب عمان، في نصف بطيخة، وسبب ذلك، أنّ مصعب بن الزبير كان قتل فاتي بن زياد، أخا عبيدالله، لقطعه الطريق، فحقدها عبيدالله على مصعب، حتى إذا كان يوم مسكن، في السنة ٧١، قتل عبيدالله مصعباً، وأحضر رأسه إلى عبد الملك بن مروان، فأمر له بألف

دينار ، فأبى أن يأخذهـا . وقال : إنّي لم أقتله لأجلك ، وإنَّمـا قتلته بـأخي ، ثم ضـاقت به البصـرة ، فهرب إلى عمـان ، واستجار بسليمـان ، فلمـا أخبـر بفتكه ، خشيه ، وتذمّم أن يقتله علانية، فبعث إليه بنصف بطيخة قـد سمّها ، وأكلها ، فمات ، راجع معجم البلدان ٤/ ٥٣١ .

واتّهم سليمـان بن عبدالملك ، بـأنّه دسّ السمّ لأبي هـاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . (الإمامة والسياسة ٢/ ١٠٩).

وتـوفّي الخليفة عمـر بن عبد العـزيز، في السنـة ١٠١، وقيـل أنّ بعض المتلاعبين من أهل بيته ، حنقوا عليه ، فسقوه السمّ . (خطط الشام ١/ ١٥٦ الأعلام ٥/ ٢٠٩).

واتّهم يـزيد بن عبـد الملك ، نفراً بـالخلع والخروج ، فـأخـذهـم عمـه محمـد بن مـروان ، وسجنهم ، ودسّ لهم السمّ ، فمـاتـوا جميعـاً (الإمـامـة والسياسة ٢/ ١٠٣ـ ١٠٤).

وكان عمر بن هبيرة أمير العراق وخراسـان ليزيـد بن عبد الملك ، وجّـه إلى خـراسان سعيـد الحرشي عـاملاً عليهـا ، ثم بعث إليه جميـل بن عمـران مفتّشاً ومراقباً لحسابات الديوان ، فساء ذلك سعيداً ، وسمّ بطّيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها ، فمرض وتسـاقط شعره ، وعـاد إلى ابن هبيرة ، فعـولج حتى صحّ . (الطبري ٧/ ١٥ـ ١٦).

وفي السنة ١١٩ قدم ابـو الربيـع سليمان بن مـوسى ، ، على هشام بين عبد الملك ، فسقاه طبيب لهشام شربةً، فقتله ، فأمر هشام أن يسقى الـطبيب من الدواء نفسه ، فقتله (الاعلام ٣/ ١٩٩).

واعتقـل أبـو مسلم الخـراسـاني ، عبـدالله بن معـاوية بن عبـدالله بن جعفر ، وحبسه ، وقيـل إنّه دسّ إليـه سماً ، فمـات منه . (مقـاتل الـطالبيّين ١٦٩) .

وفي السنة ١٤٠ كان الصميل بن حاتم ، رأس مضر ، محبوساً بقرطبة ، في سجن عبد الرحمن الداخل ، فسمّ ومات ، وأدخل عليه مشيخة مضر ، فوجدوه ميتاً ، وعنده كأس نقل ، لإيهام الناس بأنّه مات وهو سكران ، فقالوا : يا أبا جوشن ، إنَّا لنعلم أنّك ما شربت ، ولكن سقيت (ابن الأثير ٥/٤٩٩).

وفي السنة ١٤٢ نكث أصبهبذ طبرستان ، العهد الذي بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده منهم ، فلما انتهى الخبر إلى المنصور سيّر إليه قوّاداً حصروه في حصنه ، فلما أحتلّ المسلمون الحصن ، عمد الأصبهبذ ، إلى سمّ شربه فمات (ابن الأثير ٥/٥١٠).

ولما حاول المنصور إقناع عيسى بن موسى ، بأن يتنازل عن ولاية العهد لولده المهدي ، ولم يقنع ، دسّ إلى عيسى بعض ما يتلفه (أي السمّ) فنهض من مجلس المنصور فقال له المنصور : إلى أين يا أبا موسى ؟ قال : أجد غمزاً يا أمير المؤمنين ، قال : ففي الدار إذن ، فقال : الذي أجده أشدّ مما أقيم معه في الدار ، قال : فإلى أين ؟ قال : إلى المنزل ، ونهض المنصور في أثره متفزعاً له ، وبلغت العلّة من عيسى كلّ مبلغ حتى تمعّط شعره ، ثم أفاق من علّته هذه ، فقال فيه يحيى بن زياد :

أفلت من شربة الطبيب كما | أفلت ظبي الصريم من قتره

راجع التفصيل في الطبري ٨/١١-١٤ والعيون والحدائق ٣/٢٥٩-٢٦٠).

وذكر أنّ المنصور، لما حبس آل الحسن ، كان يسقيهم مقادير من السمّ ، وهم في محبسه ، ليعجّل بموتهم (الطبري ٧/ ٥٤٩).

وذكر أن المنصور قتل أبا حنيفة بالسمّ ، دسّه إليه وهو في حبسه ، إذ كان أبو حنيفة ، قد نصر إبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتيل باخمرى ، وظفر المنصور بكتاب بعث به أبو حنيفة إلى إبراهيم لما ظهر ، فحبسه وسقاه السمّ ، فمات (مقاتل الطالبيّين ٣٦٧-٣٦٨ وتاريخ الخلفاء ٢٥٩).

وسقى المنصور أبا جهم بن عطيّة ، شربة من سويق اللوز ، دسّ له فيها السمّ ، فقتله بها ، فقال الشاعر :

تجنّب سويق اللوز لا تشربنّه فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

أقول: أبو الجهم بن عطيّة ، من أوائل الدعاة العباسيين ، وكان مستشار أبي العباس السفّاح ، ووزيره، راجع أخباره في الطبري ٧/٣٥٦-٤٩٢).

قال صاحب الفخري (ص ١٥٦): كان في نفس المنصور أمور من أبي الجهم بن عطية ، لما كان وزيراً لأخيه السفاح ، فلما استخلف المنصور ، سمّ أبا الجهم في سويق اللوز ، فلما أحسّ بالسمّ ، قام ليذهب ، فقال له المنصور ، إلى أين ؟ قال : إلى حيث بعثت بي يا أمير المؤمنين .

وولّى المنصور محمد بن أبي العبّاس السفاح ، البصرة ، ووجّه معه بالمجّان ، لكي يبغضه للناس ، ثم أمر طبيبه الخصيب ، بأن يدسّ له السمّ ، فهيّأ له سمّاً ، ثم انتظر أن يشكو من علّة ، فشكا من حرارة ، فسقاه السمّ الذي هيّأه له ، فكتبت أم سلمة وهي أم محمد بن العباس ، إلى المنصور ، تعلمه أنّ الخصيب قتل ابنها ، فأمر المنصور بحمله اليه ، وضربه ثلاثين سوطاً، وحبسه أيّاماً ثم خلاّه ، أما زوجة محمد ، وهي البغوم بنت علي بن الربيع ، فإنّ زوجها لما قضى ، صاحت : واقتيلاه ، تتّهم المنصور بقتله ، فضربها رجل من الحرس على عجيزتها ، فوثب عليه غلمان محمد فقتلوه (الطبري ٨/ ٢٥ و ٨٦) .

وذكر أنّ المهدي العباسي، دس السمّ لعلي بن العباس بن الحسين . (مقاتل الطالبيّين ٤٠٣) .

وروى الطبري في تاريخه ٨/ ١٦٩ من أسباب موت المهدي ، انّ جارية من جواريه، بعثت إلى ضرّة لها بلبأ فيه سمّ ، فدعا به المهدي ، فأكل منه وهو لا يدري ، فمات، وروي غير هذا ، وهو أنّ المهدي كان جالساً في

علّيّة ، وكانت جاريته حسنة ، قد عمدت الى كمثراتين كبيرتين، فسمّت واحدة منهما ، في أسفلها ، وردّت القمع فيها ، وبعثت بها إلى جارية للمهدي كان يتحظّاها ، تريد قتلها ، ورأى المهدي الكمثرى ، فتناول واحدة ، وأكلها ، وكانت المسمومة (الطبري ٨/١٦٩).

وذكر أن الهادي ، دسّ السمّ للربيع بن يونس الحاجب ، وسبب ذلك أنّ الربيع كان قد أهدى للمهدي جارية اسمها أمة العزيز، فائقة الجمال، فلما رأى المهدي جمالها ، قال : هذه لموسى أصلح ، ووهبها له ، فكانت أحبّ الخلق إليه ، وولدت له بنيه الأكابر ، فبلغه أنّ الربيع يقول : ما خلوت بامرأة قطّ ، أطيب خلوة من أمة العزيز ، فدعاه ، فتغدّى عنده ، ثم سقاه في الشراب سمّاً، فانصرف، ومات من ليلته، وأمة العزيز هذه، تزوّجها الرشيد من بعد الهادي ، وهي أم علي بن الرشيد (كتاب المغتالين ١٩٦-١٩٧ والطبري ٨/٢٢٨).

وذكرت خالصة ، قهرمانة الخيزران ، للعباس بن الفضل بن الربيع ، أنّ الهادي بعث إلى أمّه الخيزران بأرزة، وقال : اشتهيتها ، فأكلتها ، فكلي منها ، فقالت لها خالصة : أمسكي حتى ننظر فإني أخاف أن يكون فيها شيء ، فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيت الأرزّة ؟ قالت : وجدتها طيّبة، فقال : لِمَ لم تأكلي منها ، والله ، لو أكلتِ كنتُ أسرحتُ منكِ ، فما أفلح خليفة له أمّ . (المحاسن والمساوىء ٢/١٩٤).

وقيل في موت الهادي ، إنّ أمه الخيزران ، دسّت له السم (تاريخ الخلفاء ٢٨٠). وقد أسلفنا رأينا في تهافت هذه التهمة .

وبعث هارون الرشيد ، إلى إدريس العلوي ، أبي الأدارسة ، مولى المهدي الشماخ اليمامي ، فادّعى أنّه متطبّب ، وأنّه من أولياء العلويّين ، فأنس به إدريس ، واطمأنّ إليه ، وأقبل الشماخ يريه الإعظام له، والميل اليه ،

فنزل عنده بكلّ منزلة ، ثم إنَّ إدريس شكا علّة في أسنانه ، فأعطاه سفوفاً مسموماً قاتلاً ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر لليلته ، فلما استنّ به إدريس قتله، وطلب الشماخ ، فلم يظفروا به، وعاد الشماخ إلى الرشيد فولّاه بريد مصر ،وأجازه (الطبري ٨/١٩٩ وابن الأثير ٦/٩٣، وكتاب المغتالين ١٩٧ وتاريخ الفرقة الزيدية ١٧٧ والوافي بالوفيات ٨/٣١٨) .

وأدخل يحيى بن عبدالله العلوي على الرشيد ، مكبّلاً في الحديد ، فقال الرشيد متضاحكاً : وهذا يزعم أيضاً أنا سممناه، فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هوذا لساني ، وأخرج لسانه مثل السلق ، فتربّد هارون ، فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لنا قرابةً ورحماً ، ونحن وأنتم أهل بيت واحد ، علام تحبسني وتعذّبني ؟ (مقاتل الطالبيّين ٤٨٣ والطبري ٨/٢٤٤- ٢٤٥) .

وفي السنة ١٨٣ توفّي الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، في حبس السندي بن شاهك ، بأمر الرشيد ، وقيل أنّه توفّي مسموماً . (وفيات الأعيان ٥/٣١٠) .

وروى صاحب كتاب الفخري (ص ١٩٦) كيفية وفاة الإمام موسى الكاظم ، في السنة ١٨٣ بالسمّ ، في حبس الرشيد ، قال : كان قد بلغ الرشيد أنّ الناس يحملون إلى الإمام موسى خمس أموالهم ، يعني اعترافاً منهم بصحة إمامته ، وفي ذلك نقض لما يدعيه الرشيد من الإمامة، فلما كان الرشيد بالحجاز قبض على الإمام موسى ، وأخذه إلى بغداد، فحبسه بدار السندي بن شاهك ، ثم أمر به، فقتل قتلاً خفياً ، يعني بالسمّ ، ولما مات ، وكان الرشيد بالرقة ، ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ، ليشاهدوه ، إظهاراً إنّه قد مات حتف أنفه .

أقول : يكاد المريب أن يقول خذوني .

وفي السنة ١٩٩ خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي ، وكان القيّم بأمره في الحرب أبو السرايا ، ومات محمد بن إبراهيم فجأة ، فاتّهم أبو السرايا بأنّه سمّه ، لأنّه رأى أن لا امر له معه ، وأقام مكانه غلاماً حدثاً (الطبري ٨/٥٢٩) .

واتّهم المأمون ، بأنّه دسّ السمّ لولّي عهده الإمام الرضا (مقاتل الطالبيّين ٥٦٧) والمأمون أكرم خلُقاً ، وأعلى نفساً ، وأتقى لله ، من أن يرتكب هذا الوزر .

دخل المأمون إلى الإمام الرضا ، يعوده ، فوجده يجود بنفسه ، فبكى ، وقال : أعزز عليّ يا أخي ، بأن أعيش ليومك ، وقد كان في بقائك أمل ، واغلظ ما عليّ من ذلك ، أنّ الناس يقولون أنّي سقيتك سمّاً ، وأنا والله من ذلك بريء ، فقال له الرضا : صدقت يا أمير المؤمنين، أنت ـ والله ـ بريء (مقاتل الطالبيّين|٥٧١ـ ٥٧٢).

ولما انتصر جيش المأمون على أبي السرايا ، أخذ محمد بن العلوي ، وحمل إلى المأمون بخراسان ، فأقيم بين يديه ، ثم صاح الفضل بن سهل : اكشفوا رأسه ، وأسكن في دار على سبيل الإعتقال والتوكيل، ثم دسّت إليه شربة، فمات (مقاتل الطالبيّين|٥٤٩).

وذكر صاحب كتاب الفخري ، أنّ الأمير طاهر بن الحسين ، أمير خراسان للمأمون ، مات بالسمّ، وأنّ الذي دسّ له السمّ، وزير المأمون احمد بن أبي خالد الأحول ، وذكر لذلك سبباً ، وهو إنَّ المأمون أنكر على طاهر أمراً ، فكتب إليه يتهدّده، فأجاب طاهر بجواب غليظ ، وقطع الدعاء للمأمون ثلاث جمع، فقال المأمون لوزيره أحمد بن أبي خالد : أنت الذي ضمنت طاهراً ، فعليك أن تتدارك أمره ، فقال له أحمد : يا أمير المؤمنين طب نفساً ، فبعد أيّام يأتيك البريد بهلاكه ، وكذلك حصل (الفخري ٢٢٤).

وفرّ محمد بن القاسم الصوفي ، العلوي ، من سجن المعتصم ، واستتر أيّام المعتصم والواثق ، ثم أخذ في أيّام المتوكّل ، فحمل إليه ، فحبس ، ويقال إنّه دسّ إليه سمّاً ، فمات في حبسه (مقاتل الطالبيّين ٥٨٨).

وقتل سعيد الحاجب ، بالسم موسى بن عبدالله بن موسى بن الحسن بن علي ، بناحية زبالة ، وهو في طريقه الى العراق (مروج الذهب ٢ / ٤٥٩).

وقتل أحمد طولون ، صاحب مصر ، الحسن بن مخلد ، بأن دسّ له السمّ في شربة وهو في حبسه ، فقتله بها . وسبب ذلك إنّ الحسن بن مخلد ، كان معطّلاً ببغداد ، فكتب صاحب الخبر بمدينة السلام ، إلى الوزير اسماعيل بن بلبل ، وزير المعتمد ، إنّ مغنّية غنّت عند الحسن بن مخلد ، بشعر ذكرت فيه تقلّب الأيّام ، فكتب الوزير إلى الخليفة ، بأنّ الحسن يتربّص به الدوائر ، فأمر المعتمد بنفيه إلى مصر ، فلما قدم على ابن طولون مصر ، تناهى في برّه وإكرامه ، ونادمه ، وشاوره في خلع طاعة المعتمد ، فنهاه ، وشاوره في قطع ما يحمل من مصر ، فنهاه ، فقام في نفس ابن طولون إنّه دسيس لبلاط الخليفة عليه ، فأمر بالقبض عليه، وحبسه، ثم دسّ إليه السم في شربة ، في محبسه ، فقتله بها ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٨ ص ٣٠ ـ ٣٤ رقم القصة ٨/ ٩ و١٠ .

ولما مات المعتمد في السنة ٢٧٩ ذكروا إنّه مات مسموماً ، واكتفى صاحب تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٧) بالقول إنّه سمّ، أمّا صاحب مروج الذهب ٢ /٤٩٣ فإنّه أفاض في الحديث ، فقال : كان المعتمد قد أمر بأن تصلح له رؤوس حملان برقابها ، فقدّمت ، وكان معه على المائدة رجل من ندمائه وسمّاره ، يعرف بقف الملقم ، وآخر يعرف بخلف المضحك ، وكان الملقم

أوّل من ضرب بيده ألى الرؤوس ، فكان ينتزع الأذن ويلفّها في الرقاق ، ويغمسها في الاصباغ ، ثم يهوي بها إلى فيه ، ممعناً في الأكل ، وأمّا المضحك فإنّه كان يقتلع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وأتمّوا يومهم ، فأمّا الملقم صاحب اللقمة الأولى فإنّه تهرّأ في الليل ، وأمّا المضحك فإنّه مات قبل الصباح ، وأمّا المعتمد ، فإنّه أصبح ميتاً ، ولحق بالقوم ، وروى عن سبب وفاة المعتمد رواية أخرى ، وهي إنّه سمّ في شرابه بأن وضعوا فيه نوعاً من السمّ يقال له : البيش ، يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت .

وتناول اثنان من جلساء المعتضد ، لقماً من كرنبيّة مسمومة ، فقتلتهما ، وتفصيل ذلك ، أنّ المعتضد أمر في علّته التي مات فيها ، وقبل موته بأيّام يسيرة ، بأن يصنع له سمّ يقتل به جماعة ممن كان في الحبس ، لم يرد قتلهم قتلة ظاهرة ، لسياسة رآها ، وفعل ذلك ، وجيء بالسمّ إلى حضرته ، فأراد تجربته قبل أن يقتل به من أراد قتله ، فطرح في كرنبيّة ، وأحضرت في طيفوريّة ، وهو مفكر فيمن يطعمه منها ، وعلى من يجرّب السمّ الذي فيها ، إذ دخل محمد بن أحمد نفّاطه وابن أبي عصمة ، فقيل لهما : إنّ الخليفة يريد أن يأكل من ذلك اللون ، وهو محجم عنه للحمية ، فقالا : ما أحسن هذه الكرنبيّة ، فلو أكل مولانا منها لقمة ، رجونا أنّها لا تضرّه ، وتجاوزا ذلك إلى أن أكلا منها لقماً ، كأنّهما قصدا آستنهاض شهوته ، وتحريكها بأكلها ، فلم يمكنه أن ينهاهما لئلّا يخرج السرّ ، وأمسك عنهما ، ومضيا إلى منازلهما ، فماتا من يومهما ، وبلغ الخليفة خبرهما من الغد ، وقد اشتدّت علّته ، فعلم صحّة السمّ ، وأمسك لسانه أن يأمر في معنى من أراد أن يأمر في معناه ، بإطعامه من ذلك السمّ الذي عمل له ، ومات المعتضد بعد ذلك بثلاثة أيّام ، ومضى أولئك بالعرض ، وسيء الاتفاق ، وسوء المقدار ، وكأنّه عمل لهما . لا لغيرهما ، وسلم من عمل له وقصد به ، ونجا (الهفوات النادرة ٢١٨) .

ودسّ الوزير القاسم بن عبيدالله، وزير المكتفي، السمّ لابي العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، في تفاحة أشمّه إيّاها ، فأتلفته ، وسبب ذلك إنّ القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، بلغه أنّ الحسين بن عمرو النصراني ، الذي كان كاتباً للمكتفي لما كان وليّاً للعهد ، أخذ يسعى في صرف القاسم عن الوزارة ، وحيث إنّه ذمّي لا يستوزر ، فهو يطلب استيزار ابراهيم بن حمدان الشيرازي ، كاتب الحسين ، على أن تكون الدواوين بأجمعها في يد الحسين ، وعلى أن لا يخرج الوزير ابراهيم عن رأيه وإشارته ، فآضطرب القاسم ، وآستشار ابن الفرات ، فقال له : عندي ما يكفيك ذلك ، وهو كتاب بخطّ الحسين ، كتبه لما خرج مع المكتفي إلى بعض الوجوه ، يذكر فيه العظائم عن المكتفي ، عن بخله ، وسقوط نفسه ، وعيوبه ، وأعطاه الكتاب ، فأوصله القاسم إلى المكتفي ، فأذن له في القبض على الحسين بن عمرو وعلى كاتبه إبراهيم بن حمدان ، فقبض عليهما ، وأرسلهما إلى الأهواز ، حيث قتلا هناك ، وشكر القاسم أبا العباس أعظم شكر ، وسأله عن كيفيّة حصوله على الكتاب ، فأخبره بأنّه وجد ظهوراً في دكان نطّاف ، يلفّ بها ما يبيعه من الناطف ، والظهور : الأوراق اتي سوّدت بطونها بالكتابة ، وبقيت ظهورها ، وإنّه بعث غلامه إلى النطّاف ، فآشترى الناطف ، ولفّه في هذا الظهر ، فلما قرأه احتفظ به ، فلما انصرف ابن الفرات ، قال الكاتب ابن فراس ، وهو من المعرقين في الدسّ ، قد بان لك مقدار شرّ آبن الفرات ، وهو عدوّ مندسّ بين ثيابك ، ولعلّه قد تحفّظ عليك بما هو أكثر من هذا ، فآقبل قولي ، وعاجله بسمّ تدسّه إليه ، فوقع ذلك في نفس القاسم ، حتى دسّ له السمّ في تفاحة ، لزيادة التفصيل راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي تحقيق المؤلف ج ٣ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ رقم القصة ٣/١٧١ .

ودسّ الوزير القاسم بن عبيدالله ، السمّ ، للشاعر ابن الرومي ، في

خشكنانجة ، أو لوزينجة ، وقيل في سبب ذلك ، إنَّ ابن الرومي كان منقطعاً إلى الوزير القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وكان القاسم مغرماً بشعره ، مستطرفاً له ، محسناً إليه ، فقال له أبوه : أريد أن أرى ابن روميّك هذا ، فأحضره في مجلس أبيه ، فلما انفضّ المجلس ، قال لأبيه : كيف رأيته ؟ قال : رأيت ما ساءني ، رأيت رجلاً ، سقيم العقل ، صحيح الشعر ، ومثل هذا لا تؤمن بوادره ، وأقل غضبة يغضبها ، تبقي في أعراضنا ما لا يغسله الدهر ، والرأي إبعاده ، قال : وكيف ذلك بعد اتصاله ؟ أخاف أن يظهر ما أضمره ، قال : يا بنيّ ، اتبع فيه قول أبي حيّة :

يقلن لها في السرّ: هديك لا يرح   صحيحاً وإن لم تقتليه فألممي

فأخبر القاسم : الكاتب ابن فراس بقول أبيه ، وكان ابن فراس من أشد الناس عداوة لابن الرومي ، فقال : إنّما أشار عليك باغتياله ، وأنا أكفيك أمره ، فسمّ له لوزينجة وقدّم له الجام ، وهي في أعلاه ، فلما تناولها أحسّ بالموت ، ونهض قائماً ، فقال له : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى حيث ارسلتني ، فقال : آصرفوه ، فقد غلب عليه السكر ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ رقم القصة ١٧١ ، وراجع وفيات الأعيان ٣/٣٦١ وكتاب الملح والنوادر للحصري ٢٤١ .

وفي السنة ٢٩٠ أظهر علي بن الفضل بن أحمد القرمطي ، باليمن ، الدعوة للمهدّي المنتظر ، فتبعه كثير من القبائل ، وآستولى على اليمن ، جبالاً وتهائم ، ثم ادّعى النبوة ، فكان المؤذّن عنده يؤذّن : وأشهد أنّ علي بن الفضل رسول الله ، ثم امتّد به عتوّه ، فأصبح يكتب إلى عمّاله : من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، إلى عبده فلان ، ومات مسموماً ، سمّه في السنة ٣٠٣ طبيب بغدادي اسمه شريف ، بعد أن حكم ١٣ سنة (الاعلام ٥/١٣٥) .

وفي السنة ٢٩٥ مات القائد إسحاق بن أحمد الساماني ، بالموصل ،

مسموماً ، سمّه غلامه ، وتزّوج امرأته ، واستولى على ماله . (ابن الاثير ٧/٨ و٨) .

وفي السنة ٢٩٦ ولي إفريقية أبو مضر زيادة الله بن الأغلب ، بعد قتل أبيه ، فقتل عمّه إسحاق ، وقتل من قدر عليه من أعمامه وإخوته ، فانتقضت حاله ، وخرج عن إفريقية بأمواله وأتباعه إلى مصر ، ثم إلى فلسطين ، ثم عاد إلى مصر ، فسمّه بعض غلمانه ، فسقط شعر لحيته ، ومات . (ابن الأثير ٢٣/٨) .

وفي السنة ٣١١ عزل المقتدر وزيره حامد بن العباس ، وأعاد أبا الحسن بن الفرات للوزارة ، وأسلم حامد ، للمحسّن بن الفرات ، ابن الوزير ، فعذّبه المحسّن عذاباً شديداً ، ثم أحدره إلى واسط ، وأمر من سمّه في بيض مشويّ ، فمات (ابن الاثير ١٤١/٨ و١٤٢) .

وقبض الوزير أبو الحسن بن الفرات ، علي إبراهيم بن عيسى ، أخي الوزير علي بن عيسى ، وصادره ، فأدّى بدل المصادرة ، فصادره مصادرة ثانية ، ثم اسلمه إلى المحسّن ، فأوقع به مكروهاً شديداً ، وبعث به إلى البصرة ، فسمّه عاملها . (الوزراء للصابي ٥٠) .

وفي السنة ٣٢٣ قبض الراضي العباسي ، بإغراء من وزيره ابن مقلة ، على ولدي ياقوت ، محمد والمظفّر ، واعتقلهما ، ومات محمد في السجن بنفث الدم ، فاتّهم أخوه المظفّر ، ابن مقلة ، بأنه قتل أخاه بالسّم ، ولما أطلق من سجنه ، سعى في مكروه ابن مقلة ، وحرّك عليه الجند ، فشغبوا على الوزير ، وهاجموا داره ، ونقبوا عليها من ظهرها ، ودخلوها ، وفي السنة ٣٢٤ حضر ابن مقلة دار الخليفة ، فقبض عليه المظفّر بن ياقوت واعتقله (ابن الأثير ٣٠٥/٨ ـ ٣١٤) .

وفي السنة ٣٤١ مرض المنصور العبيدي ، صاحب إفريقية بالسهر

والأرق ، فأحضر له طبيب شاب اسمه ابراهيم ، فركّب له عقاقير ، أدمن شمّها ، فنام ، ومات وهو في نومه ، فأراد أصحابه قتل إبراهيم الطبيب ، فقيل لهم : ماله ذنب ، وإنّما داواه بما ذكره الأطباء . (وفيات الاعيان ١/ ٢٣٦) .

وفي السنة ٣٥٩ مات أبو عبدالله محمد بن الحسن الحسني الملقّب بالمهدي ، والمعروف بآبن الداعي ، قيل إنّه توفّي مسموماً في هوسم ببلاد الديلم (الاعلام ٦/ ٣١١ و ٣١٤) .

وفي السنة ٣٦٢ قبض بختيار البويهي على وزيره أبي الفضل الشيرازي ، واسلمه إلى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلويّ ، وسمّ بأن سقي ذراريح في سكنجين ، فتقرّحت مثانته ، ومات . (تجارب الأمم ٢/ ٣١٣ والمنتظم ٧/ ٦٠) .

وكان ألفتكين التركي ، مولى معزّ الدولة ، قد فارق مولاه بختيار ، وسار في طائفة من الجند إلى دمشق ، فاستولى عليها ، وحاربه جيش الفاطميّين فأسر ، فأكرمه العزيز الفاطمي ، وأنزله في قصره ، فوضع عليه الوزير من سمّه في شراب ، فمات ، فحزن عليه العزيز ، وآتّهم الوزير بسمّه ، وحبسه نيفاً وأربعين يوماً ، وكان ذلك في السنة ٣٦٥ (التكملة ٢٢٨ وابن الأثير ٨/ ٦٦١) .

أقول : كان الفتكين ، القائد التركي ، مولى معزّ الدولة ، قد أرمضته معاملة بختيار بن معزّ الدولة ، فترك العراق ، ومعه طائفة صالحة من الأتراك ، ووصل إلى حمص ، ثم إلى دمشق ، فنزل بظاهرها ، وكانت دمشق في فتنة ، فخرج أشراف دمشق وشيوخها ألى الفتكين ، وطلبوا منه أن يقيم عندهم ويحكم دمشق ، فأجابهم لذلك ، واستحلفهم على الطاعة ، ودخل البلد ، ونفى عنه أهل العبث والفساد ، فأصلح حال البلد ، ولما توفّي المعزّ ، قصد الفتكين صيدا فآستولى عليها وعلى عكّا وطبرية، فسيّر إليه

العزيز الفاطمي جيشاً بقيادة جوهر فاتح مصر وباني القاهرة ، فحصر جوهر دمشق ، فكاتب الفتكين ، الحسن بن أحمد القرمطي ، فحضر لمعاونته ، فآنسحب جوهرمن حصار دمشق ، فاتّفق الفتكين والحسن القرمطي ، وحصرا جوهر ، فاجتمع جوهر بالفتكين ، وقال له : قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام ، وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة ، وإريقت فيها الدماء ، ونحن المؤاخذون بها عند الله ، فراقب الله تعالى ، وراجع نفسك ، فإنّي أدعوك إلى الصلح ، فقال له ألفتكين: أنا واثق بك ، لكنّي غير متمكّن من المصالحة بسبب صاحبي القرمطي الذي الجأتني أنت إلى مداراته والقبول منه ، فقال له جوهر : إذن ، أريد منك أن تمنّ عليّ ، وعلى من معي من المسلمين ، وتذمّ لنا ، وأعود إلى صاحبي شاكراً لك ، فأجابه إلى ذلك ، وترك جوهراً وجيشه يسيرون عائدين إلى مصر ، ولم يتعرّض لهم أحد ، ثم أن العزيز بالله الفاطمي قصد الشام بجيش لجب ، فآقتتل مع الفتكين والقرامطة ، وفي خلال المعركة ، بذل العزيز لألفتكين الرغائب إن آنحاز إليه ، ووعده بقيادة الجيش الفاطمي ، فترجّل بين الصفّين ، وقبل الأرض للعزيز ، وقال للرسول : قل لأمير المؤمنين ، لو تقدّم هذا القول لسارعتُ ، أمّا الآن فلا يمكن إلاّ ما ترى ، وعاد إلى الاشتراك في المعركة ، ولما ربح العزيز الحرب ، وآنفلّ جيش ألفتكين والقرامطة بذل العزيز لمن يأتيه بألفتكين مائة ألف دينار ، وكان ألفتكين قد لجأ إلى المفرج بن دغفل الطائي ، فأخبر العزيز بأنّه عنده ، فأعطاه مائة ألف دينار ، وتسلّمه منه ، فأكرمه ، وأحسن إليه ، وأخذه إلى مصر ، وأنزله معه في قصره ، ثم مات ، فاتّهم العزيز وزيره ابن كلس بأنّه سمّه بأن سقاه شيئاً (ابن الأثير ٨/٦٥٦ ـ ٦٦١) .

وقتل المنصور بن أبي عامر ، في قرطبة ، هشاماً ، ابن أخي المصحفي الحاجب ، في السنة ٣٦٦ بأن سمّه في ماء شربه (نفح الطيب ٣/ ٩٠) .

وأنفذ عضد الدولة ، إلى مكة ، أحمالاً ، فسلبها الأعراب ، ولما قيل

لهم إنّها للملك عضد الدولة ، سبّوه ، فتقدّم عضد الدولة بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة ، وبعث بها صحبة أمتعة ، ومرّوا بها أمام اولئك الأعراب ، فعاودوا سلبها ، وأكلوا منها ، فهلكوا (ذيل تجارب الأمم ٣/٥٧) .

وفي السنة ٣٧٠ دس وزير رومي لابن الشمشقيق السمّ فقتله . (ذيل تجارب الامم ٣/١٣) .

وفي السنة ٣٧٣ التجأ حسام الدولة أبو العباس تاش ، حاجب نوح ين منصور الساماني ، من خراسان إلى فخر الدولة بالريّ ، فقلّده جرجان ، ومات بها في السنة ٣٧٧ فقال الناس : إنّه مات مسموماً . (ذيل تجارب الأمم ٢٥ و٩٦ وابن الاثير ٩/١٠ ـ ١٢ و٢٤ ـ ٢٩) .

وفي السنة ٣٧٩ قتل أبو الحسن الكواكبي ، أبا نصر بن كعب ، بالسمّ ، سقاه دفعتين ، فلم يؤثّر فيه ، وسقاه الثالثة ، فنفخ وجهه ، ثم قتله بالسيف . (ذيل تجارب الأمم ٣/١٥٧) .

وفي السنة ٣٨١ عمد أحد الاشرار ، وهو خلف بن أحمد ، المتغلّب على سجستان ، إلى حيلة ذات طرفين ، إذ كان يرغب في إعلان الحرب على جاره صاحب كرمان ، وأن يتخلّص من القاضي أبي يوسف البزّاز من رعيته ، لأنّه كان مسموع الكلمة في سجستان ، فأوفد القاضي إلى صاحب كرمان ، وبعث معه رجلاً ، وأوصاه أن يسّم القاضي وهو في ضيافة صاحب كرمان ، فسمّه في قطائف ، واتّهم خلف ، صاحب كرمان بقتله ، وأعلن عليه الحرب ، للتفصيل راجع ذيل تجارب الأمم ١٨٩ ـ ١٩٨ ، وراجع ترجمة خلفاهذا في هذا الكتاب ، في الباب الحادي عشر (القتل) الفصل الأول (القتل بالسيف) القسم الثالث (القتل غدراً) .

وفي السنة ٣٨٢ قتل أبو الحسن المعلّم ، وزير شرف الدولة ، وكان من شرار الخلق سقي السم دفعتين فلم يعمل فيه ، فخنق بحبل الستارة (ذيل تجارب الأمم ٢٤٤) .

وفي السنة ٣٩٢ توفّي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بالاندلس ، فخلفه ولده عبد الملك الملقب بالمظفّر ، وحكم سبع سنين ، وكان مرضي السيرة ، وذكر أنّ سبب موته ، أنّ أخاه عبد الرحمن ، سمّه في تفاحة ، قطعها بسكين كان قد سمّ أحد جانبيها ، وناول أخاه ما يلي الجانب المسموم ، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح ، فأكله بحضرته ، فاطمأنّ المظفّر ، وأكل النصف الآخر ، فمات وكان ذلك في السنة ٣٩٩ (ابن الاثير ٦٧٧/٨ و٦٧٨) .

واتّهمت السيدة أمّ مجد الدولة ، ابا العباس الضبّي ، وزير مجد الدولة ، إنّه قتل ابن أخيها بالسّم ، فهرب منها إلى بدر بن حسنويه ، فدسّ أبو بكر بن رافع وواطأ أحد غلمان الضبّي ، فسقاه سماً كان فيه حتفه في السنة ٣٩٧ . (معجم الادباء ٧٣/١ و٧٤) .

وكان أبو عبد الله بن الحيري من شرار الخلق ، وكان يكتب للحسن بن المسيب ، بالموصل ، فأراد أن يقتل الحسن بسمّ يطعمه إيّاه ويهرب ألى الشام ، فدعاه إلى وليمة ، وقدم إليه بطّيخاً مسموماً ، فقال له الحسن : تقدّم يا أبا عبد الله وكل ، فاحتج بأنّه صائم ، وخشي أن يشتبه به الحسن ، فقال لأبي الفتح ابنه : إجلس وكل مع الأمير ، فجلس ابنه ، وأكل ، ومات ، وتأخر الحسن قليلاً ومات . (تاريخ الصابي ٤٤٦/٨) .

وفي السنة ٤١٤ مات الشاعر محمد بن عبدالله القفصي الضرير ، الملقب بالناجحون ، وكان هجّاءً ، دسّ له السم في الطعام بعض من هجاه ، فقتله ، وكان يعلّم الصبيان ، ولا يصبر عن النبيذ ، قال أحد من رآه ذات يوم وهو سكران ، يقول للصبيان : (الوافي بالوفيات ٣٤٢/٣).

يا فراخ المزابل ونتاج الأراذل
اقرأوا لاقرأتم غير سحر وباطل
روّح الله منكمُ عاجلاً غير آجل

وفي السنة ٤١٦ ثار أهل قرطبة على خليفتهم محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر ، الملقّب بالمستكفي ، وهو والد ولّادة الشاعرة ، صاحبة ابن زيدون ، وكان المستكفي قد استقرّ في الخلافة ستّة عشر شهراً ، وكان غاية في التخلّف ، وقبيح الذكر ، فطرده القرطبيون ، وضجر منه أصحابه ، فشوى له أحدهم دجاجة ، ووضع فيها شيئاً من البيش (حشيش سام - مفردات ابن البيطار ١/١٣٢- ١٣٣). فأكلها ومات (المعجب للمراكشي ١٠٧- ١٠٨ وابن الأثير ٩/٢٧٧- ٢٧٨).

وفي السنة ٤١٩ توفّي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهي ، صاحب كرمان ، وكان ظالماً سيّء السيرة ، تكرهه الرعيّة ، وكان إذا شرب ضرب أصحابه ، وضرب يوماً وزيره مائتي مقرعة ، وحلّفه بالطلاق أن لا يتأوّه ، قيل إنّهم سمّوه فمات (ابن الأثير ٩/٣٦٨).

وفي السنة ٤٢٣ توفي شرف الدولة قدرخان ، صاحب بخارى وكاشغر ، وختن ، وبلاساغون ، وخلّف أولاداً ، أكبرهم بغراخان ، والثاني أرسلان خان ، وكان قدرخان قد جعل ولاية العهد لولده بغراخان ، فلما ولي الحكم ، نازعه أخوه أرسلان خان ، ولكنّ بغراخان تغلّب عليه واعتقله ، وعهد بغراخان بولاية العهد لولده الأكبر حسين جغري تكين ، وكان لبغراخان امرأة لها منه ولد صغير اسمه إبراهيم ، فغاظها حرمان ولدها من ولاية العهد ، فعمدت إلى زوجها ، ودسّت له السمّ ، فمات وعدّة من أهله ، ثم خنقت أخاه أرسلان خان ، وكان ذلك في السنة ٤٣٩ ، وقتلت وجوه أصحابه ، وملّكت ولدها إبراهيم ، وسيّرته في جيش إلى مدينة برسخان، فانكسر ، وقتل في المعركة (ابن الأثير ٩/٢٩٩).

ولما استولى الحسن بن يحيى من آل حمّود ، على مالقة بالأندلس ،

وبويع بالخلافة في السنة ٤٣١ ، وتسمّى بالمستعلي ، قتل ابن عمّه يحيى بن ادريس ، وكانت ابنة عمّه شقيقة يحيى ، تحته ، فقيل إنّها سمّته انتقاماً لأخيها . (المعجب للمراكشي ١١٦) .

ولما توفّي المستنصر الحمّودي ، في السنة ٤٣٤ ، وكانت إليه سبتة ومالقة ، وغرناطة ، وجملة من بلاد الأندلس ، قيل أنّه مات مسموماً . (الأعلام ٢ / ٢٤١) .

وفي السنة ٤٤٧ قتل ابو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان ، صاحب الجزيرة ، وكان أبو حرب قد اختلف مع الأمير موسك بن المجلّي زعيم الأكراد البختيّة، فراسله أبو حرب واستماله وسعى في تزويجه بابنة الأمير أبي طاهر البشنوي ، وهو ابن اخت نصر الدولة بن مروان ، فتزوّجها واطمأنّ من أبي حرب، فلما زاره ، غدر أبو حرب به وقبض عليه وحبسه ، فغضب أبو طاهر البشنوي ، وأرسل إلى نصر الدولة يشفع في موسك ، فأظهر أنّه قد مات ، فشقّ ذلك على أبي طاهر ، وقال لنصر الدولة وولده أبي حرب : إذا كنتما تريدان قتله ، فلماذا جعلتما إبنتي طريقاً إلى ذلك ، وقلّدتماني العار ، وتنكّر لهما ، فوضع عليه أبو حرب من سقاه سمّاً فمات ، فولي ابنه عبيدالله بن أبي طاهر ، فراسله أبو حرب وأظهر له المودّة ، واستقرّ الامر بينهما على الإجتماع ، فلما اجتمعا قتل عبيدالله أبا حرب. (ابن الأثير ٩/٦٠٦-٦٠٧) .

وفي السنة ٤٥٢ قتل نجاح، رأس دولة آل نجاح في زبيد ، وكان عبداً علا أمره حتى استولى على زبيد ، واتّسع ملكه ، وضربت السكّة باسمه ، قتله علي بن محمد الصليحي بسمّ دسّه له على يد جارية في الكدراء (الأعلام ٨ / ٣٢٤) .

وبلغ المعتضد اللخمي ، صاحب اشبيلية (ت ٤٦٤) ، أنّ أعمى بمكّة

كان يدعو عليه ، وكان هذا الرجل من بادية إشبيلية ، فأفقره المعتضد ، فقصد مكّة ، وأخذ يدعو عليه ، فبعث إليه رسولاً ، ومعه حقّ فيه دنانير مطليّة بالسمّ ، وأمره أن يسلمه إلى الأعمى ، فوصل الرجل مكّة ، وسلّم الدنانير إلى الأعمى ، ففتح الحقّ ، وأخذ ديناراً ، فوضعه في فمه ، فمات . (المعجب للمراكشي ١٥٣) .

وفي السنة ٤٦٩ أمر الخليفة باعتقال الشريف أبي جعفر في دار الخلافة، فاعتقل مكرماً . ثم مرض مرضاً أثّر في رجليه فانتفختا ، فيقال أنّ بعض المتفقّهة من الأعداء نزّل له في مداسه سمّاً (المنتظم ٣٠٧/٨) .

وروى صاحب اعلام النبلاء ٢٠١/٤ قصّة تتعلّق بدسّ السمّ ، أنا في ريب من صحّتها ، ولكنّي أوردها إتماماً للفائدة ، قال : كان الأمير عبدالله بن محمد الخفاجي المتوفّى سنة ٤٦٦ قد عصى بقلعة إعزاز من أعمال حلب ، على أمير حلب محمود الملقب رشيد الدولة ، فطلب محمود من وزيره أبي نصر بن النحاس ، أن يحتال على الخفاجي ليقدم حلب ، وكان ابن النحاس صديقاً للخفاجي ، فكتب اليه كتاباً يرغّبه فيه في الحضور إلى حلب ، وكانت آخر جملة في الكتاب : إن شاء الله ، فوضع الوزير على كلمة (إن) شدّة ، وكان الخفاجي شاعراً أديباً ذكياً ، فانتبه إلى أنّ الشدّة على (إن) تعني الآية : إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فكتب الجواب ، وكانت آخر جملة فيه : أنا الخادم المعترف بإنعام الأمير ، ووضع شدّة على نون (انا) فلما وصل الجواب إلى الوزير ، علم أنّ المقصود بهذه الشدّة، الآية : إنّا لا ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاستدعى الأمير رشيد الدولة محمود وزيره ابن النحّاس ، وقال له : أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجي وما أعرفه إلاّ منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له : مرني بأمرك أمتثله ، فقال له : تمضي إلى الخفاجي في ثلاثين فارساً ، فإذا نزلت به ، وحلّ موعد الطعام ، فأخرج هاتين

الخشكنانتين ، وكل هـذه ، وأطعمه هـذه ، فإذا استـوفى أكلها ، فعجّـل في العودة ، فإنَّ منيته فيها ، ففعل ما أمره ، ولما أكلها الخفاجي ، عاد أبو نصـر إلى حلب ، فـأصابت الخفـاجي أوجاع في البـطن ورعـدة ، فقـال : قتلني ـ والله ـ أخي أبو نصر ثم مات .

وفي السنة ٤٧٥ أمر السلطان ملكشاه ، بقتل منصور ، ابن وزيره نـظام الملك ، فسقي سمّاً في كوز فقاع (ابن الأثير ١٠/١٢٤) .

وفي السنـة ٤٨٢ أراد أمير المسلمين يـوسف بن تاشفين ، التخلّص من سيد قبيلة كزولـة ، واسمه محمـد بن إبراهيم ، فـدعا حجّـاماً ، وأعـطاه مائـة دينار ، وضمن له مثلهـا ، إن هو احتـال على قتل محمـد بن إبراهيم ، فـأخذ الحجّام مشاريط مسمومة ، وصعد الجبل ، وأخذ ينادي لصناعته ، فارتاب بـه محمـد ابراهيم ، وقـال : أراه يكثر الصيـاح ، وأحضره ، واستـدعى حجّـامـاً آخر ، وأمره أن يحجم الحجّام بمشاريطه التي معه ، فـامتنع، فـأمسك وحجم بمشاريطه ، فمات ، ولما فشلت حيلته ، استمال قسماً من أصحاب محمـد ، وبعث إليهم بجرار عسل مسموم ، فأهـدوا الجرار الى محمـد ، فأحضـرهم ، وأمرهم، أن يأكلوا من العسل، فامتنعوا، فأطعمهم قسراً ، فماتـوا (ابن الأثير ١٠/١٧٨ـ ١٧٩).

وفي السنة ٤٩٢ مات الميـراخور ، من أكـابر القـوّاد السلاجقـة ، فاتّهم ربيبه الأمير أياز ، وزير الميراخور بـأنّه قتله بـالسمّ ، فقتله ، وامتدّت التهمـة إلى مؤيّـد الملك ، وزيـر السلطان محمـد ، بـأنّـه شـارك في دسّ السمّ للميراخور ، فقتله السلطان بركياروق (ابن الأثير ١٠/٣٠٣ـ ٣٠٤).

وفي السنة ٤٩٣ قتل السلطان بركياروق السلجـوقي ، الفقيه أبـا القاسم الجويني ، بأن دسّ له السم في محبسه . (الكامل لابن الأثير ١٠/٢٩٦).

وروي أنّ الشـاعـر الأبيـوردي ، المتـوفى سنـة ٥٠٧ ، كـان قـد تـولّى

الإشـراف في مملكة السلطان محمـد بن ملكشاه ، فسقـوه السمّ ، وهو واقف عند سريـر السلطان ، فخانتـه رجلاه ، وحمـل إلى منزلـه ، فمات . (معجم الأدباء ٦/٣٤٣) .

واشتـرى منصور بن فـاتك بن جيّـاش ، سلطان اليمن ، في السنة ٥١٧ جارية مغنّية ، اسمها علم ، فولدت له ولده فاتكاً ، وحظيت عنده ، فجعل لها تـدبير المملكـة ، فنهضت بها ، وقتـل زوجها بـالسمّ ، فولي ولـدها فـاتك ، واستبدّ بالأمر قاتل زوجها ، فقتل بالسمّ أيضاً في السنة ٥٢٤ فأدارت هي أمور الدولة ، ثم احتيـل على ولدهـا فاتـك، فقتل بـالسّم أيضاً في السنـة ٥٣١ أما هي ، فقد توفّيت سنة ٥٤٥ (الاعلام ٥/٤٩- ٥٠) .

وكـان الحافظ الفـاطمي (٥٢٤- ٥٤٤) كثير الفتـك بـوزرائـه وخـاصّتـه استوزر أحمد بن الفضل الجمالي، وقتله ، واستوزر يأنس الحـافظي ، فـدسّ له السمّ ، وفوّض الأمر لابن له اسمـه سليمان ، فمـات لشهرين من ولايتـه ، وأقام ابناً آخر له اسمه حسن، ثم قتله بالسمّ ، واستوزر وزيراً آخـر اسمه تـاج الدولة بهرام، ثم قتله . (الأعلام ٤/٢٩٣) .

أقـول : في السنـة ٥٢٦ استـوزر الحـافظ الفـاطمي ، بمصـر ، ولـده حسناً ، وخطب له بولاية العهد ، فسفك كثيراً من الـدماء ، حتى انـه قتل في ليلة واحدة ، أربعين أميراً ، فاجتمع الأمراء الباقون ، وراسلوا الحافظ ، وقالوا له : إما أن تسلم إلينـا ولدك لنقتله ، أو نقتلكمـا جميعاً ، فـاستدعى الحـافظ ولده ، وحبسه ، فراسلوه بأننا لا نرضى إلاّ بقتله ، فسقاه سمّاً، فمات ، وأصرّ القوّاد على التوثّق من موته ،فحضر بعضهم، وجرحوا أسافل رجليه، فلم يجر منهـا دم ، فعلموا مـوته ، وكـان موتـه في السنـة ٥٢٩ (ابن الأثيـر ١١/٢٢و ٢٣) .

وذكر صاحب النجوم الزاهـرة ٥/٢٤٣ كيفية قتـل الحافظ ولـده حسن ، في السنـة ٥٢٨ بأن أوعـز إلى الطبيب فصنـع له شـربة سمّ ، وألـزم ولده بـأن

يشربها ، فشربها ، وذلك لأنّ الجيش هدّد بأنّه إن لم يقتل حسناً ، فإنّ الجيش سوف يقتلهما معاً .

وفي السنة ٥٣٣ توفّي أبو بكر بن باجه الأندلسي ، في مدينة فاس ، مسموماً في باذنجان (معجم البلدان ٤/٤٣١).

وفي السنة ٥٤١ مات بالسمّ السلطان قطب الدين محمد الغوري ، ملك الجبال ، دسّ السّم له حموه ، والد زوجته السلطان بهرام الغزنوي (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٤٢١).

وفي السنة ٥٥٥ توفّي السلطان السلجوقي ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، مسموماً في لحم مشويّ ، وكان سبب ذلك أنّه طالب الخليفة ببغداد أن يقطع خطبة عمّه سليمان ، وأن يخطب له ، فعمد ابن هبيرة وزير الخليفة إلى خصيّ يثق به ، وبعث به إلى بلاد العجم ، فاشترى جارية من قاضي همدان بألف دينار ، وباعها للسلطان ملكشاه ، وواضعها على سمّه ، ووعدها أموراً عظيمة ، فسمّته في لحم مشويّ ، فأصبح ميتاً ، وضربت الجارية فأقرّت (ابن الأثير ١١/٢٦٣).

ودسّ الوزير ابن هبيرة ، وزير المقتفي والمستنجد ، السمّ ، لأحد خطباء الجامع في بلاد العجم ، ذكر ذلك ابن طباطبا في كتابه الفخري (ص ٣١٤) قال : كان ببعض بلاد العجم رجل كلما أقيمت الخطبة يوم الجمعة في الجامع ، يقوم ويذمّ الخليفة ، ويدعو للسلطان ، فاتّصل ذلك بالوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠) فأحضر شخصاً من أهل بغداد ، وأمره أن يسافر إلى تلك البلدة ، وأعطاه عشرة دنانير ذهباً ، وقال له : إذا دخلت ذلك البلد ، وحضرت في الجامع يوم الجمعة ، ورأيت الرجل الذي يسبّ الخليفة ، فانهض اليه ، وأنت على زيّ التّجار ، وأمّن على كلامه ، وأظهر البكاء عند سبّه الخليفة ، وقل : إي والله ، فعل الله به وصنع ، وهل

غـرّبني عن عيـالي ووطني ، وأفقـرني غيـره ؟ ثم افعـل في الجمعـة الثـانيـة كذلك ، وقل له : قد حلفت أن املأ فمك دنانير ، وضع هـذه الدنـانير حشـو فمه، وأخرج ، وغيّر زيّك ، وبارح البلد ، ففعل الرجل ذلك ، وكانت الدنانير مسمـومة ، فلمـا راح ذلك الـرجل الى بيتـه ، ما زال يتقلقـل ، حتى مات من يومه .

وفي السنـة ٥٦٠ توفّي الـوزيـر عـون الـدين بن هبيـرة ، وزيـر المقتفي والمستنجد ، فقيل إنَّ طبيبه ابن رشادة سقاه سمّاً فمات (المنتظم ١٠/٢١٦).

وفي السنـة ٥٦٧ تـوفّي أبـو عبـدالله محمـد بن سعـد المعـروف بـابن مردنيش ، صاحب شرق الأندلس ، واتّهمت أمّه بأنّها دسّت له السمّ لأنّه أساء عشـرة أهله وخواصّـه ، فنصحته ، فتهـدّدها ، فخـافت من بطشـه ، وعملت عليه ، فقتلته بالسمّ . (وفيات الأعيان ٧/١٣١) .

وفي السنة ٥٦٧ توفّي الإمام محمد بن محمد البروي الشافعي الواعظ ، وكـان ببغداد شـديـداً على الحنـابلة ، يبـالـغ في ذمّهم ، وكـان شـابـاً مليـح الصورة ، حسن العبارة ، فذكر أنّ الحنابلة ، دسّوا عليـه سمّاً، فجـاءته امـرأة في الليل ، ومعها صحن حلوى ، فـطرقت بابـه ، وقالت : أنـا امرأة آكـل من مغزلي ، وقد غزلت قطناً ، وبعته، واشتريت من ثمنه هذه الحلوى ، واشتهيت أن يأكل الشيخ منها ، فإنّها من حلال ، فتناوله منها ، ومضت ، وجلس يـأكل وزوجته وولد لـه صغير ، فـأصبحوا مـوتى جميعاً ، (المنتظم ١٠/٢٣٩ وابن الأثير ١١/٣٧٦ والوافي بالوفيات ١/٢٨٠).

وفي السنـة ٥٨٠ سار شهـاب الدين الغـوري الى الهند ، فحـاصـر بهـا مدينة آجره (أغرا) وبها ملك من ملوك الهند ، فلم يـظفر منـه بطائـل ، وكان للهندي زوجة غالبة على أمره ، فراسلها شهاب الدين أنّه يتـزوجها ، فـأعادت الجـواب إنّها لا تصلح لـه ، وإنّ لها ابنـة جميلة تزوّجـه إيّاهـا ، فأرسـل إليها

يجيبها إلى التزوّج بابنتها ، فسقت زوجها سماً ، وسلّمت البلد إليه ، فلما تسلّمه ، أخذ الصبيّة ، فأسلمت ، وتزوّجها ، وحملها إلى غزنة ، وأجرى عليها الجرايات الوافرة ، ووكّل بها من يعلّمها القرآن ، وتشاغل عنها، فتوفيت والدتها ، ثم توفّيت هي بعد عشر سنين ، ولم يرها ، ولم يقربها ، فبنى لها مشهداً ، ودفنها فيه ، وأهل غزنة يزورون قبرها (ابن الأثير ١١/١٧١-١٧٢).

وفي السنة ٦٠٣ توفّي إيتامش ، مملوك الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وكان قد أقطعه الخليفة الدجيل ودقوقا ، فآتّهم نصراني من الدجيل ، يقال له ابن ساوة بأنّه سمّه ، فأمر الخليفة بتسليم النصراني إلى مماليك ايتامش ، فكتب الوزير إلى الخليفة يقول : إنّ النصاري بذلوا في ابن ساوة مائة ألف دينار كي لا يقتل ، فلم يستمع الخليفة إلى قوله ، وسلّم ابن ساوة إلى المماليك فقتلوه وأحرقوه (شذرات الذهب ٥/٩) .

أقول : ذكر صاحب الجامع المختصر القصة في الصحيفة ٢١٩ و٢٢٠ وذكر أنّ آسم الأمير تتامش (بتائين) الناصري ويلقب علاء الدين ، وإنّ ابن ساوة الذي آتّهم بسمّه ، كان ناظراً في اعمال الدجيل ومعاملة دقوقا ، وإنّ الأمير علاء الدين تتامش كان مقطع دقوقا .

وجاء في كتاب الذيل على الروضتين (ص ٦١) إنّ الذي قتل الأمير علاء الدين ايتامش بالسمّ ، هو الوزير ابن مهدي ، وزير الناصر العباسي ، وإنّ الوزير دسّ السم لآق سنقر الدوادار ولعلاء الدين ايتامش .

ولما توفّي الامام فخر الدين الرازي في السنة ٦٠٦ وكان مخاصماً للكرامية ، قال بعض الناس : إنّ الكرامية دسّوا له السمّ (شذرات الذهب ٥/٢١) .

وفي السنة ٦٣٤ مات بالسمّ السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو ، سلطان الروم ، وهو من السلاجقة (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢١٥) .

وفي السنة ٦٦٢ توفّي الملك الأشرف موسى بن ابراهيم الايوبي ، ملك حمص والرحبة عن ٣٥ سنة ، وقيل إنّه مات مسموماً (شذرات الذهب ٣١١/٥ والاعلام ٢٦٧/٨) .

وفي السنة ٦٧٦ توفّي بدمشق ، الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك الأيّوبي واتّهم الظاهر بيبرس بأنّه دسّ له السّم في الشراب (تاريخ ابن الفرات ٨٦/٧) .

وفي السنة ٦٧٦ توفّي الأمير بيلبك الخازندار الظاهري ، نائب السلطنة بمصر ، أصابه قولنج عظيم ، فاتّهم شمس الدين الفارقاني ، بأنّه دسّ له السمّ ، وفي السنة ٦٧٧ نصب الملك السعيد بركة ، شمس الدين الفارقاني ، نائباً له ، فوثب عليه خاصّة الملك السعيد ، واعتقلوه ، ثم خنقوه (شذرات الذهب ٣٥١/٥ و ٣٥٧) .

أقول : ذكر ابن الفرات في تاريخه ٩٤/٧ انّ الذي اتّهم بدسّ السمّ للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار هو الملك السعيد بركة ، خوفاً منه ، لمحبة الجند له .

وفي السنة ٦٨٢ توفّي الوزير نجم الدين حمزة بن محمد الاصفوني ، وزير المنصور قلاوون ، وآتهم عبد له اسمه فرج ، بأنّه دسّ له السمّ ، فأخذ الشجاعي فرجاً هذا ، وضربه بالمقارع إلى أن مات (تاريخ ابن الفرات ٢٨٤/٧) .

وفي السنة ٦٨٦ توفي قاضي القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن السنجاري ، وكان قد ولي قضاء مصر ، ثم ولي الوزارة مرّتين ، ثم ولي قضاء القضاة في الأقاليم ، ومات بعد عشرين يوماً من تولّيه منصبه الأخير ، فقال الناس إنّه سمّ (شذرات الذهب ٣٩٥/٥) .

وفي السنة ٦٨٧ توفي الملك الصالح علاء الدين على ابن المنصور قلاوون ، بالقاهرة وكان أبوه صاحب مصر والشام ، قد ولّاه العهد ، فاتّهم أخوه الملك الاشرف صلاح الدين خليل ، بأنّه سمّه (تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٠) .

وفي السنة ٦٨٩ توفّي الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون ، ملك مصر والشام ، وقيل إنّ ولده الملك الاشرف الدين خليل سقاه السمّ (تاريخ ابن الفرات ٨/ ٩٧) .

وفي السنة ٦٩٠ مات السلطان أرغون ، وقيل إنّه سمّ ، واتّهموا سعد الدولة الماشعيري اليهودي ، بأنّه سمّه ، فكانت حجّة لطّلاب المال والجاه ، إذ مالوا على اليهود قتلاً ونهباً ، وسلباً ، وقتل سعد الدولة فيمن قتل (شذرات الذهب ٥/ ٤١١ وتاريخ العراق للعزاوي ١/ ٣٥٢) .

وفي السنة ٦٩٤ توفّي بتعز من بلاد اليمن ، الملك المعزّ يوسف بن عمر بن علي بن رسول سلطان اليمن ، وقد تجاوز الثمانين ، مات مسموماً ، سمّته أحدى جواريه (النجوم الزاهرة ٨/ ٧٣) .

وفي السنة ٧٠٣ توفيّ القان محمود بن غازان ، وكان بعد شاباً ، فذكر الناس أنّه سمّ ، ووصفوا كيفيّة سمّه ، بإنّه سمّ في منديل تمسّح به بعد الجماع (شذرات الذهب ٦/ ٩) ، وقد بحثنا عن كيفية موته وأوردنا ترجمته باختصار في موضع آخر من هذا الكتاب .

وفي السنة ٧١٢ توفّي صاحب ماردين نجم الدين غازي بن المظفر قرا أرسلان عن بضع وستّين سنة ، وتملّك بعده ولده العادل ، فمات بعد أيّام ، فقيل أنّ الأب والابن سمّهما قراسنقر ، ثم تملّك بعدهما الابن الآخر الملك الصالح (شذرات الذهب ٦/ ٣١) .

وفي السنـة ٧٣٢ بلغ السلطان الملك النـاصـر محمـد بن قـلاوون ، أنّ الأمير بكتمر الساقي قد تآمر مع أمراء آخرين على الفتك به ، فآحتـرز منه غاية الإحتراز ، وكان السلطان في طريق الحجّ ، ومعه بكتمر وولـده أحمد ، وبعـد انتهاء الحج ، توفّي في طريق العودة أحمد بن بكتمر وتبعه بكتمر بعد يومين ، فـآتّهم الناصـر بأنّـه دسّ لهما السّم ، وأخـذت زوجة بكتمـر تصيح بـالسلطان بصـوت عالٍ : يـا ظالم ، أين تـروح من الله ، ولـدي وزوجي ، زوجي كـان مملوكك ، ولدي أيش كـان بينك وبينـه ؟ ، وكرّرت ذلـك مراراً ، فلم يجبهـا السلطان . (النجوم الزاهرة ٩/١٠٤ ـ ١٠٦) .

وفي السنة ٧٤٣ قصد الملك الاشرف بن تمرتاش بن جوبـان ، صاحب أذربيجـان وأزان ، بير حسن بن محمـود بن جوبـان ، فـوقعت الحـرب بينهمـا بظاهر أصبهان ، فانتصر الاشرف ، واستولى على شيراز ، والتجأ بيرحسن إلى حسن بن تمـرتاش بـالسلطانية ، فسقـاه سمّاً ، فمـات (تاريـخ الغيـالي ٨٥ و ٨٦) .

وفي السنة ٧٧٠ بلغ السلطان بمصر ، أنّ الأمير طنبغا الـطويل ، ينـوي الإنتقاض ، فدس إليه سمّاً ، فقتله (اعلام النبلاء ٢/٤٤٩) .

وفي السنة ٧٧٦ مات الأمير قطب الـدين أويس بن شاه شجـاع بن مبارز الدين محمد ، دسّ له السمّ (معجم أنساب الاسرار الحاكمة ٣٧٩) .

وفي السنة ٣٨٦ ضجر السلطان المتـوكلّ على الله أبـو فارس مـوسى بن أبي عنان ، من تحّكم وزيره مسعود بن ماسي عليه ، وداخل بطانته في الفتـك بـه ، وشعـر الـوزير بـذلك ، فبعث ولـده يحيى ، وعبد الـواحـد المـزوار إلى السلطان ابن الاحمر ، صاحب غرناطـة ، في أن يبعث إليه السلطان المخلوع أبا العباس ، ليعيده إلى السلطنة بـدلاً من أبي فارس ، ثم خـرج الوزيـر على رأس حملة لقتال أحد الخوارج ، وآستخلف في مكانه أخاه يعيش بن رحّـو بن

ماسي ، فلما انتهى الوزير إلى القصر الكبير ، لحقه الخبر بأنّ السلطان موسى قـد مات ، والنـاس يرمـون يعيش أخا الـوزير بـأنّه سمّ السلطان (ابن خلدون ٧/٣٥٢) .

وفي السنة ٧٨٦ توفّي أوحد الدين عبد الواحد بن اسماعيـل الإفريقي ، كاتب السلطان الاشرف برقوق ، وكـانت علّته أنـه ذهبت منه شهـوة الطعـام ، وآبتلي بالقيء ، فصار لا يستقّر في جوفه شيء ، وتوفي قبـل الأربعين ، فشاع بين الناس إنّه دسّ له السمّ (شذرات الذهب ٦/٢٩١ و٢٩٦) .

وفي السنة ٧٨٧ توفّي نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمـان المعروف بابن الجابي ، عن خمسين سنة ، وكان قوي العلاقـة بأوحـد الدين كـاتب سرّ السلطان برقوق ، وبين موتهما أشهر ، فقال الناس أنّهما سمّا معاً ، وإن تـأخّر موت أحدهما عن صاحبه (شذرات الذهب ٦/٢٩٦) .

وفي السنـة ٧٩١ توفّي شهـاب الدين أحمـد بن ركن الـدين السـرائي ، الشهير بمولانا زاده ، وهو في الأربعين ، ذكـروا إنّ بعض حسّاده دسّ إليـه سمّاً فقتله (شذرات الذهب ٦/٣١٧) .

وفي السنـة ٧٩٣ توفي شـرف الدين أبـو حاتم عبـد القـادر النـابلسي ، قاضي القضاة ، وكان قاضي دمشق في حياة أبيه ، مات بدمشق على أثـر اكلة أكلها ، ومات جميع من أكل معه ، فقالـوا أنّه دسّ لـه السّم ، ولما بلغ والـده خبر موتـه ، اختلط عقله من حزنـه عليه ، وظـلّ مختلطاً حتى مات (شـذرات الذهب ٦/٣٢٩) .

وفي السنـة ٧٩٤ تـوفّي الأميـر حسـام الـدين لاجين الصقـري ، وزيـر السلطان برقوق بالديار المصرية ، واتّهـم الأمير جمال الدين محمـود ، استادار العالية ، بأنّه « سقـاه » أي إنّه دسّ لـه السّم في الشراب (تـاريخ ابن الفـرات ٩/٣٢٨) .

وفي السنة ٧٩٤ توفّي الأمير بطا بن عبد الله الطولوتمري ، وقيل إنّه مات مسموماً على يد السلطان الظاهر (نزهة النفوس ٣٥١) .

وفي السنة ٧٩٤ استدعي فخر الدين بن مكانس ، من الشام إلى مصر ، فدسّ له السّم في الطريق ، فدخل القاهرة ميتاً (شذرات الذهب ٦/٣٣٤) .

وفي السنة ٨٠١ مات خير الدين خليل بن عيسى الحنفي ، قاضي القدس ، مات مسموماً (الضوء اللامع ٣/٢٠١) .

وفي السنة ٨٠٩ توفّي مسموماً ، السلطان خليل بن أميران شاه بن تيمور كوركان ، وكان قد تسلطن في السنة ٨٠٧ عند وفاة جدّه تيمورلنك ، لكونه كان معه عند وفاته ، فملك قلوب الرعية بالإحسان ، وآستفحل أمره ، ومات بالريّ مسموماً ، فانتحرت زوجته شادملك عند وفاته ، بأن نحرت نفسها بخنجر من قفاها، فهلكت من ساعتها، ودفنا في قبر واحد ، ثم قتل والده أميران شاه بعده بقليل ، وولي مكانه بير عمر (الضوء اللامع ٣/١٩٣ و١٩٤) .

وفي السنة ٨٠٩ حمل السلطان الملك الناصر ، سلطان مصر ، أخويه الملك المنصور عبد العزيز ، وابراهيم ، إلى الاسكندرية ، ليقيما بها ، وأخرج مع أخويه أمّهاتهما ، وخدمهما ، وأجرى لهما في كلّ يوم خمسة آلاف درهم ، ولكلّ من الأمراء ألف درهم في اليوم ، وبعد أقلّ من شهرين مات عبد العزيز وابراهيم ، في يوم واحد ، ولهج الناس بأنّهما ماتا مسمومين ، ونقلت رمّتاهما إلى القاهرة ، مع أميهما وجواريهنّ ، وكانت عاقبة أخيهما السلطان أنّه لما كان بدمشق ، خلع ، وسجن بالبرج بقلعة دمشق ، وأرسلوا له أربعة أشخاص قتلوه طعناً بالخناجر ثم أخرجوه ، وألقوه على مزبلة خارج المدينة ، وهو عريان مكشوف الرأس ، ليس عليه غير اللباس في وسطه ، فترك ثلاثة أيّام لم يدفن ، ثم دفن . (بدائع الزهور ١/٢/٧٦١ ـ ٨٢٠) .

وفي السنة ٨١٢ قصد قرايوسف ماردين ، وحصرها ، وفيها الملك الصالح شهاب الدين الأرتقي ، وتمّ الصلح بينهما على أن يتسلّم قرايوسف ماردين مهراً لابنته التي زوّجها للملك الصالح ، على أن يعطي يوسف للصالح مدينة الموصل، وتسلّم يوسف ماردين، وأعطاه البنت، ورحل الملك الصالح إلى الموصل ، فمكث فيها أيّاماً ثم مات بالسّم ، واتّهم قرايوسف بأنّه هو الذي أمر بدسّ السمّ للملك الصالح ، وعادت الموصل إلى حكم قرايوسف (تاريخ الغياثي ٢٤١و٢٤٢) .

أما في الضوء اللامع ، فقدورد الخبر ٢٣١/١ كما يلي : كان الملك الصالح شهاب الدين أحمد بن اسكندر الأرتقي ، قد نشأ في دولة ابن عمّه الظاهر مجد الدين عيسى ، وآختصّ به ، وزوّجه آبنته ، واستخلفه على ماردين ، ولكنّه باع ماردين لقرايوسف بن قرامحمد بعشرة آلاف دينار ، وألف فرس ، وعشرة آلاف رأس غنم ، وزوّجه قرايوسف ابنته ، وأعطاه الموصل ، فتوجّه أليها ، فلم يقم سوى ثلاثة أيام ، ومات هو والزوجة المشار إليها في السنة ٨١١ ويقال أنّ قرايوسف سمّة ، وخلّف أربعة أولاد أخرجهم قرايوسف من الموصل .

وفي السنة ٨٢٣ توفّي الامير صارم الدين ابراهيم بن السلطان الملك المؤيد شيخ وقيل أن أباه المؤيّد دسّ إليه من سمّه (شذرات الذهب ١٥٩/٧) .

أقول : الثابت أنّ الأب كان شديد المحبّة لولده ، وأنّه كان يلّح على الاطباء في المبالغة في علاجه ، وأنّه اشتّد جزعه عليه لما مات ، بحيث أنّ الأب لم يعش بعد ولده إلاّ ستّة أشهر .

وفي السنة ٨٢٤ مات السلطان الملك الظاهر ططر ، من ملوك الجراكسة بمصر والشام ، وكان قد خلع سلفه الملك المظفّر ، وتزوّج أمّه ،

ثم طلّقها ، فروي أنّه مات مسموماً ، سمّته أمّ المظفر ، لما خلع ولدها (الاعلام ٣/٣٢٧) .

وفي السنة ٨٣٣ قتل الظاهر صاحب اليمن ، اسماعيل بن عبد الله العلوي الزبيدي بالسمّ ، وتفصيل ذلك : إنّ الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل رأى زوجة اسماعيل العلوي فأعجبه جمالها ، فأمر زوجها اسماعيل بطلاقها ، وضيّق عليه حتى آضطر إلى طلاقها ، فتزوّجها الظاهر ، وفرّ اسماعيل إلى مكّة ، فلما بلغ الظاهر فراره ، قتل أخا اسماعيل وهو شهاب الدين أحمد بن عبد الله العلوي الزبيدي ، ونهب بيوتهم ، وأزال نعمتهم ، ثم إنّه دسّ إلى اسماعيل من قتله بالسّم بمكّة (الضوء اللامع ١/٣٦٠ و٢/٣٠١) .

أقول : السلطان الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل ، سلطان اليمن ، من بني رسول ، خلف أباه في حكم اليمن في السنة ٨٢١ وهلك في السنة ٨٤٢ وانقرض حكم بني رسول بعد ثماني سنوات من هلاكه ، وليس العجب من انقراض حكم هذه السلالة مع هذا الظلم ، ولكنّ العجب من بقاء هذا الظالم في السلطنة عشرين سنة .

وفي السنة ٨٣٥ توفّي القاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي التفهني ، قيل أنّه مات بالسّم ، وإنّ أمّ ولده هي التي دسّت له السّم من غيظها منه لأنّه لما توفيّت زوجته ظنّت أمّ ولده أنّها تنفرد به ، فتزوجّ آمرأة ، وآطرح أمّ ولده ، فحصلت لها غيرة فسمّته (شذرات الذهب ٧/٢١٤) .

وكان الأمير أسبان يكثر من استعمال السّم سلاحاً في قتل من يريد قتله فإنّه في السنة ٨٣٩ حاصر مدينة إربل وهي تحت حكم مزراعلي بن شاه محمد وبعد ستّة شهور من الحصار ، أرسل إلى القلعة مشاعلياً وسباهيّين زعموا أنّهم فرّوا من عند أسبان ، وكانوا قد صحبوا سمّاً ألقوه في الآبار التي يشرب أهالي إربل منها الماء ، فلما شرب منه الإربليون وقع الموت فيهم

وازرقّت جلودهم ونتنت أفواههم ، وطالت مدة الحصار إلى سنة واحدة وشهور فاضطر مزراعلي إلى طلب الأمان من أسبان ، فأمنّه وحلف له أن لا يقتله فنزل إليه هو وأولاده ، فآختار أسبان بلقيس ابنة شاه علي زوجة له ، ونصب حاكماً في إربل نائباً عنه ، ورحل أسبان إلى الموصل ، فآحتال على حاكمها توشمال زينل ، ودسّ إليه السّم ، فقضى نحبه ، فاستولى على البلد ثم نزل إلى بغداد ، وصحب مرزاعلي معه (التاريخ الغياثي ٢٦٩) .

أقول : لم يكن الأمير أسبان هذا مقتصر في جرائمه على آستعمال السّم للفتك بالناس ، وقد أسلفنا في موضع آخر من هذا الكتاب ، إنّه قتل أباه غيلة ، ثم قتل ابن عمّه ميزراعلي وأولاده جميعاً ، حتى الأطفال في المهد ، وكانت بلقيس بنت مرزاعلي ، جالسة عند زوجها أسبان ، لما قتل أباها وأخوتها ، فبكت وصاحت ، فأمر بخنقها ، فخنقت .

وفي السنة ٨٤٠ مات بالسّم السلطان محمد غزنين خان بن هو شنك ، ملك مالوه ، دسّ له السّم ، الأمير محمود الخلجي ، الذي تسّلم الملك من بعده باسم محمود شاه (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٣١) .

وفي السنة ٨٥٥ قتل بالسّم السلطان محمد كريم شاه ، سلطان كجرات ، دسّت له السّم زوجته (معجم انساب الاسر الحاكمة ٤٣٥) .

وفي السنة ٨٦٨ مرض بدر الدين الحسن بن علي الحصني ، ومات بالقاهرة ، فقيل إنّه مات مسموماً (الضوء اللامع ١١٤/٣) .

وكان بابر بن بايسنقر على مملكة هراة ، وكانت معه جدّته أمّ أبيه ، وآسمها كوهرشاد ، قيل إنّها سقته سمّاً في الشراب ، في السنة ٨٦١ فمات (التاريخ الغياثي ٢٢٨) .

أقول : أحسب أنّ آتهام العجوز بسّم حفيدها ، تهمة لا أصل لها ، هذا إذا صحّ أنّ الحفيد توفّي مسموماً .

وفي السنة ٨٧٠ توفّي الفقيه محمد بن سليمان الجزولي ، فقيل إنّه مات مسموماً (الاعلام ٢١/٧) .

وفي السنة ٨٩٧ مات بالسّم الشيخ نجم الدين مسعود ، وزير السلطان يعقوب ، سمّه أحد الأمراء في شيروان (تاريخ العراق للعزاوي ٢٨٨/٣) .

أقول : السلطان أبو المظفر يعقوب بهادر بن السلطان أوزون حسن بك ، ولي السلطنة في السنة ٨٨٣ على قول صاحب تاريخ الغياثي (ص ٣٩٣) وفي السنة ٨٨٤ على قول زامباور في معجمه (ص ٣٨٤) ، وتوفّي في السنة ٨٩٦ على ما جاء في تاريخ الغياثي ومعجم زامباور ، لذلك يكون التاريخ الذي أورده العزّاوي في حاجة إلى تصحيح ، إلّا إذا كانت وفاة الوزير بعد وفاة السلطان .

وحصل للسلطان ابراهيم لودي ، سلطان الهند (٩١٥ ـ ٩٣٢) ، بعض الريب في مستشاره ووزيره أعظم همايون ، فأمر باعتقاله ، وسقي كاساً من السمّ في السجن ، فقتله . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٣٥) .

وكان عيسى باشا ، بكلربكي (أمير الامراء) المملكة الدمشقية ، في عهد آل عثمان ، مولعاً بدسّ السّم للناس ، ولما توفّي فجأة حسين بن محمد شاه الحلبي المعروف بابن الميداني ، في السنة ٩٣٤ وكان ذا صولة وعلوّ همة ، إتّهم الناس عيسى باشا ، بأنّه دسّ له السّم مع واحد من اصحابه (اعلام النبلاء ٤٦٥/٥) . ولما توفّي في السنة ٩٣٧ قاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة محمد بن فرفور الدمشقي ، قالوا إنّه مات بسّم دسّه إليه عيسى باشا (اعلام النبلاء ٤٨٩/٥) ، وجاء عيسى باشا مرة إلى حلب للتفتيش ، وأراد محاسبة بدر الدين حسن بن عمر النصيبي ، ففّر منه ، ثم آستسلم إليه ، وحضر مجلسه ، فأراد أن يسقيه شراباً ، فامتنع من تناوله ، لاشتهار عيسى باشا بدسّ السّم « وعاد بدر الدين من عنده سليماً بإذن الله تعالى » ولكنّه بعد

أن سلم من عيسى باشا ، لم يسلم من خلفه إسكندر بك الذي ولي الدفتر دارية ، إن أهل الديوان الدفترداري دسّوا له السمّ ، فمرض ومات في السنة ٩٥٦ (اعلام النبلاء ٥/٥٦٥) .

وفي السنة ٩٦١ قتل السلطان محمود شاه بن لطيف شاه ، صاحب كجرات ، قتله بعض خدمه بمواطأة من بعض وزرائه وحرسه ، بأن دسّ له سمّاً في شرابه وحلواه ، (شذرات الذهب ٣٢٨/٨) .

وفي السنة ٩٧٤ ولي اليمن ، مراد باشا ، المعروف بكورمراد ، أي مراد الأعور ، لخلل كان بإحدى عينيه ، وقد اتّهم بأنّه دسّ السّم لأميرين من أمراء اليمن ، معروفين بكثرة المال ، وهما الأمير محمد بن يحيى سنجق عدن ، والثاني محمد بك سنجق جبلة ، فوضع يده على جميع مخلفاتهما ، وقوّم له ذلك بأبخس ثمن ، حتى إنّه قوّم له رأسّ الخيل بخمسة دنانير . (البرق اليماني ١٦٣ و١٦٤) .

وفي السنة ٩٧٨ مات بالسّم ، الأمير علي بن شرف الدين ، صاحب حصن حب باليمن ، وهو أحد أمراء الزيدية ، غدر به شفلوتان من خواصّه (الشفلوت وجمعه شفاليت : طائفة من العرب يخدمون في العسكر ويربّون شعورهم) فدسّا إليه السّم في سفرجلة ، فلما أكلها مات ، وكان قد حرّضهما على الغدر به ، سنان باشا التركي قائد الجيش العثماني المحاصر لحصن حب (البرق اليماني ٤٤٢) .

وفي السنة ٩٨٤ مات بالسّم الشاه طهماسب الأوّل ، بعد أن حكم إيران من السنة ٩٣٠ (معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٨٨) .

وفي السنة ٩٨٥ مات مسموماً، الشاه إسماعيل الثاني، ابن طهماسب، قيل إنّ أخته الأميرة بيري جان خانم سمّته في حقّة البرش (مخدّر) فلما تناول منه مات (تراجم الاعيان ٥٧/٢ ـ ٥٩) ، وفي الكواكب السائرة

١٣٦/٣ إنّ الشاه إسماعيل مات هو ومحبوبه ، بسبب أكل البرش المسموم ، وفي معجم أنساب الاسر الحاكمة ٣٨٨ قيل إنّه سّم لأنّه كان يميل إلى أهل السنّة .

وفي السنة ٩٨٦ هلك المتوكّل بن الغالب ، من ملوك السعديّين في المغرب ، غرقاً ، وهلك عمّه المعتصم أبو مروان عبد الملك السعدي ، بالسّم ، وخلاصة القصّة ، أنّ محمد الشيخ بن القاسم ، الملك السعدي ، مات ، فولي الحكم ولده الغالب ، فطمع أخوه المعتصم عبد الملك في الإستيلاء على الحكم ، ثم مات الغالب ، فخلفه ولده المتوكّل ، فزاد طمع المعتصم ، واستعان بالترك العثمانيين على ابن أخيه ، واستعان ابن أخيه بالبرتغاليين ، ونشبت بينهما معارك طاحنة ، كان آخرها أن هلك المتوكّل غرقاً ، ومات المعتصم بالسّم الذي دسّه إليه قائد جيش الترك . (الاعلام ٣١١/٤ و٣١٢) .

وفي السنة ١٠٢٢ قتل السلطان زيدان بن المنصور ، سلطان المغرب ، أبا العباس الأندلسي أحمد بن قاسم بن معيوب ، قتله بالسّم . (الاعلام ١٨٩/١) .

وفي السنة ١٠٣٢ توفي الأمير محمد بن علي السيفي الطرابلسي ، من امراء بني سيفا ، حكّام طرابلس الشام ، مات مسموماً في رحلة قام بها إلى تركيا . (الاعلام ١٨٦/٧ و١٨٧) .

وفي السنة ١٠٣٤ خلع الشريف محسن بن الحسين ، عمّه الشريف إدريس من أمارة مكّة ، وحلّ محلّه منفرداً ، فحاربه مسعود وعبد الكريم ولدا عمّه إدريس ، فانتصر عليهم ، وفي السنة ١٠٣٧ مرّ بجدّة الوزير أحمد باشا متولّياً على اليمن ، فلما استقّر بجدّة ، أمر بالقائد راجح بن ملحم حاكم جدّة ، فحبس ، ثم شنقه ، ونصب الشريف أحمد بن عبد المطلب ، أميراً

على مكّة ، فاشتبك الشريف محسن والشريف أحمد ، فانتصر الشريف أحمد ، وانحاز الشريف محسن إلى اليمن ، حيث نزل ضيفاً على الإمام محمد بن القاسم ، وتوفّي هناك في السنة ١٠٣٨ فقيل إنّه مات مسموماً (خلاصة الاثر ٣/٣٠٩ - ٣١١) .

وفي السنة ١٠٦٨ (١٦٥٨ م) ، اعتقل أورنك زيب عالمكير محي الدين أعظم شاه (١٠٦٨ - ١١١٩) أخاه الأمير مراد ، ونقل إلى دلهي ، حيث تمّ إعدامه بطريقة طريفة ، وهي إنّه عرض لحيّة لدغته ، فقتلته . (الإسلام والدول الاسلامية في الهند ١١١) .

وفي السنة ١٠٩٧ قتل المؤيّد بالله محمد بن إسماعيل ، صاحب اليمن ، بالسّم ، وهو من أئمة الزيدية ، بسط عمّاله أيديهم بالظلم ، فهمّ بإصلاحهم ، فقتلوه بالسّم . (الاعلام ٦/٢٦٢) .

وتوفي في السنة ١١٢٥ في اليمن ، الإمام المنصور بالله ، الحسين بن عليّ الحسني ، إمام الزيديّة باليمن ، ولي الحكم في السنة ١١٢١ وتنازل عنه في السنة ١١٢٤ للمنصور الحسين بن القاسم ، ولما توفّي قيل انّه مات مسموماً . (الاعلام ٢/٢٦٩) .

وفي السنة ١١٥٦ جهز سليمان باشا العظم ، والي دمشق ، عسكراً على الظاهر عمر الزيداني ، بعد أن قبض على أخيه مصطفى ، وشنقه بدمشق ، ولما وصل سليمان باشا إلى عكّا ، وحصر الشيخ الظاهر عمر ، رشا الظاهر بعض أتباع سليمان باشا ، فدسّ له السّم في طعامه فمات (خطط الشام ٢/٢٩٣) .

ولما توفّي السيد جمال الدين الأفغاني ، في اصطنبول، في السنة ١٣١٥ اتّهم الناس السلطان عبد الحميد بأنّه دسّ له السّم . (الاعلام ٧/٣٧ و٣٨) .

ومن الـطريف أن نورد هنـا خبراً ذكـره الدكتـور علي الوردي في كتـابـه لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث ١٤٣/٣ وهو : أنّ محكمة تركيّـة حكمت في السنة ١٩٠٩ ميلاديـة ، على ثلاثين رجـلاً من رجال الـدين ، بأن يأكلوا خبزاً مسموماً .

سمّ أداة القتل

وأما اللون الثاني من القتل بالسم ، وهـو سـمّ أدات القتل ، فقد ذكروا أن ابن ملجم ، قاتل الإمـام عليّ بن أبي طالب ، سمّ سيفـه الذي ارتكب بـه الجـريمة (الـطبري ٥/١٤٦) ، وذكـروا أنّ الحجـاج بن يـوسف الثقفي دسّ على عبد الله بن عمر ، من طعن ظاهر قدمه بحربة مسمومة ، فمـات (تاريـخ الخلفاء ٢١٥) .

وأمّا فيما يتعّلق باتّهام الطبيب بسّم المشرط المعدّ للفصد ، فقد قيل أنّ الطبيب ابن طيفور سمّ المنتصر في مشراط فصده به (مـروج الذهب ٢/٤٢٦ وتاريخ الخلفاء ٣٥٧ وفوات الوفيات ٣/٣١٨) .

وذكـروا أنّ أمير المسلمين بـالمغرب ، يـوسف بن تاشفين ، حـاول في السنة ٤٨ قتل محمد بن ابراهيم سيـد قبيلة كزولـة ، إذ لم يظفـر منه بـطاعة ، فبعث إليـه حجّامـاً ، وأمره أن يحجمـه بمشارط مسمـومـة ، وأحسّ الكزولي بذلك ، فأمر بـأن يحجم الحجّام بمشـارطه المسمـومة ، وحجم بهـا ، فمات (ابن الاثير ١٠/١٧٨ و١٧٩) .

وكـان سبب وفـاة أبي الفـرج غيث بن علي الصـوري (ت ٥٠٩) أنّـه آفتصد ، وكان الـطبيب قد أعـدّ مبضعاً مسمـوماً ، ليفصـد به غيـره ، فغلط ، ففصده به ، فقتله (معجم الادباء ١/ ٢٥٠) .

وكان الأطبّاء ، قبل آكتشاف المكروب ، لا يعرفون عن التعقيم شيئاً ، فـإذا كان المشـرط ملوّثاً ، كـانت العاقبـة موت المفصـود ، ولما كـان الفصـد يجري في كلّ سنة مرّة واحدة على الأقل ، حسب تقاليد الطبّ القديم . فقـد كـان من يفتصد يتعّـرض جرحـه للتلوّث ، فيتّهم الطبيب بـأنّه فصـده بمشـرط مسمـوم ، ويتّهم مع الـطبيب ، واحد أو أكثـر من خصوم المفصـود ، من أفراد العائلة الحاكمـة ، أو من مزاحميـه على السلطان ، فيقتلون معاً ، وقـد قتل ، في مثل هذه الظروف ، عدد من الأطبّاء الذين هيّـأ لهم سوء حـظّهم ، أن كان المشرط الذي أجروا به عمليّـة الفصـد ، مشرطاً ملوّثـاً ، وعندمـا أراد الأطباء أن يخلصـوا من تهمـة سمّ المشـرط ، أصبـح متعـارفـاً بينهم أن يمصّ الـطبيب المشرط أمام المفصود ، ثم يمسحه بلحيته ، قبل إجراء عملية الفصد ، فأدّى ذلك إلى زيادة حوادث التلوّث ، فكان الطبيب يتّهم بأنّه ذرّ السّم على لحيته ، فلوّث به نصل المشرط ، فكان الذي رآه الأطبّاء سبباً للنجاة ، سبباً من أسباب الإمعان في التورّط .

وكان حرص الحاكمين على حياتهم ، والتخـوّف من دسائس خصـومهم يدفعهم إلى آمتحان الأطبّاء إمتحانات صعبة ، لاختبـار أمانتهم (عيـون الأنباء ١/١٨٧ و١٨٨) فإن نجحوا في آختبار الأمانة ، وفي آختبار الفهم والمعرفة ، أفاضوا عليهم من النعم ، ورتّبوا لهم من الأرزاق والصلات ، والمكافآت ، ما يصـل إلى مقاديـر تثير العجب ، ونـورد على سبيل المثـال، أنّ رزق الـطبيب جبريل بن بختيشوع من الرشيد ، وحاشيته ، والبرامكـة ، بلغ مجموعـه ثلاثـة آلاف ألف ومائة وثمانين ألف درهم في العام (عيون الأنباء ١/١٣٦ و١٣٧)، هذا عدا الصلات الوافـرة التي كان يـوصل بها ، وأسعف الرشيـد مرّة ، لمـا أغمي عليـه ، فلّما أفـاق ، أمر فـآشتريت لـه ضيـاع تغـلّ ألف ألف درهم في السنة (عيون الانباء ١/١٣٢) .

ومرضت إحدى حظايا الرشيد ، فعالجها ، ولمـا برءت ، وصله الـرشيد

بخمسمائة ألف درهم (تاريخ الحكماء ١٣٥) ، وبلغ مجموع ما أفاده من البرامكة ، في دولتهم سبعين ألف ألف درهم (نشوار المحاضرة للتنوخي رقم القصة ٨/١٠٨) ، وعالج المأمون مرّة ، فوصله بألف ألف درهم (عيون الأنباء ١/١٢٨ و١٢٩) ، وأحتال أبو قريش الطبيب ، في تخفيف وزن عيسى بن جعفر ، أخي السيدة زبيدة ، فوصله الرشيد وجعفر بعشرين ألف دينار (تاريخ الحكماء ٤٣٢ و٤٣٣) ، ووصل الواثق طبيبه يوحنا بن ماسويه في مجلس واحد بثلثمائة ألف درهم (عيون الأنباء ١/١٧٥) ووصل المتوكّل طبيبه إسرائيل الطيفوري بثلثمائة ألف درهم (عيون الأنباء ١٠/١٥٨) كما وصل الطبيب حنين بن اسحاق بمائتي ألف درهم (عيون الانباء ١/١٩٦) .

وإذا عوفي السلطان من مرضه ، وصل الطبيب بألوف دنانير (عيون الأنباء ١/٣٠٢ و ٢/١٠٩ و ٢/٢٤١ و ٢٤٢)، وأخرجه في « زفّة » ومعه البند الموسيقي (الطبلخانة) الخاصّ بالسلطان ، يدور به على الأمراء الكبراء ، ليعطوه « على قدر محبّتهم للسلطان » (معجم الأطباء ٦٩ و٧٠) ومن يا ترى الذي لا يحب السلطان؟

ولما كان الغرم بالغنم ، فإنّ الطبيب يتعرّض لخاتمة تعيسة ، إذا لم ينجع دواؤه ، فقد ابتلي سعيد بن توفيل ، طبيب أحمد بن طولون ، بالضرب والتجريس ، فأدّى ذلك إلى موته (عيون الانباء ٢/٨٥) ، وقتل السلطان الأشرف برسباي طبيبيه العفيف وخضر ، إذ أمر بقتلهما توسيطاً . (معجم الأطباء ١٨٣ و ٢٩١) وكما قتل فضل اللّه رشيد الدين ، وزير غازان (الاعلام ٥/٣٥٩ ودائرة المعارف الاسلامية ١٠/١١٦ ـ ١١٩) ، وثمّة أطباء هيّأ لهم حسن حظّهم أن افلتوا من العقوبة ، بعد أن أحاطت بهم حبائلها ، ومن هؤلاء أطباء الهادي العباسي ، فإنّه لما تطاول مرضه ، غضب على أطبائه وأمر بقتلهم ، ولكنّ موت الهادي خلّصهم من مصيرهم المرعب (تاريخ الحكماء ٤٣١ و ٤٣٢) ، وكذلك كان حال جبريل بن بختيشوع

طبيب الرشيد ، فإنّ الرشيد ، لما أشفى ، وهو بطوس ، في السنة ١٩٣ على الموت ، أتّهم طبيبه جبريل ، فهمّ بقتله ، وأن يفصّله ، كما فصّل أخا رافع ، ودعا بجبريل ليفعل به ذلك ، ثم أنظره إلى غدٍ ، فمات قبل الغد (الطبري ٨/٣٤٤) .

الباب الرابع عشر

الاحراق والتعذيب بالنار والماء المغليّ

تعريض المعذّب للنار ، لون من ألوان العذاب قديم ، وهو من أشدّ ألوان العذاب قسوة .

ولم أتوصّل إلى معرفة تاريخ البدء بهذا اللون من العذاب ، ولعلّه عرف منذ أن عرف الإنسان النار .

وقد روى لنا التاريخ ، أنّ ملكين من ملوك العرب ، سمّي كلّ واحد منهما محرّقاً ، أولّهما جفنة الأصغر الغسّاني ، أحرق الحيرة (الأعلام ٢/١٢٨) . وثانيهما عمرو بن هند اللخمي ، أحرق مائة من بني حنظلة ، كان آخرهم البرجمي الذي أبصر النار ، وشمّ القتار ، فجاء يطلب الطعام ، فأضحى طعاماً للنار ، وقيل فيه : إنّ الشقيّ وافد البراجم (سرح العيون ٢٤٠-٢٤٢) .

والهنود ، منذ القديم ، يحرقون أنفسهم ، ولكنّهم لا يعتبرون ذلك عذاباً ، وإنّما يعتبرونه تخليصاً للروح من شوائب الجسد ، للوصول إلى النيرفانا ، حيث يندمجون في الذات العليّة .

وكان مشركو قريش ، يعذّبون الضعفاء ممن أسلم ، بإلصاق ظهورهم ، وصدورهم ، بالرمضاء ، ويكوونهم بالرضف ، وهي الحجارة المحماة بالنار ،

والمعروف أنّ الرمضاء في الحجاز ، في حمارّة القيظ ، ليست بأقلّ أذى من النار .

وأذكر، على سبيل الاستطراد ، أنّ الشيخ علي الشرقي ، عليه رحمات الله ، حدّثني مرّة عن شدّة الحرّ في الحجاز ، فقال إنّه أحرم في جدّة ، وكان يسير منتعلاً ، في شارع من شوارعها ، وإذا بلذعة، في باطن احد قدميه ، كلذعة الجمر ، فكاد أن يغيب عن وعيه ، وإذا الذي كواه حصاة أصلتها نار الشمس ، فحميت حتى أصبحت مثل النار ، بل أصبحت ناراً ، وتكوّنت في قدمه ، مكان اللذعة ، غدّة ، لم ينفع فيها علاج ، ولم ينجع دواء ، ورافقته طول حياته .

وسمعني ـ رحمه الله ـ يوماً، أترنّم بأبيات لأبي الخطّاب عمر بن أبي ربيعة :

قل لفند يشيّع الأظعانا ... طالما سرّ عيشنا وكفانا
صادرات عشيّة من قديد ... واردات مع الضحى عسفانا

فالتفت إليّ ضاحكاً ، وقال : هل أبصرت عسفان، هذه التي تذكرها ؟ قلت: لا

قال : أنا أبصرتها ، وأنخت فيها ركابي ، وكان ذلك عندما حججت صحبة الحاج خيّون العبيد (وهو رئيس عشيرة العبودة، في قضاء الشطرة، جنوبي العراق) ، وكان الحرّ شديداً ، بحيث أنّ كل شيء يلمس ، يكوى اليد ، ووصلنا قبل الظهر إلى عسفان ، فانخنا جمالنا ، وأنزلنا أحمالنا ، واسترحنا في خيامنا ، وكان الذي يعنى بنا شابّ من جماعة الحاج خيّون ، قويّ البنية ، ضخم الجثّة ، وافر النشاط، وإذا به قد دخل علينا ، وشكا إلينا وجعاً في رأسه ، وبعد دقائق ، انتابه رعاف شديد ، ثم انطرح، ولم يلبث أن مات ، وكانت الشمس حادّة إلى درجة لا يمكن معها للإنسان أن يبارح

خيمته ، فأمر الشيخ أن يوضع تابعه الميت في إحدى العمّاريات (الكجاوات) ، إلى أن تنكسر الشمس ، ولما مالت الشمس ، وأمكننا أن نبارح خيمنا ، وجدنا هذا المسكين ، قد انتفخ من شدّة الحرّ ، إلى درجة لم يتمكّن أحد من إخراجه من العمّارية ، فدفنوه وهو فيها (طرائف ١٥ـ ١٦) .

وكان الإحراق بالنار ، لوناً واحداً لا يتبدّل ، أما التعذيب بالنار ، فكان على أشكال وألوان ، من تقريب إلى كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، إلى صبّ الزيت على الرؤوس وإقامة المعذّب في الشمس ، إلى الكيّ بالسيخ المحمّي ، إلى ملء الطست جمراً وإقعاد المعذب عليه ، أو وضعه على رأسه أو بطنه ، إلى الباس الرأس خوذة من الحديد المحمى بالنار ، وقد عاقب أحد محتسبي القاهرة ، بائع كنافة ، خالف التسعيرة ، فوضع صينيّة الكنافة، على النار ، وأقعده عليها ، أما السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، فكان من جملة ما يعذّب به الناس ، أن تحمى صفيحة الحديد ، ثم تلصق على صدر المعذّب ، فإذا قلعت ، ذهبت بجلد الصدر ، وبعض اللحم ، فيذرّ على الجرح ، البول والرماد ، ليكون ألم المعذب أشد .

أمّا التعذيب بحبس الإنسان في حمّام حارّ ، فقد كان متعارفاً في جميع الأوقات .

وثمة لون آخر من العذاب بالنار ، وهو العذاب بالماء المغليّ ، ويكون بسلق المعذّب في ماء مغليّ ، وهذا اللون من العذاب ، فضلاً عن كونه قليل الحدوث ، فهو لون ليس بالقديم ، وأوّل ما بلغنا عنه ، ما صنعه الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ ، على أثر التحكيم ، فإنّهم صبّحوا حيّاً من أحياء العرب ، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال وأخذوا قسماً من الصبيان ، فألقوهم في قدور الأقِط ، وهي تفور (مروج الذهب ٢ / ١٤٩) .

ثم غاب عنّا هذا اللون من العذاب ، حتى أعاده جنكيزخان ، فكان

يسلق الناس أحياء (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٧٥) ، وحاكاه في ذلك عز الدين كيكاوس ملك الروم (الذيل على الروضتين ١١٣) ثم تبعه السلطان أباقا ، سلطان المغول ، إذ أمر بمعين الدين البرواناه ، فقطعت أطرافه الأربعة ، ثم سلق في مرجل ، وأكل المغول لحمه (فوات الوفيات ٢/٧١).

وثمة لون آخر من العذاب بالماء المغليّ ، لم يبلغنا عنه إلاّ خبر واحد ، وهو الحقن بالماء المغليّ ، فقد ذكر صاحب مروج الذهب ٢/٤٦٢ ، أنّ الأتراك حقنوا المعتزّ بماء مغليّ ، فورم جوفه ، ومات . وعلى هذا ، فإنّ هذا الباب ، يشتمل على فصلين اثنين :

الفصل الأول : التعذيب بالنار ، ويقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الإحراق بالنار .

القسم الثاني : الكيّ بالنار .

الفصل الثاني : التعذيب بالماء المغليّ، ويقسم إلى قسمين :

القسم الأول : السلق بالماء المغليّ .

القسم الثاني : الحقن بالماء المغليّ .

الفصل الأول
التعذيب بالنار

القسم الأول

الإحراق بالنار

حَرَقَ ، وحَرَّقَ ، وأحرق بالنار : جعل النار تؤثّر فيه أثرها المعهود .

أوّل من بلغنا خبر إحراقه ، عبد بني الحسحاس ، فإنّه شبب بفتياتهم ، فحفروا له أخدوداً وألقوه فيه ، وألقوا عليه الحطب ، فأحرقوه (الأغاني ٢٢/٣٠٩) .

أقول : اسم هذا العبد سحيم ، وكان عبداً أسود نوبيّاً أعجمياً ، مطبوعاً على الشعر ، وهو القائل :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

وهو القائل :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة ... فكيف إذا جدّ المطي بنا شهرا

والأبيات التي دفعت بني الحسحاس الى قتله هي :

تجمّعن من شتى ثلاث وأربع ... وخامسة حتى بلغن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني ... ألا إنّما بعض العوائد دائيا
فما بيضة بات الظليم يحفّها ... ويرفع عنها جؤجؤاً متجافياً
بأحسن منها يوم قالت أظاعن ... مع الركب أم باق لدينا لياليا
وهبّت شمال آخر الليل قرّة ... ولا درع إلّا بردها وردائيا
توسّدني كفّاً وتثني بمعصم ... عليّ وتحوي رجلها من ورائيا
فما زال بردي طيباً من ردائها ... مدى الحول حتى أنهج البرد باليا

وفي السنة ٣٨ بعث معاوية بن أبي سفيان ، إلى البصرة ، عبدالله بن الحضرمي ، يدعو أهلها إلى الانتفاض على عليّ ، فبعث عليّ من الكوفة أعين بن ضبيعة المجاشعي ، لإخراج ابن الحضرمي من البصرة ، واقتتل أصحاب أعين وأصحاب ابن الحضرمي ، فقتل أعين ، فبعث عليّ ، قائده جارية بن قدامة السعدي ، وهو من كبار قوّاده ، في خمسين رجلاً من بني تميم ، فلما وصل البصرة ، تفرّق عن عبدالله بن الحضرمي أكثر أنصاره، وتحصّن عبدالله في دار مع سبعين رجلاً من أصحابه ، فأحرق عليهم جارية الدار ، وأحرقهم فيها جميعاً (الطبري ٥/ ١١٠ـ ١١٢) .

وفي السنة ٦٦ أحرق بالنار ، أحد قتلة الحسين ، عليه السلام ، وهو زيد بن رقاد الجنبي ، وكان يقول: رميت فتى من آل الحسين بسهم ، وإنّه لواضع كفّه على جبهته يتقّي النبل ، فأثبتُّ كفّه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل كفّه ، ثم رميته بسهم آخر ، فقتلته ، ثم جئت إليه ميتاً ، فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ، أما السهم الذي في جبهته، فلم أزل انضنضه حتى نزعته ، وبقي النصل مثبتاً في جبهته ، ما قدرت على نزعه ، وهذا الفتى القتيل عبدالله بن مسلم بن عقيل ، فلما استولى المختار الثقفي على الكوفة ، بعث قائده عبدالله بن كامل الشاكري ، فأحاط بدار زيد ، وأمر رجاله فاقتحموها عليه ، فخرج عليهم مصلتاً سيفه ، فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ، ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه بالحجارة ، ففعلوا به ذلك ، فسقط، وأخرجوه وبه رمق ، فدعا بنار ، فأحرقه بها وهو حيّ لم تخرج روحه (الطبري ٦/ ٦٤ـ ٦٥ وابن الأثير ٤/ ٢٤٣ وانساب الأشراف ٥/ ٢٣٩) .

وفي السنة ١١٩ خرج وزير السختياني على خالد القسري ، في نفرٍ ، وكان مخرجه بالحيرة ، فوجّه إليه خالد قائداً من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل عامّة أصحابه ، وأثخن بالجراح ، فأخذ مرتثّاً ، وأحضر أمام خالد ، فأعجب

خالداً ما سمع منه ، ونفس به على الموت ، وحبسه ، فكتب إليه هشام ، يطلب منه أن يقتله ، فأمر به وبمن أسر من أصحابه ، فأخذوا إلى جامع الكوفة ، وأدخلت أطنان القصب فشدّوا فيها ، ثم صبّ عليهم النفط ، ثم اخرجوا فنصبوا في الرحبة ، ورموا بالنيران ، فاضطربوا وجزعوا ، إلاّ وزير فإنّه لم يتحرّك ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات. (الطبري ٧/ ١٣٤).

وفي السنة ١١٩ قبض خالد بن عبدالله القسري أمير العراق ، على المغيرة بن سعيد وبيان ، في نفر من أصحابهما ، خرجوا بظهر الكوفة ، فاحضرهم في جامع الكوفة ، وأمر بأطنان قصب (الطن هو الحزمة) ونفط ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنّاً ، فكعّ عنه ، فصبّت السياط على رأسه ، فتناول طنّاً فاحتضنه ، فشدّ عليه ، ثم صبّ عليه وعلى الطنّ النفط ، ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ذلك فأحرقهم كلّهم . (الطبري ٧/١٢٨-١٢٩ وابن الأثير ٥/٢٠٨).

أقول : كان خروج المغيرة بن سعيد ، في ستّة نفر ، وكانوا يسمّون الوصفاء ، وكان بيان قد أدّعى النبوّة ، وزعم إنّه المراد بقوله تعالى في القرآن : هذا بيان للناس ، وبلغ خالداً خروج هؤلاء النفر بظهر الكوفة ، وهو يخطب على المنبر ، فتحيّرو وحصر ، وقال : أطعموني ماءً ، ثم بعث فأخذهم، وأمر بسريره فوضع في المسجد الجامع ، وأمر بالقصب والنفط فأحضرا ، وأحرقهم ، فقال الشاعر يعيّره بالجبن : (ابن الأثير ٥/٢٠٧-٢٠٨).

لأعلاج ثمانية وشيخ　　　كبير السن ليس بذي نصير
تقول من المخافة : أطعموني　　　شراباً ثم بلت على السرير

وفي السنة ١٣٠ بعث مروان الجعدي ، عبد الملك بن محمد بن

عطية ، على رأس جيش إلى المدينة ، فقاتل أبا حمزة الخارجي ، وقتله ، ثم امتدّ إلى اليمن ، واستخلف على المدينة ابن أخيه واسمه الوليد بن عروة ، فكتب مروان الى عبد الملك أن يحجّ بالناس ، فخرج من اليمن في نفر من أصحابه ، قيل عددهم اثنا عشر رجلاً ، حتى نزل الجرف ، فأحاط به وبأصحابه ابنا جمانة المراديّان ، وقالا لهم : أنتم لصوص ، فأراهما عهده على الحجّ ، فقالا : هذا باطل ، وأنتم لصوص وقتلا عبد الملك ومن معه ، فلما أبطأ عبد الملك ، افتعل الوليد بن عروة ، ابن أخيه ، كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، وحج بهم ، ولما بلغه قتل عمّه ، مضى إلى الذين قتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنار من قدر عليه منهم (الطبري **٧/٣٩٨- ٤١١** وابن الأثير **٥/٣٩١- ٣٩٢- ٤٠٢**).

وفي السنة ١٦١ لما أحسّ المقنّع الثائر بالهلاك ، جمع أهله ونساءه ، وسقاهم السمّ ، فأتى عليهم ، ثم أمر أن يحرق هو وكل ما في قلعته من دابّة وثوب ، ثم قال : من أحبّ أن يرتفع معي إلى السماء ، فليلق نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أصحابه وخواصّه في النار ، فاحترقوا ، ودخل العسكر القلعة ، فوجدوها خالية خاوية (ابن الأثير ٦/٥١ و٥٢) .

وفي السنة **٢٠٠** اسر جيش المأمون بالبصرة ، زيد بن موسى بن جعفر العلوي ، وكان يقال له : زيد النار ، لكثرة ما أحرق من دور بني العبّاس بالبصرة ، وكان إذا جيء اليه برجل من المسوّدة (أتباع العبّاسيّين) كانت عقوبته عنده ، أن يحرقه بالنار (الطبري **٨/٥٣٥** وتجارب الأمم **٦/٤٢٤**).

وفي السنة **٢٢٥** أحرق غنام المرتدّ بالنار (الطبري **٩/١٠٣**).

أقول : جاء في تجارب الأمم **٦/٥١٦** غنام المرثد ، بالثاء ، وأحسب أنّ الصحيح ما ورد في الطبري ، ولم أعثر على أخبار له في بقيّة التواريخ ، وأحسبه أحرق لأنّه أرتدّ عن الإسلام .

وفي السنة ٢٧٦ أمر أحمد بن طولون ، صاحب مصر والشام ، بحبس كاتبه احمد بن حنون الفديدي ، كاتبه ، على ذنب كان منه ، فكتب اليه من الحبس رسالة يسأله العفو ، وكتب في فصل منها : وانقياد مثلي - أعزّ الله الأمير - إنقياد من دحضت حجّته ، وأوبقه جرمه ، فآلحظني بعين عفوك ، واعطف عليّ بنشر نعمتك ، فإنّك للفضل والطول أهل .

هبني أسأت فأين العفو والكرم إن قادني نحوك الإذعان والندم
بالغت في السخط فاغفر غفر مقتدر إنّ الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فلما قرأ رسالته ، قال : يكتب إلي « هبني أسأت » وقد أساء ، والله ، لو كتب « إنّي أسأت » لعفوت عنه ، وأطلقت سبيله ، ثم أمر به فجعل في تابوت ، وأحرقه بالنار وهو حيّ (العيون والحدائق ٤/١٢٠-١٢١) .

وفي السنة ٢٨٠ قبض المعتضد على محمد بن الحسن بن سهل ، الملقب : شيلمة ، وكان قد اتّهم بأنّه يسعى لبيعة خليفة من أولاد الواثق ، فصدقه عن المؤامرة ، ولكنّه لم يبح باسم من أرادوا بيعته ، فاجتهد به ، وألحّ ، فقال له : والله ، لو جعلتني كردناكاً (شاورما) لم أخبرك باسمه ، فقال المعتضد للفراشين : هاتم أعمدة الخيم الكبار الثقال ، وأمر أن يشدّ عليها شداً وثيقاً ، وأحضر فحماً كثيراً فرش على الطوابيق بحضرته ، وأجّجوا ناراً ، وجعل الفراشون يقلّبون شيلمة على النار ، وهو مشدود على الأعمدة ، حتى انشوى ومات ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي حـ ١ ص ١٤٦ رقم القصة ٧٣/١ وراجع الطبري ٣٢/١٠ وابن الأثير ٤٦١/٧ ومروج الذهب ٥٠٤/٢) .

وفي السنة ٣١٢ ظهر في سطح دار للسيدة (أمّ المقتدر) كان المقتدر يقيم بها في بعض الأوقات ، إنسان اعجميّ ، وعليه ثياب فاخرة ، وتحتها مما

يلي بدنه قميص صوف ، وكان قد دخل مع الصنّاع ، فبقي هناك ، ثم عطش ، فخرج ليشرب ، فأخذ ، فأحضر عند الوزير ابن الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : لا أخبر إلّا صاحب الدار ، فرفق به الوزير ، فلم يخبره بشيء ، فضربوه ضرباً عنيفاً ، فأخذ يكرّر بالفارسية ، كلمة واحدة : ندانم ، معناه : لا أدري ، فأمر به الوزير ، فصلب ، ولفّ عليه حبل من قنّب ومشاقة، ولطّخ بالنفط ، وضرب بالنار ، فاحترق (ابن الأثير ١٤٦/٨ وتجارب الأمم ١١٨/١ والمنتظم ١٨٧/٦ - ١٨٨) .

وفي السنة ٣١٧ كان الأمير نصر بن احمد الساماني ، قد حبس اخوته يحيى ومنصور وإبراهيم ، في القهندز ببخارى ، فاحتال أبو بكر الخبّاز ، وكان خبّازاً ببخاري ، فأخرج من القهندز الأمراء المسجونين ، وأخرج معهم جميع من كان مسجوناً فيه من العلويّين ، والديلم ، والعيّارين ، فاجتمعوا ونهبوا خزائن الأمير نصر بن أحمد ، ودوره ، وقصوره ، واختصّ يحيى أبا بكر الخبّاز ، وقدّمه ، وقوّده ، فقصدهم الأمير نصر من نيسابور يريد بخارى، وأسر في طريقه أبا بكر الخباز ، فأخذه إلى بخارى ، وبالغ في تعذيبه ، ثم ألقاه في التنّور الذي كان يخبز فيه ، فاحترق (ابن الأثير ٢٠٨/٨ - ٢١٠) .

وفي السنة ٣١٨ أحرق صاحب الشرطة ببغداد ، منازل الجند السودان ، فأحترق فيها جماعة كثيرة منهم ، ومن أولادهم ونسائهم ، وسبب ذلك إنّ الرجّالة المصافية ببغداد ، لما عاد المقتدر إلى الخلافة عودته الثانية ، كثر إدلالهم عليه ، لأنّهم كانوا السبب في عودته للخلافة ، وزاد شغبهم ، ومطالباتهم ، وآصطدموا بالفرسان ، فقتلوا من الفرسان جماعة ، فأمر المقتدر صاحب الشرطة فطرد الرجّالة عن دار المقتدر ، ونودي فيهم بأن يخرجوا عن بغداد ، وظفربجماعة منهم بعد النداء ، فأمر بهم فضربوا ، وحلقت لحاهم وشهرّ بهم ، فهاج السودان تعصّباً للرجّالة ، فركب صاحب الشرطة ، وأوقع بهم ، وأحرق منازلهم ، فآحترق فيها جماعة كثيرة منهم ، ومن أولادهم ،

ونسائهم ، فخرجوا إلى واسط واستولوا عليها ، وطردوا عامل السلطان ، فسار إليهم مؤنس ، فأوقع بهم ، ولم تقم لهم بعدها راية (ابن الأثير ٣١٨/٨ و٣١٩) .

وفي السنة ٣٢٢ ظهر أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، المعروف بابن أبي العزاقر ، وذكروا إنّه أنشأ ديناً جديداً ، وصار له أتباع ، فأفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فصلب ، وصلب معه ابن أبي عون ، صاحب كتاب التشبيهات ، ثم أحرقا بالنار ، راجع التفصيل في ابن الاثير ٢٩٠/٨ - ٢٩٤ وفي وفيات الاعيان ١٥٦/٢ وفي هذا الكتاب : الباب الثالث ، الفصل الثاني : الصفع .

وفي السنة ٣٣٤ حصل قحط وغلاء شديد في بغداد ونواحيها ، وعثروا على امرأة قد شوت ولدها وجلست تأكله ، وقال التنوخي : أخبرني عدّة من أهل بغداد إنّ هذا جرى عندهم ، وإنّهم شاهدوه ، وآختلفت أقوالهم ، فمنهم من قال : إنّ امرأة شوت إبناً لجارة لها ، ومنهم من قال : إنّها شوت إبناً لها ، ومنهم من قال : إبنة جارتها ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج١ ص ٣٥١ رقم القصة ١٨٨ .

وفي السنة ٤٠٤ أمر الحاكم الفاطمي بإحراق امرأة ، فلفّت في بارية ، وأحرقت (أخبار القضاة ٦٠٦ و٦٠٧) .

وفي السنة ٤٠٧ جرى قتل الشيعة بجميع بلاد إفريقية، وأحرق قسم منهم بالنار ، راجع السبب في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب : القتل ، الفصل الأول : القتل بالسيف ، القسم الأول : القتل فتكاً .

وفي السنة ٤١٣ عمد أحد الحجّاج المصريين إلى الحجر الأسود ، فضربه بدبوّس ، وصاح : إلى متى يعبد هذا الحجر ؟ فتبادر إليه الناس فقتلوه ، وقطّعوه ، وأحرقوه بالنار ، وقتلوا جماعة ممّن آتّهم بمصاحبته ، وأحرقوهم بالنار (المنتظم ٩/٨) .

وفي السنة ٤٨٨ تغلّب السيد القنبيطور (رودريق الطاغية) على بلنسية ، فأحرق قاضيها أبا أحمد بن حجاف (نفح الطيب ٤/٤٥٥) كما أحرق أبا جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي (نفح الطيب ٤/٢١ و٤٥٦) .

وفي السنة ٤٩٠ فتح الصليبيون القدس ، فجمعوا اليهود في الكنيس ، وأحرقوهم (خطط الشام ١/٢٨٢) .

أقول : ذكر ابن الاثير ١٠/٢٨٢ إنّ فتح بيت المقدس حصل في السنة ٤٩٢ وإنّهم قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبّادهم ، وزهّادهم ، ممن فارق وطنه وجاور بذلك الموضع الشريف .

وذكر صاحب كتاب علاقات بين الشرق والغرب ٧١ : إنّ الصليبيّين آستولوا في السنة ١٠٩٩ م على بيت المقدس ، وقاموا بمذبحة « خاض فيها رجالهم بالدماء إلى الركب» وآندفعوا يذبحون كلّ من رأوه ، حتى الذين آستسلموا وأسروا ، وجمعوا اليهود في معبدهم ، ثم أحرقوا المعبد ، وأحرقوهم في داخله .

وفي السنة ٤٩٤ ثار الناس بأصبهان ، ضدّ المتّهمين بالباطنية ، وأخذ قومٌ اتّهموا بهذه النحلة ، وتجرّد أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي ، الفقيه الشافعي ، لعقوبتهم ، وأمر بحفر أخاديد ، وأوقد فيها النيران ، وجعل العامّة يأتون بالمتّهمين بهذه النحلة ، أفواجاً ومنفردين ، فيلقون في النار ، وجعلوا على أخاديد النار ، إنساناً ، وسمّوه مالكاً اسم خازن جهنم ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . (ابن الاثير ١٠/٣١٥) .

وفي السنة ٥١٤ هاجم الكرج والقفجاق ، مدينة تفليس ، فخرج إليهم قاضي تفليس وخطيبها في طلب الأمان ، فأحرقوهما (عيون التواريخ ١٠٤) .

وفي السنة ٥٤٨ اتّهم روجر الصقلي ، أحد قواده واسمه فليب المهدويّ ، بأنه قد أسلم ، وأنه يتظاهر بالنصرانية ، فجمع له مجلساً من الاساقفة والقسوس والفرسان ، فحكموا عليه بأن يحرق ، فأحرق . (ابن الاثير ١١/١٨٧) .

وذكر ابن الأبّار ، في تحفة القادم ، أنّ ابراهيم بن أحمد بن همشك (ت ٥٧٢) كان قد ملك في الفتنة جيّان ، وشقورة ، وكثيراً من أعمال غرب الأندلس ، كان يعذّب الناس بإحراقهم ، وبرميهم بالمجانيق ، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق (الوافي بالوفيات ١/٢١٤) .

وفي الاعلام ١٠/٥ : إنّ إبراهيم هذا كانت إحدى أذنيه مقطوعة ، فكان الأسبان إذا رأوه في المعركة عرفوه من أذنه المقطوعة ، وقالوا بالأسبانية : همشك ، أي المقطوع الأذن ، راجع بقيّة التفاصيل في هذا الكتاب في الباب السادس عشر : القتل بصنوف العذاب ، الفصل الثامن : القتل بالطرح من شاهق .

وفي السنة ٥٧٩ فرّ أبو الحسن المالقي المغربي ، من السلطان أبي يعقوب الموحّدي ، إلى ملك الروم ، فأكرمه الملك وأحسن نزله ، ثم عثر على كتاب منه إلى المسلمين بالمغرب ، يدلّهم فيه على عورات الروم ، فأحضره ، فأقرّ بأنه كتب الكتاب ، وقال له : ليس يمنعني برّك بي وإكرامك لي من النصح لأهل ديني ، فشاور الملك قسّيسيه ، فأشاروا عليه بإحراقه ، فأحرقه . (المعجب للمراكشي ٣٣٣/٣٣٤) .

وفي السنة ٥٧١ وقعت حرب بمكّة بين أمير الحاجّ العراقي ، والأمير مكثر أمير مكّة ، ومن أعجب ما جرى فيها إنّ إنساناً زرّاقاً ، ضرب داراً بقارورة نفط ، فأحرقها ، وكانت لأيتام ، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكاناً آخر ، فأتاه حجر ، فأصاب القارورة فكسرها ، فاحترق هو بها ، وبقي ثلاثة أيّام ، يعاني عذاب الحريق ثم مات (ابن الأثير ١١/٤٣٢) .

وفي السنة ٥٩٧ حصل قحط عظيم بمصر ، صنّف فيه عبد اللطيف البغدادي كتاباً ، وذكر فيه : أنّ الحال وصل بالناس إنّهم كانوا يأكلون الصغار ، فكان السلطان يأمر باحراق الفاعل ، وذكر أنّه رأى صبيّاً مشويّاً في قفّة ، وقد أحضر ألى دار السلطان ومعه رجل وآمرأة ، وزعم الناس انّهما أبواه ، فأمر بإحراقهما ، وذكر كذلك أنّه رأى آمرأة في السوق ومعها صغير مشويّ وهي تأكل منه وأهل السوق ذاهلون عنها ، مقبلون على أشغالهم ، ولم ير فيهم من يعجب من فعلها ، ورأى قبل ذلك صبيّاً مراهقاً مشويّاً ، وقد أخذ به شابّان أقرا بقتله ، وشيّه ، وأكل بعضه ، وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب ، كان مع جارية ، فطيم تلاعبه لبعض المياسير ، فبينما هو إلى جانبها طلبت غفلتها صعلوكة ، فبقرت بطنه ، وجعلت تأكل منه نيئاً ، وأحرق في مصر من النساء خاصّة بسبب قتل الصغار وأكلهم في أيّام يسيرة آلاف النساء ، ورأى آمرأة أحضرت إلى الوالي وفي عنقها طفل ، فضربت أكثر من مائتي سوط على أن تقرّ ، فلم تحر جواباً ، ثم سحبت فماتت على المكان ، وكان إذا أحرق آكل ، أصبح مأكولاً ، وحكى له رجل إنّه دخل دار صديق له ، فوجد عنده خزانة مشحونة برمم الآدميين ، واحتيل على بعض الأطبّاء ، كانوا يأخذونهم بحجّة تمريض مريض ، فيقتلون . (الجامع المختصر ٤٨ - ٥٠) .

وفي السنة ٦٠٤ قتل رجلان، من رجال البدرية الشريفة في دار الخلافة ببغداد إسم أحدهما براها ، والآخر عليك ، أحد النقباء بباب الشحنة ، ويعرف بابن حسّان ، إذ لقياه في محلّة المأمونية ، وهو على فرس ، فنكّسه أحدهما ، وطعنه الثاني بسكين ، ففرّ من يديهما ، ودخل داراً ، وأغلق بابها ، وصعد إلى سطحها ، فتسوّر عليه جماعة من العوامّ ، وألقوه من السطح على رأسه ، وشدّوا في رجله حبلاً ، وسحبوه وهو حيّ ، وحملوه إلى دجلة ، وألقوه فيها ، ثم أخرجوه فأحرقوه (الجامع المختصر ٢٢٧) .

وفي السنة ٦٠٥ لما قتل سنجر شاه ، وخلفه ولده محمود ، اتهم بعض سراري أبيه ، بأنهنّ تآمرن مع القاتل ، فأحرقهنّ بالنار ، كان يأخذ الجارية ، فيجعل وجهها في النار ، فإذا احترق ، ألقاها في دجلة . (ابن الاثير ٢٨١/١٢) .

وفي السنة ٦١٥ خرج كيكاوس بن كيخسرو ، ملك الروم ، بجيشه يريد الاستيلاء على حلب ، وحصرتل باشر ، وآستولى عليها ، ووضع فيها جنداً ، ثم تقدّم يريد منبج ، فتصدّى له الأشرف بن العادل ، وحاربه ، فانهزم كيكاوس ، وحصر الاشرف تل باشر ، وأنزل أصحاب كيكاوس من القلعة بالأمان ، وأطلقهم ، فلما وصلوا إلى كيكاوس ، اتّهمهم بالتقصير ، وسلق جماعة منهم في القدور ، وجعل آخرين في دار وأحرقها وهم فيها (ابن الاثير ٣٤٩/١٢ والنجوم الزاهرة ٢٢٤/٦) .

ومن ألوان العذاب العجيبة ، ما صنعه جنكيزخان ، بإينال خان ، ابن خال خوارزم شاه علاء الدين ، وذلك بأن أذاب الفضّة ، وصبّها في عيني إينال خان وأذنيه ، وسبب ذلك : إنّ جنكيز خان ، بعث في السنة ٦١٦ إلى خوارزم شاه بهدية من نقرة المعدنين (أي الذهب والفضّة) ونوافج المسك ، وحجر اليشم ، والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الإبل البيض ، وطلب منه الموادعة ، والإذن للتجّار بالتردّد بمتاجرهم من الجانبين ، وكان في خطابه إطراء للسلطان خوارزم شاه ، بأنّه مثل أعزّ أولاده ، فآمتعض خوارزم شاه من هذا الوصف ، ولكنّه صرف الرسل بما طلبوا من الموادعة والأذن للتجّار ، وعلى أثر ذلك ، وصل بعض التجّار من بلادهم إلى مدينة اطرار، وهي آخر ولاية بحكم خوارزم شاه ، وبها نائب عنه ، اسمه إينال خان ، ابن خال السلطان ، فطمع إينال خال في الأموال التي كانت مع التجّار، فآعتقلهم ، وكتب إلى السلطان خوارزم شاه ، بأنّهم عيون (جواسيس) وليسوا بتجّار ، ثم أخذ أموالهم وقتلهم ، وبلغ ذلك جنكيز خان ، فكتب الى خوارزم شاه ، ينكر

عليه قتلهم ، وسلب أموالهم ، وقال في كتابه، إن كان هذا صنع إينال خان ، فـآبعث به إليّ ، فغضب خـوارزم شاه ، وقتـل الرسـل ، فهاج هـائـج جنكيـز خان ، وسار في عسـاكره ، فـاحتّل أطـرار أولاً ، وأمسك إينـال خان ، وأذاب الفضّـة ، وصّبها في عينيـه وأذنيـه ، ثم اجتـاح بـلاد المسلمين ، وفعـل فيهـا الأفاعيل (ابن خلدون ٥/٥١٨ و٥١٩) .

وفي السنـة ٦٨٧ في رمضـان ، وجـد عنـد بـدر بن النفيس النصراني الكاتب ، امرأة مسلمة ، وجماعة ، وهم يشربـون الخمر ، فـأمر الأميـر حسام الدين لاجين نائب السلطنة ، بأن يحـرق النصراني ، فـأضرمت لـه نار بسـوق الخيل ، وألقي فيها ، وأما المرأة فقـطع بعض أنفها ، ثم أطلقت (تـاريخ ابن الفرات ٨/٧١) .

وفي السنة ٧٢١ كثرت الحرائق بالقاهرة ، واتّهم جماعة ، بـإحداثهـا ، فـأخذ منهم أربعـة ، وأحرقـوا بشـارع صليبـة جـامـع ابن طـولـون ، في يـوم الجمعة ، وآجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم ، ثم أحرق اثنان آخـران . (خطط المقريزي ٢/٥١٥) .

وفي السنـة ٧٣٥ غـزا عسكـر حلب ، الأرمن في مـدينــة سيس وأذنـه وطرسوس ، وغنموا ، وأسروا ، فلما علم أرمن مدينـة إياس بـذلك ، أحـاطوا بمن عنـدهم من المسلمين ، وكـانـوا نحـواً من ألفين ، من تجـار وغيـرهم ، وحبسوهم في خان ، ثم أحرقوه عليهم (خطط الشام ٢/١٤٨) .

وذكر ابن بطوطة ، إنه لما كان بالهند ، حصلت فيهـا مجاعـة عظيمـة ، فـأخذ خمسمـائة نفس ، عمّـرلهم سقـائف في داره ، وأسكنهم فيهـا ، وكـان يعطيهم نفقة كـلّ خمسة أيّـام مرّة ، فجـاءوه بامـرأة قـالـوا إنّهـا « كفتـار » أي سـاحرة ، وإنّهـا أكلت قلب صبيّ كـان إلى جـانبهـا ، وأتـوا بـالصبي ميتـاً ، فأرسلها إلى نائب السلطان ، فأمر باختبـارها ، وذلـك بأن مـلأوا أربع جـرّات

ماء ، وربطوها بيديها ورجليها ، وطرحوها في نهر الجون ، فلم تغرق ، فعلم إنّها كفتار ، ولو لم تطف على الماء ، لم تكن بكفتار، فأمر بإحراقها بالنار ، وجاء أهل البلد ، رجالاً ونساءً ، فأخذوا من رمادها ، ويزعمون أنّ من تبخّر به أمن في تلك السنة من سحر الكفتار (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٦٥ - ١٦٦) .

أقول : وهكذا ذهبت هذه المسكينة ضحية الجهل والقسوة .

وفي السنة ٧٦٨ رسم السلطان بالقاهرة بتعذيب الصاحب فخر الدين بن قروينة لاستخراج ما عليه من الأموال المقرّرة ، فضرب غير ما مرّة بالمقارع ، ولفّت أصابعه اليمني بالمشاق ، وغمست في الزيت ، ثم أشعلت بالنار ، حتى أحترقت يده كلّها ، واستمّر يعاقب حتى مات تحت العقوبة . (بدائع الزهور ١/٢/٥٥ و٦٤) .

وفي السنة ٧٩٥ اجتمع بالقدس أربعة رهبان ، دعوا الفقهاء لمناظرتهم ، فلما آجتمعوا جهروا بالسوء من القول » وصرّحوا بذم الإسلام ، فثار الناس عليهم ، فأحرقوهم (شذرات الذهب ٦/٣٣٧) .

ولما استولى تيمورلنك على بغداد في السنة ٧٩٥ فرض على الناس في بغداد ، مال الأمان ، وعذّبهم على أدائه ، وكان يشوي الناس على النار كما يشوى طائر الأوز أو طائر الدجاج (تاريخ الغياثي ص ١١٣ حاشية ونزهة النفوس ص ٣٦٦) .

وذكروا أنّ تيمورلنك ، لما فتح دمشق في السنة ٨٠٣ تنوّق زبانيته في تعذيب أهليها ، فكان أحدهم يشدّ رأس الرجل بحبل قنّب ، ثم يلويه ليّاً عنيفاً حتى يغوص الحبل في رأسه ، ثم يؤخذ من تحت أبطيه ، وتربط إبهام يديه من وراء ظهره ، ثم يلقى على ظهره ، ويغمّ بخرقة فيها رماد سخن ، ويعلّق من إبهام رجليه في سقف الدار ، ثم توقد تحته النار حتى يموت ، أو يسقط من الحبل في النار (بدائع الزهور ١/ ٣٣٤) .

وفي السنة ٨١٣ أمر شاه محمد بن قرايوسف ، في بغداد بأحراق شاب سعى بأبيه ، وتفصيل ذلك ، إنّ شاه محمد بن قرايوسف ، لما دخل ببغداد ، قصده ابن الشيخ أحمد السهروردي ، وسعى بأبيه ،وقال عنه أنّه يزعم بأنّ السلطان أحمد ـ خصم قرايوسف ـ ما زال حيّاً ، فأمر شاه محمد ، بأحضار الشيخ أحمد ، فأحضر ، وسأله ، فأنكر ، فبهته إبنه ، وأصّر على السعي بأبيه ، فقال له شاه محمد : إن كنت صادقاً ، فخذ هذا السيف وآقتل به أباك ، فأخذ السيف ، وقطع عنق أبيه ، فأمر شاه محمد بالولد ، فأحرق (التاريخ الغياثي ٢٤٧) .

وكان من جملة ما ارتكبه الأمير يشبك الدوادار في السنة ٨٧٤ في صعيد مصر من المظالم أن شوى بالنار شيخ بني عديّ . (بدائع الزهور ٢/١١٦) .

وفي السنة ٨٩٦ وقعت فتنة عظيمة في حلب ، بين الأمير نائب السلطان فيها وبين أهلها ، وقتل في الفتنة من مماليك النائب سبعة عشر مملوكاً ، وقتل من أهل حلب نحو الخمسين ، وأحرق أهل حلب جماعة من حاشية النائب بالنار (اعلام النبلاء ٣/١٠٤) .

وكان من جملة ما عذّب به السلطان الغوري ، القاضي بدر الدين بن مزهر ، كاتب أسرار القاهرة ، في السنة ٩١٦ أن أمر به فلفّ القصب والمشاق على يديه ، فاحترقتا ، ومات تحت العذاب . (شذرات الذهب ٨/٧٤) .

وفي السنة ٩٤٢ أحرق القاضي شمس الدين محمد بن يوسف الدمشقي الحنفي ، وأحرق معه رفيق له يقال له حسين البقسماطي ، وكان سبب إحراقهما ، ما ثبت عند قاضي دمشق « إنّهما رافضيان » فربطت رقابهما ، وأيديهما ، وأرجلهما ، في أوتاد ، وألقي عليهما القنّب ، والبواري ، والحطب ، ثم أطلقت النار عليهما ، حتى صارا رماداً ، ثم ألقي رمادهما في

بـردى ، وسئل الشيخ قطب الـدين بن سلطان ، مفتي الحنفيـة عن قتلهمـا ، فقـال : لا يجـوز في الشـرع ، بـل يستتـابـان (شـذرات الـذهب ٨/ ٢٤٩ و٢٥٠) .

ومما اتّفق للشيخ أحمد بن محمد ، المشهور بابن حماره ، المتوفّى سنة ٩٥٣ ، إنّه كان يعظ بالجامع الأموي بحلب ، إذ طلع إليه شخص شيعي ، متحرّياً قتله ، فتمكن أهل السّنة منه ، وحملوه الى كافل حلب خسرو باشا ، فأمر بقتله ، فأخذه الناس ، وألقوه في النار حيّاً ، « وكان يوماً مشهوداً سرّ به أهل السنّة » (اعلام النبلاء ٥/ ٥٥١) .

وفي السنة ١٠١٩ توفّي الأمير حسن بن محمد ، المعروف بابن الأعوج، أمير حماة ، ومن غريب ما آتفق له ، إنّه كان من أقربائه شاب آسمه الأمير يحيى ، بارع الجمال ، وكان الأمير حسن يحبّه بمنزلة ولده ، وعيّن له معلّماً من طلبة العلم ، يقرئه العلم ، والأدب ، فواظب على تعليمه زمناً ، وحدث أن بنى الأمير حسن داراً عظيمة ، ودعا أعيان البلدة إليها بعد أن فرشها ، وكان الأمير يحيى من جملة المدعوين ، وسهر المدعوّون قريباً من الثلث الأخير للّيل ، وعاد الأمير يحيى فنام مستغرقاً ، وفي الصباح جاء الفقيه إلى يحيى ، وطلب من الجارية أن توقظ الأمير يحيى للدرس ، فقالت له : إنّ الأمير سهر ليلاً ، وهو الآن نائم ، واليوم الجمعة لم تجر العادة فيه بالدرس ، فقال لها الفقيه إنّ لي حاجة مهمة ، أريد أن توقظيه ، فأيقظته ، فخرج مسرعاً للقاء الفقيه ، فما كان من الفقيه إلاّ أن جرّد سكيناً ، وطرح الأمير على الأرض ، وذبحه ، وخرج من الدار هارباً ، ففطنت الجارية لما حصل ، وصاحت، وآستغاثت ، فلحق الناس بالفقيه ، وأرادوا إمساكه ، فقاتل قتالاً شديداً ، وقتل ثلاثة رجال ، ثم ضربه رجل بحجر كبير في ظهره ، فسقط ، فأمسكوا به ، وأحضروه بين يدي الأمير حسن ، فسأله عن سبب قتله الأمير ، فلم ينطق بحرف ، فأمر بإحراقه ، فجمعوا له حطباً ، وأوقدوه ، ثم ألقوه في

النار ، فآحترق ، والذي يظهر إنّ قتله لـه كان عن ولـوع وهيام بـه ، ورأى أنّه إذا قتله تخلّص مما هو فيه من المشقّة لأنّـه يقتل بـه فيستريـح (خلاصـة الاثر ٤٨/٢ و٤٩) .

وفي السنـة ١٠٢٨ حـدثت ببغـداد فتنـة بين بكـر اغـا رئيس الشـرطـة ببغداد ، وبين رئيس العزب ، والتجأ الأخير إلى الـوالي فحماه ، وتحصّن في القلعة ، وحاصره بكر اغا ، وآستسلم رئيس العزب بعد أن أمّنه بكـر اغا ، ثم غدر به ، فأمر به وبولديه ، فـربطوا بـالسلاسـل ، ووضعوا في زورق ، وصبّ عليهم النفط ، وأضرمت فيهم النار ، والـزورق منحدر في دجلة ، حتى مـاتوا جميعاً محترقين (مختصر تاريخ بغداد لعلي ظريف الاعظمي ١٧٩ ـ ١٨١) .

وروى صاحب الاثر ٣٨٢/١ ـ ٣٨٤ و٤٥٥ قصة مقتل بكـر الصوبـاشي فقال : في السنة ١٠٣٢ قتل بكر البغدادي هو وأخـوه عمر ، وكـان بكر رومي الاصل سكن بغداد ، وصار من أكابـر عساكـرها ، وتغلّب على الأمـور فيها ، حتى صـار حكم الوزيـر الـذي نصبـه السلطان لا ينفـذ إلا إذا وافق بكـر على إنفاذه ، وأراد الوزير يوسف بـاشا ، والي بغـداد اعتقالـه ، فتحصّن بالقلعـة ، وآنحـاز معه أكثـر عساكـر بغداد ، وآشتبـك الـطرفـان في معـركـة ومـرامـاة ، فـآنطلقت مكحلة من جانب عسكر بكـر ، أصابت الـوزير فقتلتـه ، وأعلن بكر نفسه حاكماً لبغداد ، وبعث إلى دار السلطنة ، يطلب نصبه والياً على بغداد ، فلم يجب إلى ذلـك ، ونصب السلطان أحمـد بـاشـا الحـافظ ، واليـاً لبغـداد وسـرداراً ، فلما بلغ بكـراً الخبر ، كـاتب الشاه عبـاس ، شاه العجم ، وطلب منه موافاة بغداد ليسلمها إليه على أن ينصبه نائباً عنه ، فلمـا وافى أحمد بـاشا بغداد وحصرها ، حضر الشاه عباس بعسكره يريد بغداد ، فاضطر أحمـد باشـا ألى نصب بكـر واليـاً على بغـداد ، وسلّم إليـه الإرادة السلطانيـة بـذلـك ، وآنسحب بجيشه يريد دياربكر ، فلما وصـل الشاه إلى بغـداد ، امتنع بكـر من تسليمها إليه ، فحصـره ، وشدّد في حصـاره ، وكانت قلعـة بغداد في عهـدة

محمد علي بن بكر ، فلما رأى شدّة الحصار آستسلم للشاه عباس ، وأدخل عساكر الشاه إلى القلعة ليلاً ، فآستولى الشاه علي البلد نهاراً ، وإعتقل بكراً وقتله شرّ قتله ، وقبض على عمر أخي بكر ، ووضعه في سفينة ، وألقى فيها النفط والقار والنار ، فأحرقه ، ثم قتل الملاّ علي ، وقاضي بغداد ، والسيد محمد نائب المحكمة (خلاصة الاثر ١/٣٨٢ ـ ٣٨٤) .

أقول : وصف تاريخ العراق للعزاوي ٤/١٦٥ ـ ١٨١ كبقية قتل بكر الصوباشي وأخيه عمر ، فإنّهما وضعا في قفص من الحديد ، وسوهرا لمدّة سبعة أيّام ، وكويا بالنار ، ثم وضعا في سفينة ، وأحيطا بالنفط والقار ، ثم أشعلت النار في السفينة حتى أحترقا .

وفي السنة ١٢١٥ قتل سليمان الحلبي ، الجنرال كليبر ، قائد الجيش الفرنسي بمصر ، فحكمت عليه المحكمة بإحراق يده اليمنى ، ثم قتل بإقعاده على الخازوق (تاريخ الجبرتي ٢/٣٨٩) .

وأحسّ الإنكشاريّة من السلطان محمود العثماني (حكم ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥) ووزيره مصطفى البير قدار ، رغبة وسعياً في نزع سلطانهم ، وإنشاء جيش حديث ، فهجم في السنة ١٢٢٣ أغا الإنكشارية على دار الوزير مصطفى البيرقدار وأحرقوه بما فيه من رجال ونساء وأطفال ،وكان الوزير من جملة من احترق (اعيان القرن الثالث عشر ١٠٤) .

وروى الحاج الزهار الجزائري في مذكراته (ص ١١١ و١١٢) إنّ الحاج علي باشا ، أمير الجزائر (١٢٢٤ ـ ١٢٣٠) اتّهم جماعة من يهود الجزائر بأنّهم أكلوا أموال الناس ، فأمر بهم فأحرقوا ، وألزم أقرباءهم بسداد تلك الأموال .

وفي السنة ١٢٤٧ فرض الوزير محمد سليم باشا والي دمشق ، على الأهالي ، ضريبة الصليان ، فثار عليه الشاميّون ، وحصروه في القلعة ،

فأستسلم ، وفتح لهم أبواب القلعة ،وخرج ومعه مائة وسبعة نفر من حاشيته ، فأخذوه إلى دار محمد باشا العظم ، ثم نقلوه ألى بيت الكيلاني بالعصرونية ، ثم أحضروا كخيته ، وخاله من بيت المفتي ، وفي الليل قتلوا الكخية ، والخال ، والقابجي ، والسلحدار ، والخزندار ، والمهردار ، وهاجموا الوالي ، فأغلق عليه باب حجرته ، وقاومهم ، وكان معه مملوك وطواشي ، كانا (يدكّان) له البنادق ، وهو يقوّس (يرمي) بها ، فنقبوا عليه سقف الحجرة ، وأحرقوا بابها ، فلحق الحريق به ، وأحرقت النار لحيته وشاربه ، و (تشلوط) كلّ بدنه ،ومات ،ثم قتلوا المملوك والطواشي (مذكرات تاريخية ٢٩ و ٣٠) .

وذكر الجبرتي في تاريخه ٣/٤١٧ إن ابراهيم بن محمد علي (ت ١٢٦٤) ، عذّب أناساً بالصعيد بأن شدّهم على أعمدة وشواهم بالنار . (الجبرتي ٣/٤١٧) .

القسم الثاني

الكيّ بالنار

كان التعذيب بالكيّ بالنار شائع الحدوث، وقد مارسه مشركو قريش لتعذيب الذين سبقوا بالإسلام .

وكان مشركو قريش يأخذون ياسراً ، والدعمّار ، وسميّة أمّ عمّار ، وابنيهما ، وبلالاً ، وصهيباً ، وخباباً ، فيلبسونهم أدراع الحديد ، ويصهرونهم في الشمس ، حتى بلغ الجهد منهم كلّ مبلغ (شرح نهج البلاغة ٢٠/٣٧) .

وكان خباب بن الأرتّ ، يعرّى ، ويلصق ظهره بالرمضاء ، ثم بالرضف ، وهي الحجارة المحماة بالنار ، ويلوى رأسه (ابن الأثير ٢/٦٨) وكان خباب يقول : أوقدوا لي ناراً ، وسحبت عليها ، فما أطفأها إلاّ ودك ظهري (شرح نهج البلاغة ١٨/١٧٢) .

وكان أميّة بن خلف الجمحي ،يلقي بلالاً الحبشي في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره (ابن الأثير ٢/٦٦ والأغاني ٣/١٢٠) .

وفي السنة ٣٥ قدم ملك الروم قسطنطين بن هرقل ، في جمع من جنده ، بطريق البحر ، يريد أرض المسلمين، فأصابهم نوء في البحر

فأغرقهم ، ونجا قسطنطين، فأتى صقلية ، فأحموا له حمّاماً ، وأدخلوه فيه فقتلوه (الطبري ٤ / ٤٤١) .

وأخذ محمد بن هشام المخزومي ، أمير مكّة لهشام بن عبد الملك ، العرجي والحصين الحميري، فجلدهما ، وصبّ على رأسيهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البلس في الحنّاطين بمكّة (الأغاني ١ / ٤١١) .

أقول : العرجي ، لقب لقّب به عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، لأنّه كان يسكن العرج ، عرج الطائف ، وكان من شعراء قريش ، صاحب غزل وفتوّة ، مشغولاً بالصيد واللهو ، وكان فارساً معدوداً ، وله مواقف مشهورة مع مسلمة بن عبد الملك في غزو الروم ، باع أموالاً عظاماً له وأنفق ثمنها في إطعام الطعام في تلك الغزوة ، وكان قد اتّخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قدره، وقام الغلامان يوقدان فإذا نام أحدهما قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى الصباح ، يقول : لعلّ طارقاً يطرق ، وأصابت الناس مع مسلمة في غزو الروم مجاعة ، فقال العرجي للتجّار : أعطوا الناس ، وعليّ ما تعطون ، فلم يزل يطعمهم حتى أخصبوا ، فبلغ ثمن ذلك عشرين ألف دينار ، التزم بها العرجي، وبلغ الخبر عمر بن عبدالعزيز، فقال: بيت المال أحقّ بهذا ، وقضى التجّار من بيت المال ، وكان العرجي قد شبب بأمّ محمد بن هشام المخزومي، عامل مكّة ، فقال فيها :

عوجي علينا ربّة الهودج ... إنّك إن لا تفعلي تحرجي
نلبث حولاً كاملاً كلّه ... لا نلتقي إلاّ على منهج
في الحجّ إن حجّت وماذا منىً ... وأهله إن هي لم تحجج

وقال فيها :

أماطت كساء الخزعن حرّ وجهها ... وأرخت على المتنين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حُسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفّلا

وشبّب بزوجة محمد ، جبرة المخزومية ، فقال :

عوجي عليّ فسلّمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر
ما نلتقي إلاّ ثلاث منى حتى يفرّق بيننا الدهر

وكان محمد بن هشام تيّاهاً جباراً ، فلم يزل يتطلّب عليه العلل ، حتى أخذه ، فحبسه ، وقيدّه ، وأقامه على البلس للناس ، وأبقاه في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات في الحبس، ومن جملة ما قاله في حبسه ، وهو من عيون الشعر :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
أجرّر في الجوامع كلّ يوم فيا لله مظلمتي وصبري
كأنّي لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عَمْرِو

فلما مات هشام بن عبد الملك ، وخلفه الوليد بن يزيد ، وكان مضطغناً على هشام وعلى عمّاله ، قبض على محمد بن هشام ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، فحملا إليه إلى الشام ، فضربهما ضرباً مبرّحاً ، وبعث بهما إلى يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق مثقلين بالحديد ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، عامل هشام على العراق ، ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم ، راجع تفصيل ما حلّ بهما من العذاب ، في موضعه من هذا الكتاب .

ولما قتل مروان بن محمد ، آخر الحكّام الأمويّين ، طلب كاتبه عبد الحميد بن يحيى ، فلجأ إلى ابن المقفع ، وكان صديقاً له ، ففاجأهما الطلب ، وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كلّ واحد منهما : أنا هو ، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه ، وخشي عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع بمكروه ، فقال لهم : تثبتوا، فإنّ في عبد الحميد علامات يعرف بها ، فأرسلوا إلى مرسلكم من يستوصفها منه ، فأينا

وجدتموها فيه فخذوه ، ففعلوا ، فوصف لهم عبد الحميد بعلامات ، فأخذ ، وحمل إلى السفاح ، فولّى عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته ، فكان يحمي طستاً بالنار ، ويضعه على رأسه ، حتى مات (الغرر للوطواط ٢٧ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٠) .

وكان الرشيد ، حبس عبد الملك بن صالح العباسي ، لما سعى عليه ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ، وكاتبه قمامة، فلما ولي الأمين ، أخرجه من السجن ، وولّاه الجزيرة والعواصم ، والثغور ، ودفع إليه ابنه عبد الرحمن ، وكاتبه قمامة ، فحبس قمامة في حمّام قد أحكم ، وأوقد أشدّ وقود ، وطرح معه سنانير ، فلم يزل فيه حتى مات (اليعقوبي ٢/ ٤٣٤) .

وفي السنة ٢٥٥ لما خلع الأتراك المعتزّ ، سحبوه فأخرجوه ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف شديد الحرّ ، فكان يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي أقيم فيه . (الطبري ٩/ ٣٨٩) .

وفي السنة ٢٥٥ استصفى صالح بن وصيف ، أموال أحمد بن اسرائيل وأبي نوح والحسن بن مخلد ، وعذّبهم بالقيد ، والضرب ، والتقريب إلى كوانين الفحم في شدة الحرّ . (الطبري ٩/ ٣٩٧- ٣٩٨) .

وفي السنة ٢٩١ لما ظفر المكتفي بزعماء القرامطة الذين كانوا قد عاثوا وقتلوا وأفسدوا ، أدخلهم إلى بغداد مشهرين ، وبنى لهم دكّة عظية مربّعة ، طول ضلعها عشرون ذراعاً ، وارتفاعها عشرة أذرع ، جرى فوقها تعذيب أسرى القرامطة ، وعددهم ستمائة وستون ، وكان مما عذّب به زعيمهم المدثّر ، أنّه بعد أن قطعت يداه ورجلاه ، أخذت خشبة فأضرمت فيها النار ، ووضعت في خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما حتى إذا قارب الموت قطعت عنقه (الطبري ١٠/ ١١٢- ١١٤) .

وفي السنة ٣٢٦ كان بجكم على الأهواز لابن رائق ، فقبض على

جماعة من الوجوه بالأهواز ، وعذّبهم ، وجعل على بطن سهل بن نظير الجهبذ ، طستا فيه جمر . (تجارب الأمم ١ /٣٧٩) .

وفي السنة ٣٥٤ أرسل أهل طرسوس والمصيصة الى نقفور ملك الروم ، يبذلون له إتاوة ، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم ، فأتاه الخبر بأنّهم قد ضعفوا ، وعجزوا عن القوت ، وأكلوا الكلاب والميتة ، وكثر فيهم الوباء ، وإنّه يموت منهم في اليوم نحو ثلثمائة نفس ، فأحضر الرسول ، وأحرق الكتاب على رأسه ، فاحترقت لحيته ، وأعاد الرسول خائباً ، ثم هاجم المصيصة ففتحها عنوة ، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، ونقل كلّ من بها إلى بلد الروم ، وكانوا نحواً من مائتي الف إنسان ، ثم سار إلى طرسوس ففتحها ، وجعل الجامع إصطبلاً لدوابه ، وأحرق المنبر (ابن الأثير ٨/ ٥٦٠ - ٥٦١) .

وكان أبو بكر الخوارزمي ، هجا بعض الملوك ، فظفر به ، فوسمه في جبهته بسطرين فيهما شطران بأقبح هجاء ، فكان يشدّ العمامة على حاجبيه ستراً عليهما (الملح والنوادر) .

وفي السنة ٣٧٢ اعتقل أبو منصور بن هارون ، وسلّم إلى الشابشتي الحاجب ، فعسفه ، وملأ طستاً بالجمر ، ووضعه على صدره ، فمات (ذيل تجارب الأمم ٨١) .

وادّعى رجلٌ الشرفَ (النسبة للعلويين)، فأمر به الحاكم ، فكوي في وجهه ونودي عليه (أشهر) . (النجوم الزاهرة ٦٣) .

وفي السنة ٤٨٩ عذّب رئيس حلب، بركات بن فارس الفوعي، بأن أحمي الطست حتى صار كالنار ، ثم وضع على رأسه (اعلام النبلاء ١ /٣٧٥) .

وفي السنة ٤٩٣ قتل المستظهر العباسي ، وزيره عميد الدولة بن جهير بأن ادخله حمّاماً ،وسمّرعليه الباب إلى أن مات فيه. (الوافي بالوفيات ١ /٢٧٣) .

وفي السنة ٥٥٠ فتح علاء الدين الغوري ، غزنة ، وكانوا قد صلبوا أخاه سيف الدين ، وتغنّوا بأشعار في ذمّة ، فأخذ النساء اللواتي تغنّين بذمّه ، وأدخلهنّ في حمّام ، وأغلق عليهنّ بابه حتى هلكن (ابن الأثير ١١/١٦٥).

وفي السنة ٥٦٦ لما اشتدّ مرض المستنجد العباسي ، تآمر عليه أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء ، وقطب الدين قايماز المقتفوي ، وتابعهما طبيبه ابن صفيّة ، وحملوه الى الحمّام وقد احمي ، واغلقوا عليه الباب حتى مات . (ابن الأثير ١١/٣٦١).

ولما توفّي السلطان أبو سعيد ، ملك العراق ، في السنة ٧٣٦ استولى أحمد بن رميثة المكّي العلوي ، على الحلّة ، واستمرّ يحكمها ثماني سنوات ، فحاربه الشيخ حسن الكبير سلطان العراق ، وأسره ، وعذّبه بأن كان يوضع على صدره طست مملوء بالجمر ، حتى مات (جاوان ص١١).

وفي السنة بضع وثلاثين وسبعمائة غضب السلطان الملك الناصر ، على الأمير الأكز الناصري ، فعزله ، وضربه ، ونفاه إلى دمشق فمات بها ، وكان اليه شدّ الدواوين ، فبالغ في تنويع عذاب من يصادره ، حتى إنّه كان يحمي الطاسة ويلبسها له ، ويحمي الدست ويجلسه عليه ، ويضرب الأوتاد في الآذان ، ويدقّ ليط القصب تحت الأظافر (الدرر الكامنة ١/٤٣١-٤٣٢).

أقول : روى صاحب الوافي بالوفيات ٩/٣٤٨ الخبر بتفصيل اكثر ، قال : في السنة ٧٣٨ غضب السلطان بمصر على الأمير سيف الدين الأكوز الناصري ، ورماه قدّامه ، وضربه بالعصي ، ورسم عليه أيّاماً ، ثم أخرجه الى دمشق ، حيث مات ، وكان الأكوز ظالماً ، تنوّع في عذاب المصادرين من الكتّاب وغيرهم ، وقتل بالمقارع ، وأحمى الطاسات وألبسها الناس ، وأحمى

الـدسوت وأجلسهم عليهـا ، وضـرب الأوتـاد في الآذان ، ودقّ القصب تحت الأضافير ، وبالغ وشدّد .

وفي السنة ٧٦٨ قتل بالعذاب الوزير فخر الدين ماجد القبطي بالقاهرة ، كان يلي الوزارة بالشام ، ثم نقل إلى مصر ، وأضيف اليه الخاص ، ثم اعتقل وسلّم إلى شـادّ الدواوين فـأذاقه أنـواع العـذاب حتى لفّ مشـاق الكتّـان على أصابعه ، وغمرت بالزيت ، وأوقدت فيهـا النار إلى أن مـات (الدرر الكـامنة ٣/٣٦١) وذكـر صاحب بـدائع الـزهور ١/٢/٥٥ أنّـه كانت تحمى لـه خوذة فولاذية ، وتوضع على رأسه .

وفي السنة ٨٠٠ غضب سلطان مصر ، على علاء الدين والي القـاهرة، فألبسه خوذة حديد محماة بالنار. (بدائع الزهور ١/٣٠٩).

وكان الشيخ زاده النهاوندي ، صاحب عذاب السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، عجيباً في قسوته، بعث إليـه السلطان بفقيهين ليقتلهما ، فقـال لزبانيتـه : ذوّقوهمـا بعض شيء ، يعني من العذاب ، فبـطحا على قفـائيهما، وجعـل على صدر كـلّ واحد منهمـا صفيحة حـديـد محمـاة ، ثم قلعت بعـد هنيهة ، فذهبت بلحم صـدريهما ، ثم أخـذ البول والـرماد، فجعـل على تلك الجراحات (رحلة ابن بطوطة ص ٤٧٥ طبعة صادر).

وفي السنـة ٩١٠ جرى تعـذيب القـاضي بـدر الـدين ، كـاتب الأسـرار بالقاهرة ، وكان من جملة ما عذّب به أن أحمى له الحديد ووضع على بدنه ، ولفّ القصب والمشاق على يديه ، وأحرقت (الكواكب السائرة ١/١٧٦).

وفي السنـة ١٠٠١ غضب محمد بـاشا ، نـائب السلطنة بـالشام ، على الخواجا محمد بن العنبري، فأمر به فدمغ بالنار في جبهته ، وأنفه ، ووجهه ، وأركب حماراً مقلوباً ، وكشف رأسه ، وعرّي حتى صار بالقميص ، وطيف به في أسواق دمشق وشوارعها ، ونودي عليـه : هذا جـزاء من يزوّر على أوقـاف

نور الدين الشهيد ، وبعد التطواف به ، أعيد إلى محبسه بالقلعة (خلاصة الأثر ٣/٣٠١).

وفي السنة ١٠٢٤ توفّي السيد عمر بن أحمد السقاف ، وكان معظّماً بتريم ، ووشي به إلى السلطان مرّة ، فاعتقله بالحصن ، وعذّب بأن عمل له قميص من ليف النخل وأحرق وهو عليه ، وصودر ، وسلب جميع ما يملك (خلاصة الأثر ٣/٢٠٩).

وفي السنة ١٢٠١ اعتدى الأعراب على الحاج المصري ، ونهبوا الحجّاج ، وسبوا النساء ، وقتلوا كثيراً من الرجال ، وسبب ذلك رعونة أمير الحاج المصري وجبنه ، فإنّه لما أراد أن يتوجّه بالحاجّ إلى المدينة ، أحضر اكابر الأعراب ودفع لهم عوائد سنتين ، وأخذ عنده منهم أربعة أشخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم ، وبلغ ذلك اصحابهم ، ففعلوا ما فعلوا (الجبرتي ٢/١٢).

وفي السنة ١٢٠٢ حضر الى الإسكندرية بالديار المصرية ، رجل هندي ، قيل إنّه وزير سلطان الهند حيدر بك ، ومهمّته أن يجيّش جيشاً لمحاربة أعدائه الإنكليز ، وكان كلّ من دخل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة في جبهته لا تزول ، فنفر الناس من ذلك (الجبرتي ٢/٥٤).

أقول : الوسم في الجبين بعلامة لا تزول ، يعني كيّه بالنار .

وروى الجبرتي في تاريخه ٣/٤١٧ إنه بلغه : أنّ إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، لما كان أميراً للصعيد يعذّب الرجل بأن يربطه ممدوداً ، على خشبة طويلة يمسك بطرفيها الرجال ، ويقلّبونه على النار المضرمة مثل الكباب .

وكان للجزّار صاحب عكّا ، أعوان من الأكراد ، يقومون بتعذيب الناس بالنار ، وبالكعاب يضعونها في « مصادغ » من يريدون تعذيبه ، وهي محمّية ،

ومربوطة بالسلاسل (أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القـرن الرابـع عشر لمحمد جميل الشطي) .

وفي السنة ١٢٢٧ أمر والي حلب ، جلال الدين باشا ، باعتقال إبراهيم أغا الحربلي ، من رؤسـاء الإنكشاريـة، وحبسه ، وأمـر بتعذيبـه ليلاً ونهـاراً ، وكان أعوانه يحمـون الآنيـة من النحاس ، ويجـرّدون إبراهيم اغـا من ثيابـه ، ويضعونه فوق الآنية ، حتى يسيل الدهن من أليته ، فكان يستغيث ولا يغاث ، ويستجير فلا يجار ، وهم يقولون له : قـرّ لنا عن الـذهب الذي عنـدك ، وأقرّ لهم عما عنده من الذهب، فذهبوا وأحضروه ، وفي آخر الأمر أقـر لهم أنّ في داره التي في محلة قـارلق في الصهريـج كذا وكـذا من الذهب ، وكـان مبلغـاً عظيماً ، فذهبوا وأخذوه ، ولما تيقّنوا أنّه لم يبق عنده شيء ، قطعو رأسه وكان عمره لما قتل ، خمساً وسبعين سنة (اعلام النبلاء ٣/٣٧٨) .

وفي السنة ١٢٣٢ نصب محمد علي بـاشا ، بمصـر ، مصطفى كـاشف كرد، محتسباً ، فكـان إذا وجد بـائع كنـافة قـد خالف التسعيـرة ، أقعده على صينيته وهي على النار (تاريخ الجبرتي ٣/٥٦٤) .

وفي السنة ١٢٤٧ عذّب المـلاّ علي الخصي ومحمد الليـلاني ببغداد ، زوجة رضوان أغا ، بكيّها بالسيخ المحمي (تاريخ بغداد للعزاوي ٧/١٣) .



الفصل الثاني

التعذيب بالماء المغلي



القسم الأول

السلق بالماء المغلي

السلق : غلي الشيء بالنار وطبخه بالماء .

والتعذيب بالسلق ، قليل الحدوث ، وقد حفظ لنا التاريخ بعض الأخبار عن هذا اللون من العذاب، فذكر أنّ الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ ، على أثر التحكيم ،صبّحوا حيّاً من أحياء العرب، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال ، حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الأقط وهي تفور (مروج الذهب ٢ / ١٤٩) .

ووصف ابن المعتز ، في أرجوزته ، ألوان العذاب ، التي كان يمارسها صاحب الزنج ، على أسراه ، ومن جملة ما ذكره من ألوان العذاب ، سلق الأسرى، قال : (ديوان ابن المعتز ١٢٩) .

ولم يزل بالعلويّ الخائن … المهلك ، المخرّب المدائن

والبائع الأحرار في الأسواق … وصاحب الفجّار والمرّاق

وقاتل الشيوخ والأطفال … وناهب الأرواح والأموال

مخرّب القصور والمساجد … ورأس كلّ بدعة وقائد

قد خرّب الأهواز والأبلّة … وواسطاً قد حلّ فيها حلّه

وترك البصرة من رماد … سوداء لا توقن بالمعاد

وأطعم الزنوج أطفال الناس … مكيدة منه فأعظم من باس

فواحد يشدخ بالعمود … وواحد يدخل في السفّود

وبعضهم مسمّط مربوط … وبعضهم في مرجل مسموط

وجـعـل الأسـرى مـكـتّـفـيـنـا أغـراض نـبـلٍ ، ومـعـلّـقـيـنـا
وبـعـضـهـم يـحـرق بـالـنـيـران وبـعـضـهـم يـلقـى مـن الـحـيـطـان
وبـعضبهم يـصلب قـبـل الـمـوت وبـعـضـهـم يئـنّ تـحـت الـبـيـت

وفي السنة ٥٩٠ حارب جنكيزخان، أعداء له من التاتار ، من قبيلة تايجوت ، وأسر منهم جماعة، فأغلى لهم الماء في مراجل ، وسلقهم فيها أحياء (تاريخ العراق للعزاوي ١/٧٥).

ولما توفّي كويوك ، سلطان المغول ، خلفه مانكو بن تولوي (٦٤٩-٦٥٩). واستهلّ حكمه بتصفية أقربائه ، فأمر بوضعهم في أكياس مغلقة ، ورميهم تحت حوافر الخيل المغيرة ، فهشمت عظامهم ، وقتل غيرهم برجمهم بالحجارة، ومع ذلك فقد ذكر عنه إنّه أقلّ حكّام المغول تعطّشاً للدماء، فإنّ جدّه جنكيزخان، أمر في أحد انتصاراته ، بسبعين زعيماً ظفر بهم ، فغطس كلّ واحد منهم في قدر ماء يغلي ، فقتلهم (علاقات بين الشرق والغرب ١٩٦-١٩٧).

وكان عزّ الدين كيكاوس ، ملك الروم (ت ٦١٥) ظالماً ، سفاكاً للدماء ، سلق بعض رعيّته في القدور، وجعل آخرين في بيت فأحرقهم (الذيل على الروضتين ١١٣)

وفي السنة ٦٧٦ أمر السلطان أباقا خان ، سلطان المغول ، فأخذ معين الدين البرواناه ، وقطعت أطرافه الأربعة ، وهو حيّ، ثم ألقي في مرجل وسلق ، وأكل المغول لحمه (فوات الوفيات ٢/٧١).

وكانت إمرة العرب ، لعلي بن حذيفة بن مانع بن حذيفة ، الذي توفّي في ابتداء دولة الظاهر بيبرس ، وكان ابن حذيفة هذا ظالماً، قاسياً ، وكانت له قدر كبيرة ، منصوبة ، لا تزال على النار مملوءة ماءً ، والنار توقد تحتها ، فمتى وقع له مفسد من العرب ، ألقاه فيها حيّاً ، فسقط لحمه لوقته (تاريخ ابن الفرات ٨/١٢).

وفي السنة ٧٠٧ قتل الشيخ براق القرمي الدوقاني ، في جبال كيلان ، بأن سلقوه حيّاً في قدر ممتلىء بالماء .

وكان الشيخ براق قد تجرّد ، وصحب الفقراء ، وتلمذ له جماعة ، فدخل بهم الروم ، ثم قدم دمشق في السنة ٧٠٦ محلوق الذقن ، وشواربه وافرة ، ومعه جمع من أتباعه على هيأته ، وكان يلازم العبادة ، ومعه محتسب يؤدّب أصحابه ، وإذا ترك أحد منهم صلاة واحدة، عاقبه أربعين سوطاً ، وكان أوّل ظهوره في بلاد التتار ، فبلغ خبره غازان فأحضره وسلّط عليه سبعاً ضارياً ، فوثب الشيخ براق على ظهره ، وركبه، فأعظم غازان ذلك ، ونثر عليه عشرة آلاف ، فلم يتعرّض لها ، وقيل : إنّه سلّط عليه نمراً ، فصاح به ، فانهزم النمر ، وأعطاه غازان مرّة ثلاثين ألفاً ، ففرّقها في يوم واحد ، وكان لا يدّخر شيئاً ، ولما دخل إلى دمشق ، كان في إصطبل الأفرم نعامة ، فسلّطوها عليه ، فوثب عليها وركبها ، فطارت به في الميدان خمسين ذراعاً حتى قرب من الأفرم ، فقال له : أطير بها إلى فوق ؟ قال : لا ، وأحسن الأفرم تلقّيه ، ثم زار القدس الشريف ، وأراد الدخول الى مصر ، فلم يؤذن له في ذلك ، وعاد إلى بلاد التتار ، فأرسله غازان صحبة حبيش لحرب أهل جبال كيلان ، فأسروا الشيخ ، وقالوا له : أنت شيخ فقراء ، كيف تجيء صحبة أعداء الدين لقتال المسلمين ، وسلقوه في دست (الدرر الكامنة ٢/٥-٦) .

وحدث أن تحرّك بعض المماليك على أحمد باشا الجزار (ت ١٢١٨) يريدون قتله ، وتحصّنوا في أحد أبراج عكّا ، ثم طلبوا الأمان فأمّنهم ، ولما نزلوا غدر بهم ، وأمر بهم فخنقوا بالماء الحار (أي أنّهم غطّسوا في الماء الحار حتى هلكوا) (خطط الشام ٣/٢١) .



القسم الثاني

الحقن بالماء المغلّي

وقتل الأتراك المعتز ، بأن حقنوه بماء مغلّي ، فورم جوفه ، ومات ، (مروج الذهب ٢/٤٦٢) .



فهرس الكتاب